مع العدد هدية "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

منبر الإسلام

السنة (٥٦) العدد (٥)
جمادى الأولى ١٤١٨هـ - سبتمبر ١٩٩٧م - الثمن ٧٥ قرشاً

الأزهر الشريف منارة الإسلام عبر العصور

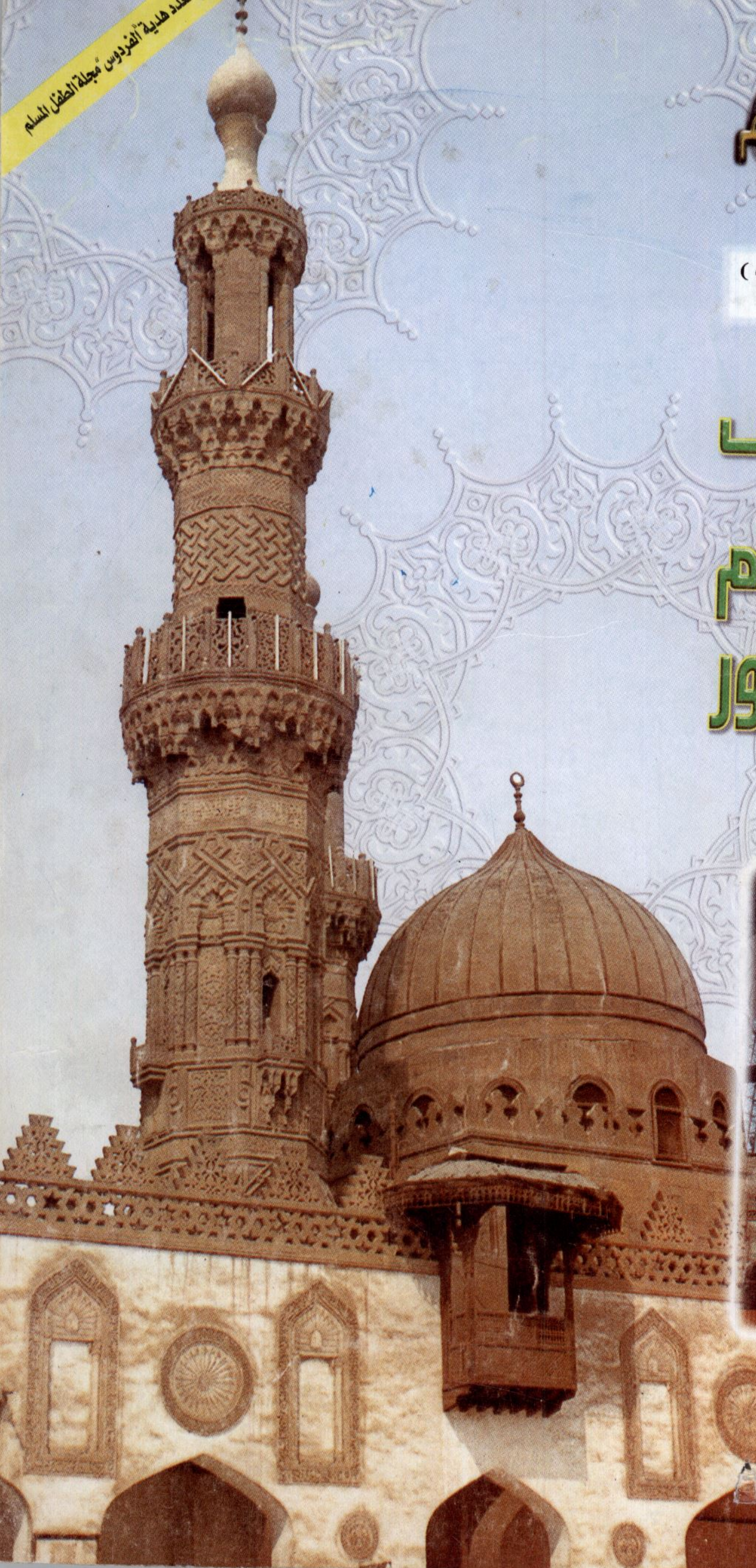

من محتويات العدد

* محمد بن فتح الله بدران
للدكتور محمود حمدى زقزوق
* تفسير سورة الحجرات
فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى
* الأزهر الشريف الجامع والجامعة... حديث الشهر
الدكتور عبد الصبور مرزوق
* نقد الجامع الصحيح للإمام البخارى
الدكتور أحمد عمر هاشم
* الإسلام والحفاظ علي الإنسان والبيئة
الدكتور إبراهيم بدران
* واجب المسلمين نحو تحرير القدس
الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى
* الحضارة الإسلامية بين القطيعة والتقليد..
الدكتور محمد عمارة
* البلطجة وحد الحرابة
الدكتور محمد بهى الدين سالم

غلاف الشهر

* الأزهر الشريف منارة الإسلام عبر العصور يتهيأ لوثبة عمرانية جديدة، وهو يتطلع إلى الألفية الثانية، بعد أن قضى من عمره ألف عام، يمر بمرحلة التجديد والترميم والصيانة ودعم الأساسات بمفهوم علمى وطبقا للمعدلات والمواصفات الدولية التى تنظم أعمال ترميم المبانى الأثرية.

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الاعلى للشئون الإسلامية٩ ش النباتات - بجاردن سيتى القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٠.٥٠ عشرة جنيهات ونصف بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٧ سبعة عشر دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الافريقى «بريد جوى».
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٠ ثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٦٠ ستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:
٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٣٥٤١٦٢٧ - ٣٥٥٨٦٦٤
تلغرافيا - منبر الإسلام - القاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد هيكل

كلمة التحرير

الأزهر .. إحياء وتجديد

إن مصر بصفتها بلد الأزهر الشريف، الذى رعى علوم الإسلام ولغته لأكثر من ألف عام .. لا تستكثر مالاً ولا جهداً فى سبيل دعم الأزهر وإعماره ليظل منارة للمسلمين فى شتى بقاع الأرض، إن مشروع تجديد وترميم الجامع الأزهر يؤكد هذا المعنى كما يعبر عن المكانة الدينية والتاريخية التى يحتلها الأزهر فى نفوس المسلمين .

ويصدر هذا العدد من منبر الإسلام وقد تم الانتهاء من تنفيذ المرحلة الأولى لأعمال ترميم وتجديد الجامع الأزهر التى تمثل الجزء الفاطمى للمسجد، وسوف يستكمل الجزء الباقى منه خلال عام . كما أن أعمال التوسعة ستضيف مساحة ٣٣٠٠ متر مربع لتصبح المساحة الكلية ٧٨٠٠ متر مربع ليسع المسجد حوالى ١٤ ألف مُصلٍ .

إن وراء هذا العمل الجليل جهوداً مخلصة تقوم بها اللجنة العليا لترميم الأزهر والتى تضم وزراء الإسكان والأوقاف والثقافة ومحافظ القاهرة .

وبالرغم من أن أعمال التجديد التى أجريت للأزهر على مر العصور التاريخية فإنه لايزال يحتفظ بعناصر مهمة من عناصره المعمارية الأصلية .

وقد جاء حديث الشهر فى هذا العدد مؤكداً على مكانة الأزهر وعلمائه الذين حملوا مشعل الحضارة الإسلامية وكيف عمل الأزهر على نشر الدعوة الإسلامية فى ربوع العالم كله حيث يستقبل آلاف الطلاب من شتى بقاع الأرض شرقاً وغرباً لينهلوا من العلم فى الأزهر الجامع والجامعة الذى احتفظ بأصالة القدم وتجدد الفكر المتواصل عبر العصور والأزمنة .

وفى العدد الذى بين يديك الكثير من الأبحاث والدراسات التى يعمر بها ومقالات لكبار الكُتّاب بالإضافة إلى الأبواب التى يشترك القارىء فى تحريرها معنا مثل باب أنت تسأل والفقيه يجيب . ومع القراء وبريد التعارف لتكون المجلة عامرة بكل ما ينشده القارى.

حديث الشهر

الأزهر الشريف الجامع والجامعة حصن الإسلام ومنارة المسلمين

بقلم : رئيس التحرير

بالأزهر الشريف يعرف العالم كله مصر المسلمة كما كانت تعرف قبل الإسلام بعصور بناة الأهرام ..

وإذا كان بناة الأهرام قد سبقوا «الأزهر» فى التعريف بمصر القرون الطوال .. لكن الرّمز الذى تشير إليه «الأهرام» هو نفسه الذى يشير إليه «الأزهر» بالنسبة لمصر . وهو ما يدل على الطبيعة الأصيلة والباقية لمصر باعتبارها محضن الأديان وموطن الإيمان منذ بنى المصريون الأهرام وابتكروا فنون التحنيط .. كى تبقى الأجساد سالمة بعد الموت فى انتظار عودة الروح والقيام ليوم الحساب .

والشىء نفسه ما جاءت به جميع رسالات السماء حتى كان ختامها برسالة الإسلام .

لكن لعلاقة «الأزهر» بمصر خصوصية ستبقى هى هى القسمة الحضارية الكبرى التى مارستها «مصر» وعبرّت بها عن وسطية الإسلام وتحضره وسماحته ..

علاقة الأزهر بمصر لها خصوصيتها التى عبرت بها عن وسطية الإسلام وتحضره وسماحته

إحدى حلقات الدرس فى الجامع الأزهر . حيث كان الشيوخ وطلاب العلم يلتفون بجوار أحد الأعمدة حول العالم الذى يختارونه معلماً لهم

واستطاعت بهذه الخصوصية عبر التواريخ أن تفسح أمام الإسلام أرحب المجالات للإيمان به والدخول فيه حيث يجدون فيه من السماحة واليسر التى عبرّت عنهما الممارسات الدينية المصرية، ما يعتبر أعظم شهادة وأقوى دليل على يسر وسماحة ووسطية الإسلام العظيم .

●●●

وأبسط الدلائل على ذلك أنه رغم أن انشاء الأزهر تمّ على أيدى «الفاطميين» وكان لنشر المذهب الشيعى فى مصر واختير له اسم «الأزهر» تيمنا باسم «الزهراء» فاطمة بنت الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

رغم هذا فإن مصر - لم تتشيّع .. والتزمت مذهب أهل السنة والجماعة .. فى الوقت الذى يمكن القول بطمأنينة أنه لا يكاد يوجد على وجه الدنيا شعب يحب آل البيت ويتعلق بهم وجدانه وتتعطر

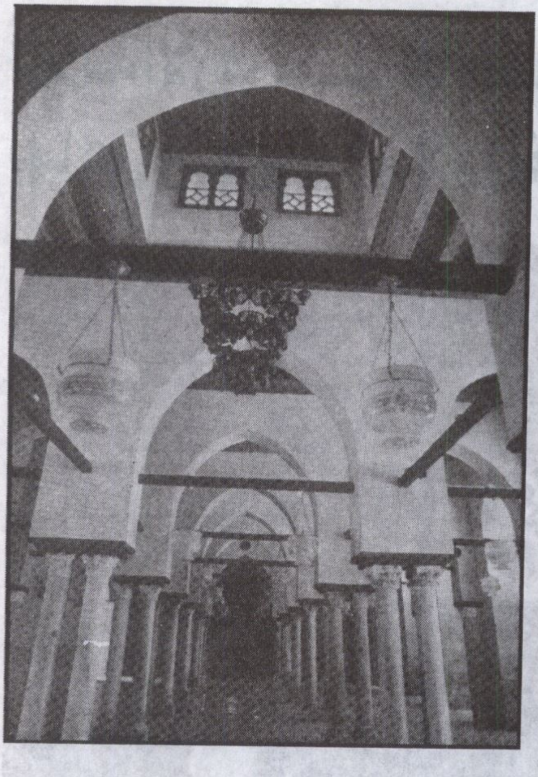

جزء من جامع الأزهر بعد التطوير

أرضه فى معظم أرجائها بمراقدهم كما هو الحال مع شعب مصر لكن امتلاء الوجدان بالحب لم ينحرف بالعقيدة عما ينبغى أن تكون عليه..

●●●

الجامع والجامعة :

وقبل أن تدخل مصر عصر نهضتها الحديثة على يد «محمد على» وتنفتح على الرؤية الأوروبية للتعليم، وتسافر البعثات من أبنائها للتعليم فى الخارج ..

قبل هذا كان الأزهر «الجامع العريق» هو الذى يصوغ عقل الأمة، وينشر فى ربوع مصر والعالم الإسلامى من حولها نور العلم والمعرفة ..

ويبدو ـ أنه كان من قدر الله ـ أن يكون هذا المعهد العتيد المعنىّ آنذاك بعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو الرافد الدائم والمتجدد لتأصيل وتوثيق علاقة شعب مصر مؤهلة ـ بالقرآن والسنة ـ للدور القدرىّ المنوط بها فى خدمة دين الله والانتصاف لرسالات السماء واحتضانها لرسل الله عبر التاريخ منذ أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه، فى تيار موصول جعل لشعبها خصوصية السماحة واليسر وحسن الفقه للدين، بالمقدار نفسه الذى جعل لشعبها من دفء العاطفة الدينية والغيرة على المقدسات ما سطرت به عبر التاريخ أعظم الصفحات فى تاريخ الجهاد ومواجهة الباطل .

●●●

لكن دور «الأزهر» الدينى مع مصر، لم يعزله أبداً عن دوره فى عملية الحراك الاجتماعى والسياسى والنضال الوطنى فى مصر وخارج مصر فى العالمين العربى والإسلامى .

إذ كان لشيوخه من الحضور المؤثر فى الأحداث ما وقف التاريخ أمامه وأطال الوقفة .

مبنى كلية اللغة العربية

ومواقف «العز بن عبد السلام» فى عصر الملك نجم الدين أيوب، وإصراره ـ فى مواجهة فساد «المماليك» وعدوانهم على حقوق الشعب .. إصراره على بيعهم ـ فى المزاد ـ تم منحهم الحرية ـ بالعتق ـ حتى يكونوا أهلاً للولاية على الناس ونجاحه العظيم فى ذلك كان تعبيراً ليس فقط عن دور الأزهر فى صيانة الحياة وحماية الحق والعدل والقيم الكريمة، وإنما كان فى الوقت ذاته تعبيراً عن طبيعة الإسلام العظيم فى رفض أى عدوان على حقوق الشعوب وأى استبداد من الحكام بالمحكومين مما جعل شعب مصر يجد فى الأزهر موئله الذى يلجأ إليه عند الشدة ويحتمى به من جور أى سلطان .

ليس هذا فحسب بل فى مواجهة أى عدوان، بربرى على الحضارة والتاريخ . ولقد أسفرت هذه المواجهات من شيوخ الأزهر لجور السلاطين أسفرت عن وثيقة تاريخية عرفت باسم «وثيقة الحقوق» كانت بمثابة «عقد اجتماعى» بين الحكام والشعب جرى فيه النص على الحقوق والواجبات وجرى فيه النص كذلك على الربط بين عدل الحاكم وطاعة الشعب له .

فى مواجهة الاحتلال الغربى :

ومُنذ أصبح الأزهر موئل الأمة وكان هو المحرك لتيار النضال الوطنى المصرى ضد موجات الاحتلال الأجنبى، التى بدأت تتدفق على مصر وعلى غيرها من بلاد الإسلام والعروبة وحين جاء الفرنسيون إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت كان علماء الأزهر ـ هم الذين واجهوا الفرنسيس وأعلنوا غضبهم

فـوق منبر الأزهر والوحدة الوطنيـة واستمراراً لدور الأزهر فى النضال الوطنى كان إبان الثورة الوطنية الكبرى سنة ١٩١٩ .. هو المحضن الملتهب بالمشاعر الوطنية وبتفريخ الثوار، وخروج المواجهات الدامية لقوات الإنجليز .

ولست أنسى ما حدثنى به فضيلة الشيخ الأجل الشيخ محمد عبد اللطيف دراز رحمه الله ـ والذى كان إبانها «دينامو» الحركة الطلابية ـ بأنه فى أحد أيام الثورة كان الأزهر محاصراً بقوات الاحتلال الإنجليزى لمنع المواطنين وطلاب الأزهر خاصة من الدخول إلى المسجد الذى كان تخرج منه المظاهرات الثائرة ..

وكان قد تقرر ـ فى مواجهة الحصار ـ أن يكون الدخول من باب للأزهر لا يعرفه الإنجليز وهو باب «زاوية العميان» .

فكان الشيخ دراز إذا قدم أى داخل للأزهر ـ يشير إليه بيده قائلا : زاوية العميان .. فينصرف القادم إلى حيث تم تنبيهه .

ولما رأى الجنود الإنجليز أن كلمة «العميان» لها تأثير سحرى فى صرف القادمين بالأزهر، أخذوا هم أنفسهم يشاركون «الشيخ دراز» رحمه الله فى مهمته فيخاطبون أى داخل بقولهم «إميان .. إميان» .

واستمر دخول الطلاب والمواطنين حتى أوشك المسجد أن يمتلى والخطباء على منبر الأزهر يتبارون فى شحن وتعبئة الوجدان الوطنى بالحماس، حيث فوجئت قوات الاحتلال بثورة الجماهير تأخذهما من كل جانب فأخذوا يطلقون الرصاص على المتظاهرين .

وفيما يتصل بقضية الوحدة الوطنية فقد كان يقف على منبر الأزهر اثنان من رموز العمل الدينى للمسلمين والمسيحيين يحتضن أحدهما الآخر وهما ملتفّان بعلم مصر يدعوان إلى الثورة على الاحتلال البريطانى .

والرجلان هما : القمّص سرجيرس والشيخ عبد ربّه مفتاح ..

•••

الأزهر فى حاضره

وإذا كان هذا هو بعض عطاء الأزهر لمصر وللإسلام فى الماضى فهذا العطاء فى الحاضر لم يتوقف، بل كان الأزهر هو القلب النابض يحمل هموم عالم الإسلام سواء فى القضايا السياسية كقضية القدس وفلسطين أو قضايا مسلمى البوسنة .

والشيشان وغيرها من القضايا الساخنة التى كان الأزهر فيها موجوداً يعلن الرأى ويوجه المسيرة وتشعر بوجوده ساحة الإسلام حين يفتقد المسلمون حادى الركب ودليل السلامة على كل طريق .

القرآن الكريم وعلومه

- تفسير سورة الحجرات
- التفسير البياني للقرآن الكريم
- من أسرار الإعجاز في الأسلوب القرآني
- الصحابة في القرآن الكريم
- الإنسان في القرآن الكريم

نظرات فى كتاب الله تعالى

«تفسير سورة الحجرات»

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

قال الله تعالى «قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا ، إن الله غفور رحيم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون قل أتعلّمون الله بدينكم ، والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، والله بكل شىء عليم يمنون عليك أن أسلموا ، قل لاتمنوا علىَّ إسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين إن الله يعلم غيب السموات والأرض ، والله بصير بما تعملون» .سورة الحجرات الآيات ١٤ ـ ١٨

١ ـ ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات روايات منها : ما جاء عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآيات فى بنى أسد ـ وهم قبيلة كانت تسكن بجوار المدينة المنورة ـ أظهروا الإسلام، وقلوبهم دغلة، إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا . ويروى أنهم قدموا المدينة فى سنة مجدبة، فنطقوا بالشهادتين ـ دون أن يستقر الإيمان فى قلوبهم ـ وكانوا يقولون لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : جئناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان . يمنون بذلك على النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

ولفظ «الأعراب» : اسم جنس لبدو العرب، واحده أعرابى، وهم الذين يسكنون البادية. والمراد بهم هنا : جماعة منهم لاجميعهم، لأن منهم ـ كما حكى القرآن الكريم ـ «**من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول، ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته**» (التوبة : ٩٩) ولفظ «آمنا» : من الإيمان . ومعناه : التصديق القلبى، والإذعان النفسى، والعمل بما يقتضيه هذا الإيمان من طاعة لله ـ تعالى ـ ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم.

ولفظ «أسلمنا» من الإسلام بمعنى الاستسلام والانقياد الظاهرى بالجوارح، دون أن يخالط الإيمان شغاف قلوبهم.

٢ ـ والمعنى : قالت الأعراب لك ـ أيها الرسول الكريم ـ آمنا وصدقنا بقلوبنا لكل ما جئت به، وامتثلنا لما تأمرنا به، وتنهانا عنه ..

قل لهم : «**لم تؤمنوا**» أى: لم تصدقوا تصديقا صحيحا عن اعتقاد قلب، وخلوص نية.. «**ولكن قولوا أسلمنا**» أى : ولكن قولوا نطقنا بكلمة الإسلام، واستسلمنا لما تدعونا إليه استسلاما ظاهريا طمعا فى الغنائم، أو خوفاً من القتل .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : ما وجه قوله ـ تعالى : «**قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**» والذى يقتضيه نظم الكلام أن يقال: قل لاتقولوا آمنا، ولكن

قولوا أسلمنا ؟

قلت : أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولاً، ودفع ما انتحلوه، فقيل: «**قل لم تؤمنوا**» . وروعى فى هذا النوع من التكذيب أدب حسن، حين لم يصرح بلفظه، حيث لم يقل: كذبتم، ووضع «**لم تؤمنوا**» الذى هو نفى ما ادعوا إثباته فى موضعه .

واستغنى بالجملة التى هى «**لم تؤمنوا**» عن أن يقال: «**لاتقولوا آمنا، لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالإيمان**»(١) .

٣ ـ وقوله : «**ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم**» جملة حالية من ضمير «**قولوا**» و«**لما**» لفظ يفيد توقع حصول الشىء الذى لم يتم حصوله .

أى: قولوا أسلمنا والحال أنه لم يستقر الإيمان فى قلوبكم بعد، فإنه لو استقر فى قلوبكم لما سلكتم هذا المسلك، ولما مننتم على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم «بإسلامكم» .

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: «وقد استفيد من هذه الآية الكريمة : أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل، حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، فترقى من الأعم إلى الأخص .

كما يدل على ذلك حديث الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطى رجلاً ولم يعط آخر. فقال سعد : يا رسول الله، مالك عن فلان إنى لأراه مؤمنا ؟ فقال : «أو مسلما» .. فقد فرق ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين المؤمن والمسلم، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام. كما دل هنا على أن الأعراب المذكورين فى هذه الآية إنما هم مسلمون، ولم يستحكم الإيمان فى قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا لذلك»(٢) .

٤ ـ ثم أرشدهم ـ سبحانه ـ إلى ما يكمل إيمانهم فقال : «**وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا، إن الله غفور رحيم**» .

ومعنى «**لايلتكم**» لاينقصكم. يقال : لات فلان فلانا حقه ـ كباع ـ إذا نقصه. أى : وإن تطيعوا الله ـ تعالى ـ ورسوله ، بأن تخلصوا له العبادة وتتركوا المن والطمع لا ينقصكم ـ سبحانه ـ من أجور أعمالكم شيئا إن الله ـ تعالى ـ واسع المغفرة والرحمة لعباده التائبين توبة صادقة. ثم بين ـ سبحانه ـ صفات عباده المؤمنين الصادقين فقال : «**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، أولئك هم الصادقون**» .

أى : إنما المؤمنون حق الإيمان وأكمله، هم الذين آمنوا بالله ـ تعالى ـ وبرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «**ثم لم يرتابوا**» أى : ثم لم يدخل قلوبهم شىء من الريبة أو الشك فيما أخبرهم به نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم .

وأتى ـ سبحانه ـ بحرف «**ثم**» المفيد للتراخى، للإشعار بأن نفى الريب عنهم، ليس مقصورا على وقت إيمانهم فقط، بل هو مستمر بعد ذلك إلى نهاية آجالهم. فكأنه ـ عز وجل ـ يقول : إنهم آمنوا عن يقين، واستمر معهم هذا اليقين إلى نهاية آجالهم .

ثم أتبع ذلك ببيان الثمار الطيبة التى ترتبت على هذا الإيمان الصادق فقال : «**وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله**» أى : وبذلوا من أجل إعلان كلمة الحق أموالهم النفيسة وأنفسهم الجليلة «**أولئك**» المتصفون بذلك «هم المؤمنون» الصادقون فى إيمانهم .

٥ ـ ثم أمر الله ـ تعالى ـ رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يخبرهم بأن الله ـ سبحانه ـ لايخفى عليه شىء من أحوالهم فقال : «**قل أتعلّمون الله بدينكم**» .

ولفظ «**أتعلّمون**» من الإعلام بمعنى الإخبار، فلذا تعدى بالتضعيف لواحد بنفسه، وإلى الثانى بحرف الجر .

---

(١) تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٣٧٦ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٣٦٨ .

أى : قل - أيها الرسول الكريم - لهؤلاء الأعراب على سبيل التوبيخ : أتخبرون الله - تعالى - بما أنتم عليه من دين وتصديق حيث قلتم آمنا على سبيل التباهي والتفاخر، والحال أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض، دون أن يخفى عليه شىء من أحوال المخلوقات الكائنة فيهما، وهو - عز وجل - بكل شىء فى هذا الكون عليم علما تاما .

٦ - ثم أشار - سبحانه - إلى نوع آخر من جفائهم وقلة إدراكهم فقال : **«يمنون عليك أن أسلموا»** أى : أن هؤلاء الأعراب لضعف عقولهم، وقلة إيمانهم، يعدون دخولهم فى الإسلام منة عليك، ونعمة أسدوها إليك، حيث قالوا لك : جئناك بالأموال والعيال، وقاتلك الناس ولم نقاتلك .

ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم – أن يرد عليهم بما يزيل غفلتهم ويدفع غرورهم، فقال: **«قل لا تمنوا علىَّ إسلامكم»** أى قل لهم - أيها الرسول الكريم - لاتتفاخروا علىّ بسبب إسلامكم، لأن ثمرة هذا الإسلام يعود نفعها عليكم لا علىّ.

ثم بين - سبحانه - أن المنة له وحده فقال : **«بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين»** .

أى : قل لهم - يا محمد - ليس الأمر كما زعمتم من أن إسلامكم يعد منة علىّ، بل الحق أن الله - تعالى - هو الذى يمن عليكم، أن أرشدكم إلى الإيمان، وهداكم إليه، وبين لكم طريقه، فادعيتم أنكم آمنتم، مع أنكم لم تؤمنوا، ولكنكم أسلمتم فقط .

٧ - قال صاحب الكشاف : «وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة، وذلك أن الكائن من الأعاريب، قد سماه الله (إسلاما)، ونفى أن يكون - كما زعموا - إيمانا، فلما تفاخروا على الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما كان منهم، قال الله - تعالى - لرسوله - صلى الله عليه وسلم : إن هؤلاء يتفاخرون عليك، بما ليس جديرا بالتفاخر به.

ثم قال بل الله يمتن عليكم أن أمدكم بتوفيقه، حيث هداكم للإيمان - على ما زعمتم - وادعيتم أنكم أرشدتم إليه، ووفقتم له إن صح زعمكم، وصدقت دعواكم.

وفى إضافة الإسلام إليهم، وإيراد الإيمان غير مضاف، مالا يخفى على المتأمل»(١) .

وجواب الشرط فى قوله : **«إن كنتم صادقين»** محذوف، يدل عليه ما قبله. أى : إن كنتم صادقين فى إيمانكم فاعتقدوا أن المنة إنما هى لله - تعالى - عليكم، حيث أرشدكم إلى الطريق الموصل إلى الإيمان الحق .

وشبيه فى المعنى بهذه الآية قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - للأنصار فى إحدى خطبه : «يامعشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى، وكنتم متفرقين فألفكم الله بى، وكنتم عالة فأغناكم الله بى؟» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمَنّ. والحق أن هداية الله - تعالى - لعبده إلى الإيمان، تعد منَّةً منه - سبحانه - لاتدانيها منة، ونعمة لاتقاربها نعمة، وعطاء ساميا جليلا منه - تعالى - لايساميه أو يدانيه عطاء، فله - عز وجل - الشكر الذى لاتحصيه عبارة على هذه النعمة، ونسأله - تعالى - أن يديمها علينا حتى نلقاه .

٨ - ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة بقوله : **«إن الله يعلم غيب السموات والأرض، والله بصير بما تعملون»** .

أى : إن الله - تعالى - يعلم ما خفى وغاب عن عقول الناس من أحوال وشئون السموات والأرض، وهو - سبحانه - لايعزب عنه شىء من أقوالكم أو أفعالكم .

هذا، ومن كل ما تقدم يتبين لنا أن سورة **«الحجرات»** قد رسمت للناس معالم عالم كريم، تشع فيه الآداب السامية، والأخلاق العالية، والقيم الجليلة، وتختفى فيه أو تتضاءل ما يتعارض مع هذه المعانى الفاضلة، كالحقد، والغيبة، والتقاتل، والتفاخر بالأحساب والأنساب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٣٧٨ .

التفسير البيانى للقرآن الكريم

بقلم أ . د / عبد الغفار حامد هلال

قال تعالى : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ سورة البقرة آيه ـ ٨ ـ ١٢

المنافقون :

طائفة من البشر تظهر خلاف ما تبطن، وقد حكى القرآن الكريم صنيعهم فى صدر الدولة الإسلامية، وحالهم مع المؤمنين، وما كان لهم من تأثير ضار فى أنفسهم، وفى المجتمع الإسلامى آنذاك، وحذر القرآن منهم، وفضح شأنهم الذى كانوا يخفونه، ويوهمون المؤمنين بأنهم معهم مع أنهم على خلاف ذلك، وكان الوحى الإلهى الذى تجلى فى هذه الآيات كاشفا عن خفاياهم، وضمائرهم الخبيثة ليحذر منهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه، ينبه المجتمع الإسلامى فى كل زمان ومكان إلى الحذر من كل من يصطنع هذه الخصال، ويلبس تلك الثياب ويضمر السوء للأمة حتى يقيها من أخطارهم ومكائدهم وإفسادهم .

وتتناول هذه الآيات الكريمة عدة صفات للمنافقين :

١ ـ إظهار الإيمان وإبطان الكفر، والخداع والتمويه على حالهم السيئة .

٢ ـ تأصل الكفر وسوء النية فى قلوبهم .

٣ ـ إفسادهم فى الأرض .

وقد عبر المولى سبحانه عن الصفة الأولى بقوله: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ .**

فالمنافقون يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر.

والإيمان معناه: التصديق، والاعتقاد الجازم بوجود الله سبحانه، وهيمنته على الكون وهذا هو العنصر المهم للإيمان، كما أن العنصر الثانى هو التصديق بما جاء به النبى صلى الله عليه

وسلم مصدقا لما بين يديه من الكتب بالإيمان باليوم الآخر .

وإذا كان مصطلح اليوم الذى نعرفه هو الزمان الذى يبدأ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فإن المراد باليوم الآخر معنى يختلف عن ذلك .

وقد فسره العلماء بأحد احتمالين :

الاحتمال الأول : أن المراد باليوم الآخر الوقت الأخير من الزمان الذى يعقب كل الأزمان، وليس بعده وقت آخر ويقصد به وقت النشور، وإعادة الحياة إلى الأجسام، وخروجها من القبور للحساب إلى دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار .

والاحتمال الثانى : أن المراد باليوم الآخر الوقت الدائم الذى لا انقطاع له، وهذا هو الراجح .

ويجب التصديق بهذا اليوم الآخر، وما فيه من النشور والحساب والثواب والعقاب .

والمنافق يظهر الاعتقاد فى ذلك خلاف ما يضمر فى قرارة نفسه من عدم الإيمان .

ولذا نفى القرآن الكريم دعواهم، وكشف كذبهم بقوله : **﴿وما هم بمؤمنين﴾** .

وكان مقتضى السياق أن يقول : (وما آمنوا) لكن القرآن الكريم عدل عن التعبير بالفعل الماضى المنفى، وجاء بجملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر ثم نفاها بأداة النفى (ما) ولا شك أنه لو عبر بالماضى لدل على نفى صدق دعواهم فيه فحسب، وأنهم ربما يؤمنون بعد ذلك، ولكن القرآن الكريم أثبت انتفاء الإيمان عنهم فى جميع الأزمنة فهم غير مؤمنين ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وهذا لتعرية دعواهم الخادعة .

وقوله سبحانه : **﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾** يصور وجههم الظاهر، وحقيقتهم الباطنة تصويرا يبين الخداع الذى يعيشون فيه، ويبين ما تنطوى عليه نفوسهم من حقد على المؤمنين، وأمان سيئة ينشدونها .

وأصل الخداع أن يوهم الرجل صاحبه أنه معه وهو فى الوقت نفسه عليه، وهو يوهمه خلاف ما يريد به من المكروه ويظهر له غير ما يخفيه، وينشأ عن ذلك اغترار الصاحب، والمنافقون كانوا يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر ليوهموا المؤمنين أنهم معهم فيطلعونهم على أسرارهم، فينقلونها إلى أعدائهم، ويدبرون لهم المكائد، وكانوا حريصين ـ فى الوقت نفسه ـ على ألا يظهروا الكفر ـ وهم بين المؤمنين، حتى لا يصيبهم ما يصيب سائر الكفرة من عداء المسلمين لهم، ونزول المتاعب بهم .

والمخادعة : مفاعلة من الخداع بمعنى أنها تأتى للمشاركة بين طرفين، والواقع أن الخداع مستحيل بالنسبة لله تعالى، ولم يكن المؤمنون أيضا محلا للخداع، وإنما كان الخداع من طرف واحد هم المنافقون، فالمخادعة ـ هنا ـ من جانب واحد، ولذلك يقال : إن المفاعلة لم تأت على بابها بمعنى أنها تأت كما هو مقرر لها من المشاركة بين طرفين .

وهذا له نظائر فى اللغة، فأنت تقول : عاقبت الجانى، والعقاب من جهتك وحدك، ولا دخل للجانى فى عقاب نفسه، فلا مشاركة هنا كذلك .

وقد جاء في آية أخرى : **﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾** سورة النساء آية ١٤٢ ـ ١٤٣ .

فربما يتوهم متوهم أن الخداع نسب إلى الله تعالى فى هذه الآية، وهو ـ من حيث الظاهر ـ يناقض ما ذكرناه من أن الخداع مستحيل على الله تعالى، فنقول : إن الخداع الذى منعناه فى جانب الله هو المراد منه المكر والحيلة، وإظهار خلاف الباطن، لكن الخداع الذى ذكر فى هذه الآية منسوبا إلى الله تعالى بمعنى آخر وهو كشف ما يخبئونه، وفضح قبائحهم، وإظهارهم على حقيقتهم من الكفر، والعداء للمسلمين حتى يحذر منهم المجتمع الإسلامى، فالمنافقون أصحاب حيلة ومكر فى إخفاء حقيقة أمرهم، والله تعالى يكشف خداعهم، ويظهره، وشتان بين هذا وذاك .

فإذا سأل سائل : لم عبر بالخداع فى جانب الله هنا ولم يقل يكشف أو يظهر مثلا ؟ نقول : جاء لفظ (خادعهم) على أسلوب معروف فى اللغة العربية يسمى (المشاكلة)، فلما قال، **﴿يخادعون﴾** ـ فى أول الآية ـ ناسب أن يعبر عن إظهار الخداع بقوله (خادعهم) لتكون شبيهة بها فى اللفظ، ومن مادتها، ولكنهما مختلفان فى المعنى، وهذا مما يحسن الأسلوب، ويجمله .

ولذلك بين القرآن الكريم أن عاقبة هذا التمويه والتضليل تعود على المنافقين أنفسهم فقال : **﴿ومايخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾** فهم يظنون أن مكرهم وتدبيرهم لا يعلمه أحد غيرهم وهم بذلك يوهمون أنفسهم، فالحقيقة أن الله تعالى أذاع أخبارهم، وهتك أسرارهم .

ولذلك قال الله تعالى لنبيه عن المنافقين لما اغتر بهم وخدع بمظهرهم فكان ينصت إليهم، ويستمع إلى حديثهم **﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾** سورة المنافقون آية ٤ . فنبهه على عداوتهم المتأصلة .

وهذا الخداع أو التمويه يتم من المنافقين بتدبيرهم دون أن يكون لديهم إحساس بخطورته عليهم، وعودة عاقبته إلى حظائرهم، وهم يجهلون ذلك لأنهم فقدوا كل إحساس وشعور .

والشعور : هو إدراك الشىء الخفى، فهو مشتق من الشعر الدفنه، وقيل : **إن الشعور هو الإدراك بالحاسة** مشتق من الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد، ومنه مشاعر الإنسان التى هى حواسه الخمس التى يشعر بها، وهى السمع والبصر، والذوق، والشم، والفهم .

وقيل : شعر به : علم، ومعنى ذلك أنهم لا يحسون حتى ما يقع تحت حواسهم .

والعقل (**يشعرون**) حذف مفعوله ليفكر فيه السامع والقارىء أى ما يشعرون عاقبة أمرهم أو خداعهم أو غير ذلك مما يخطر على البال، وكان المراد نفى الشعور عنهم بكل صوره .

الصفة الثانية : تأصل الكفر وسوء النية فى قلوب المنافقين عبر عنها بقوله سبحانه : **﴿فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾** .

المرض حقيقة : ما يعرض للبدن من العلل التى تخرجه عن الاعتدال اللائق به، وتوجب الخلل فى أفعاله، فتمنعه من ممارسة وظائفه الطبيعية، وقد يؤدى بالإنسان إلى الموت .

استعير هنا لما فى قلوبهم من الجهل، وسوء العقيدة، وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه، ونحو ذلك مما فى نفوسهم من الشر والضلال .

ويمكن أن يقال : إن المعنى : فى قلوبهم ألم لما فاتهم من الرياسة حسدا للمجتمع الإسلامى الصاعد لما يرون من ثبات أمر المؤمنين واستعلاء شأنهم، وهنا يكون المرض على حقيقته، ولا مجاز فى الاستعمال .

وتفكير (مرض) للدلالة على كونه نوعا غريبا من الأمراض غير ما يتعارفه الناس .

ولما كانت حالهم التى هم عليها لا يؤثر فيها علاج أو دواء ناجح من وعظ الرسول لهم، وتذكيرهم، وتحذيرهم من عاقبة أعمالهم السيئة، وعقائدهم الفاسدة، وأنه لا أمل فى هدايتهم لما جبلت عليه نفوسهم الخبيثة ونياتهم الشريرة لكل ذلك زادهم الله غما على غم، وألما على ألم، ومنع عنهم كل خير، فأصبحوا ولا مأوى لهم إلا النار، والعذاب الأليم وهذا هو العدل الإلهى .

الصفة الثالثة : وهى ناشئة عما تقدم - إفسادهم فى الأرض باسم الإصلاح قال سبحانه : **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾** .

الفساد : خروج الشىء عن الوضع اللائق به من الصلاح ويقصد به هنا تهييج المنافقين للحروب والفتن وما يؤدى إلى ذلك من إفشاء أسرار المؤمنين إلى الكفار وإغرائهم بهم وإثارتهم عليهم وغير ذلك من فنون الشر التى تحفظ المجتمع من ويلاتها .

وكان المنافقون إذا حدثوا عن ذلك **﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾** فهم يتصورون إفسادهم إصلاحا، وهم لا يحسون لما فى قلوبهم من المرض والغشاوة التى على عيونهم على حد قول الله سبحانه **﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾** ولذلك جاء أسلوبهم بطريق القصر **﴿إنما نحن مصلحون﴾** فاستعملوا (**إنما**) ليفيد اعتقادهم أنهم لا يفعلون إلا الصالح من الأعمال، وأنهم يمحضون من شوائب الفساد، وقد رد الله تعالى عليهم منبها لهم باستخدام الأداة (**ألا**) ثم أتى بجملة اسمية مؤكدة بإن مشتملة على ضمير الفصل **﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾**، واستدرك قائلا: **﴿ولكنهم لا يشعرون﴾** مبينا بذلك السبب فى اعتقادهم أنهم يفعلون الأصلح مع أنه فى الحقيقة ليس كذلك .

وقد دل بهذه العبارة على أن الفساد من طبيعتهم، وأن السبب فى أنهم يقلبون الأمور أنهم فقدوا العقل المميز الذى يدرك حقائق الأمور، فقد نفى عنهم الشعور مع أنه يتعلق بالحواس مبالغة فى تجهيلهم، فالشعور الذى ثبت للبهائم منفى عنهم .

من أسرار الإعجاز فى الأسلوب القرآنى الكريم

الدكتور محمد أبو الأنوار

أسلوب القسم فى القرآن الكريم

لا يزال الحديث موصولا عن القسم فى القرآن الكريم، ومما يلفت النظر وجود حروف الهجاء فى مفتتح بعض سور القرآن الكريم (١)، وجاء بعض هذه الحروف فى صيغة المقسم به عند بعض العلماء (٢) مثل قوله تعالى : ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ ، ﴿ص ،والقرآن ذى الذكر﴾ ، ﴿ق والقرآن المجيد﴾ ، ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ .

وسوف نتوقف معها بمشيئة الله تعالى بالتوضيح والبيان بما يفتح الله تعالى من أقوال العلماء، وفهم ذوى الألباب طبقا لما تهدى إليه علوم القرآن الكريم ودراساتها .

لكن الموضوع الذى يسبق هذه الدراسة هو معرفة موقف العلماء الثقات ومنهجهم فى الحروف الهجائية التى جاءت فى مفتتح سور القرآن الكريم ابتداء من سورة البقرة وماتلاها، وقد بلغت تسعا وعشرين سورة جاء الافتتاح فيها على حرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف، أو أربعة أحرف، إلى خمسة أحرف فقط (٣) .

وابتداء فإن موقف العلماء من طريقة فهم هذه الحروف فى مفتتح السور اتجه إلى طريقين :

يرى بعض العلماء :

أن هذه الفواتح «علم مستور وسرّ محجوب استأثر الله تبارك وتعالى به» (٤) وأنها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله . ولهم فى ذلك أدلة من الآيات القرآنية، ومن الأخبار الصحيحة . ومن المعقول . نوضحها على النحو التالى :

أولا : أدلتهم من القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿**هو الذى أنزَلَ عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنَّ أمُّ الكتاب وأخر مُتَشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتَّبِعون ما تشابَه منه ابتغاء الفتنةِ وابتغاءَ تاويله وما يعلم تاويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنّا به كلّ مِنْ عِنْد ربّنا وما يذكّر إلا أُلو الألباب**﴾ (٧ ـ آلِ عمران) .

فالمتشابه من القرآن موجود بنص الآية الكريمة . ويرى هذا الفريق من العلماء أن الوقف فى القراءة واجب عند قوله تعالى فى الآية الكريمة : ﴿**وما يعلم تاويله إلا الله**﴾ . ولا يصحّ أن يكون قوله تعالى فى الآية : ﴿**والراسخون فى العلم ..**﴾ معطوفا على لفظ الجلالة فى قوله : ﴿**إلا الله**﴾ . لأنه يترتب على قبول العطف هنا خطأ فادح هو : أن بقية النص القرآنى فى الآية يقول : ﴿**يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا ..**﴾ وحينئذ يكون كلاما منقطعا لا يفيد معنى صحيحا .

وقد يقول قائل : هذا الكلام المنقطع معناه : «الحال» وهو محظور ؛ لأن صاحب الحال يكون كلّ ما تقدم فى قوله تعالى : ﴿**إلا الله والراسخون فى العلم**﴾ ويلزم من ذلك أن يكون الله تعالى قائلا :

« آمنا به كل مِنْ عند ربنا » . وهذا كفر صريح عند هذا الفريق من العلماء . وهناك مباحث طويلة فى تأكيد هذا الفهم وقبول فهم آخر، والحجج الأقوى هى التى تؤيد القول بالاستئناف وليس العطف (٥) .

ودليل آخر فى هذا السياق : هو : أن الراسخين فى العلم لو كانوا يعلمون تأويل المتشابه لما كان هناك وجه فى الكلام لوصفهم بالإيمان، بل لتخصيصهم بالوصف بالإيمان ؛ لأنهم إذا كانوا عرفوا المتشابه وفهموا دلالته لم يكن الإيمان به له منزلة يُمْتَدَحون بها، لأنهم يؤمنون بما هو معروف لهم . ومنزلة الإيمان فى سياق المدح تكون لمن أعطى كمال انقياده للّه تعالى . فالذى يؤمن عن علم ومعرفة يكون أقلَّ انقياداً للّه من الذى يؤمن دون توقّف إيمانه على معرفة عقلية سابقة للمتشابه، بل ينغمس فى انقياده للّه حيث وضّح سبحانه أنه : لا يعلم تأويله إلا الله . وأن الراسخين فى العلم يقولون : آمنا به لأنه من عند ربنا. وهذا النوع من الإيمان - فى هذا السياق - هو مُقتضى العقل حيث قال تعالى فى ختام الآية : ﴿**وما يذكّر إلا الو الألباب**﴾ .

ويرى هذا الفريق من العلماء : أن طلب التأويل لو كان يجب أن يُعلم قبل الإيمان، لماذمته الآية الكريمة نفسها عند قوله تعالى : ﴿**فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتَّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله**﴾ ؛ لأنهم يتلمسون الفتنة فى التأويل بملابسة الغموض الواقع فى المتشابه، والذى لا يعلم حقيقة تأويله إلا الله تعالى (٦) .

ثانيا : أدلّة هذا الفريق من العلماء من الخبر الصحيح :

نورد هنا بعض أدلتهم فى هذا السياق :

قال أبو بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه : « للّه فى كل كتاب سرٌ، وسرُه فى القرآن أوائل السّور » (٧) .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : « إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى » (٨) . وسئل الشعبى عن هذه الحروف فقال: « سرُّ الله » (٩) . وروى عن ابن عباس أنه قال : « عجزت العلماء عن إدراكها » (١٠) وقال الحسين بن الفضل : « هو من المتشابه » (١١) وذكر الفخر الرازى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : وروى أنه عليه السلام قال : « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا انطلقوا به أنكره أهل الغِرّة بالله » (١٢) .

ويزيد الفخر الرازى بعد هذا الحديث السابق قوله : « ولأن القول بأن هذه الفواتح غير معلومة . مروى عن أكابر الصحابة، فوجب أن يكون حقا، لقوله عليه السلام : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (١٣) .

ثالثا : الأدلة العقلية لهذا الفريق من العلماء :

يقول هذا الفريق : إن الأفعال التى كلفنا الله بها قسمان :

قسم منها نعرف وجه الحكمة فيه على الجملة بعقولنا . كالصلاة، والزكاة والصوم : **فالصلاة :** خضوع محض وتضرع للخالق سبحانه وتعالى، ورعاية للصلة الدائمة به تطهيرا للنفس وتزكية للقلب، وسعيا للاستقامة على الصراط المستقيم . **والزكاة :** سعى فى دفع حاجة الفقير، وتذكير للنفس بأن المال مال الله، وثقة فى سعة عطاء الله للعبد ﴿**وما انفقتم من شىء**

فهو يخلفُه وهو خير الرازقين﴾ (٣٩ . سبأ) (١٤).

وقسم آخر من الأفعال التى كُلِّفنا بها لا نعرف وجه الحكمة فيها معرفة محددة كأفعال الحج . فإننا لا نعرف مثلا بعقولنا وجه الحكمة فى رمى الجمرات، والسعى بين الصفا والمروة .. نعم نتلمس الفهم للوقوف على الحكمة فى ذلك لكن ما نفهمه ليس قطعى الدلالة، بل هو وجه من وجوه تلمس الحكمة .

● ويقول علماء هذا الفريق ـ الذى يرى أن الحروف فى مفتتح سور القرآن من باب المتشابه الذى يستأثر الله بعلمه ـ : «إنه كما يحسن من الله تعالى أن يأمر عباده بنوع من الأفعال نعرف وجه الحكمة فيه . فكذلك يحسن منه تعالى أن يأمر بالنوع الثانى من الأفعال التى لا نعرف وجه الحكمة فيها معرفة محددة. بل نتلمس وجودها لفهمها .

والحكمة فى التكليف على هذا النحو :

أن النوع الأول الذى نعرف وجه الحكمة فيه، لا تدلّ الطاعة للّه فيه على كمال الانقياد؛ لاحتمال أن تكون استجابة العبد للفعل نشأت لمّا عرف بعقله وجه مصلحته فيه .

أما النوع الثانى الذى لم يعرف العبد وجه الحكمة فيه ـ معرفة محددة ـ فإن استجابة العبد لفعله تدل على كمال الانقياد ومطلق التسليم للّه تعالى (١٥) .

وإذا صحّ هذا فى فهم أفعال العبادات؛ فلماذا «لا يجوز أن يكون الأمر كذلك» فى فهم الأقوال الصادرة عن الله تعالى لنا «وهو أن يأمرنا الله تعالى تارة أن نتكلم بما نقف على معناه، وتارة بما لا نقف على معناه» على نحو محدد ؟ (١٦) .

وهناك فكرة ـ أخرى فى هذا السياق ـ لا تخلو من فائدة فى نفع العباد وإقامتهم على الطاعة بدوام انشغال فكرهم بما عزّ عليهم فهمه من كتاب الله عزّ وجل :

«وهى أن الإنسان إذا وقف على المعنى وأحاط به [قلّ وقعه على قلبه] «وإذا لم يقف على المقصود مع [إيمانه] بأن المتكلّم بذلك [هو الله تعالى] أحكم الحاكمين [فإن قلبه يبقى] ملتفتا [إلى هذا المعنى أبدا ويبقى] متفكرا فيه أبدا [وهذا ينسجم تماما مع جوهر التكليف فى الشريعة لأن] لباب التكليف إشغال السرّ بذكر الله تعالى والتفكر فى كلامه» .

[فليس يبعد على العقل أن يدرك أن الله تعالى أراد أن يبقى العبد] «ملتفت الذهن مشتعل الخاطر» بفهم وتبصّر النص القرآنى الذى بَعُد عليه أو تشابه لديه، وفى هذا الإبقاء ـ من الله تعالى ـ لعبده مشدود الذهن والقلب إلى غايات ذوى البصائر فى فهم القرآن الكريم، فيه مصلحة عظيمة للعبد؛ لأنه يكون موصول العبادة للّه بجوهر لبابه من العقل والفكر والقلب والوجدان . وكم دعا القرآن الكريم إلى التفكر والتدبر والنظر ؟! وهذا نوع منه . ومما يعزز ذلك ويلفت النظر إليه قوله تعالى فى ختام الآية : **﴿وما يذكّر إلا اولو الألباب﴾** (٧ ـ آل عمران) (١٧) . وجاءت الآية الثامنة بعدها تقول حكاية عن الراسخين فى العلم : **﴿ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدُنْكَ رحمة إنك انت الوهّاب﴾** (٨ ـ آل عمران) . يقول الفخر الرازى فى سياق حديثه عن هذه الآية الكريمة : «واعلم أنه تعالى كما حكى عن الراسخين أنهم يقولون : آمنا به، حكى عنهم أنهم يقولون : «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا ...» وحَذَفَ يقولون لدلالة الأول عليه ...» (١٨) .

■ هناك فريق آخر من العلماء . يرى أنه لا يجوز أن يَرِدَ فى كتاب الله تعالى ما لا يكون مفهوما . ولهم فى ذلك أدلة من القرآن الكريم ومن الأخبار الصحيحة ومن الأدلة العقلية . وهذا موضوع المقال التالى بمشيئة الله تعالى .

الهوامش :

(١) فى إحصاء الحروف وعدد السور التى وردت بها ، انظر : الفخر الرازى ١٣/٢ ط دار الفكر بيروت ط سنة ١٤٠٥ هـ ـ سنة ١٩٨٥ م .

(٢) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١٥٩/١٥ . تحقيق المجلس العلمى بفاس ط ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

(٣) الفخر الرازى ١٣/٢ .

(٤) السابق ٣/٢ .

(٥) انظر ما ذكره المفسرون فى وجوب الوقوف فى القراءة عند قوله تعالى : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ . «والراسخون ...» مستأنف . وكذلك ما ذكروه عن قبول عطف النسق، وكذلك ما ذكر أصحاب دراسات علوم القرآن :

- الفخر الرازى ١٩٠/٧ ـ ١٩٣ .
- الجامع لأحكام القرآن . للقرطبى ١٦/٤ ـ ١٩ .
- جامع البيان لابن جرير الطبرى ١٨٢/٣ ـ ١٨٦ .
- روح المعانى للألوسى ٨٣/٢ (دار الفكر) .
- «الجواهر» للشيخ طنطاوى جوهرى ٤١/٢ .. دار إحياء التراث العربى بيروت سنة ١٩٩١ .
- البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٧٢/٢ وما بعدها . تحقيق محمد أبو الفضل ط ٣ دار الفكر القاهرة .
- الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٥/٣ ومابعدها تحقيق محمد أبو الفضل دار التراث القاهرة ط ٣ سنة ١٩٨٥ .

(٦) الفخر الرازى ٥/٢ ـ ٦ (مع زيادة وتمحيص فى الفهم والعرض) .

(٧ ـ ١١) النصوص نقلها الفخر الرازى ٣/٢ .

(١٢) الفخر الرازى ٥/٢ . وتابعتُ الحديث فى باب «العلم» فى البخارى فلم أجده، وكذلك تابعت المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى فلم أجده، ومعنى ذلك أنه ليس فى المصادر التسعة للمعجم المفهرس .

(١٣) الفخر الرازى ٥/٢ .

(١٤) السابق ٥/٢ مع اتساع فى فهم المادة وعرضها .

(١٥) السابق ٦/٢ مع سعة فى الفهم والعرض والتحليل .

(١٦) السابق بتصرف وسعة فى العرض والتحليل .

(١٧) السابق بتصرف وسعة فى الفهم والعرض والتحليل .

(١٨) الفخر الرازى ١٣٧/٧ . والقرطبى ١٩/٤ .

الكتاب الأكثر تميزا

«لايزال القرآن، فى واقع الأمر يشتهر إلى اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزاً وسمواً، الذى كتب بهذه اللغة (العربية). لقد ألصقنا بالقرآن ما لانهاية له من السفاهات التى لم تكن به على الإطلاق. لقد كان هذا موجهاً بالدرجة الأولى ضد الترك الذين أصبحوا من أتباع محمد ، فكتب رهباننا الكثير من كتب المطاعن هذه، إذ لم تكن هناك وسيلة تمكنهم من مواجهة فاتحى القسطنطينية، خلاف ذلك. كما أن مؤلفينا والذين هم فى كثرتهم الهائلة أكبر عدداً من جنود الانكشارية، لم يجدوا صعوبة تذكر فى جعل نسائنا تقف فى صفهم.

لقد أقنعوهن بأن محمداً لم يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكية، وأنهن جميعاً إماء وفق شريعة القرآن، ولن ينلن أى خير فى هذه الحياة، وفى الحياة الأخرى لا نصيب لهن فى الفردوس على الاطلاق.

من الواضح أن كل هذا كذب وبطلان اعتقدوا فيه بكل قوة.

كان يكفى مع ذلك قراءة السورتين الثانية والرابعة من القرآن، حتى يهتدى الناس إلى الحق.

فولتير

الصحابة .. فى القرآن الكريم

الدكتور مصطفى رجب

تحدث الكتاب العزيز عن الصحابة رضوان الله عليهم فى مواضع كثيرة كقوله تعالى فى سورة المائدة.
« يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » . المائدة / ٥٤.

وقد روى الحاكم فى المستدرك أن الرسول صلي الله عليه وسلم عندما نزلت هذه الآية أشار إلى أبى موسى الأشعرى وقال « هم قوم هذا » كما تحدث القرآن عن بعض القبائل التى أظهرت تمسكها بالدين وحبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل جهينه ومزينة - فيما يروى الامامان الجلالان - اللتين نزل فيهما قوله تعالى : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم » التوبة . ٩٩.

إلا أن هناك آيتين امتازتا بأنهما تناولتا بصورة مباشرة أوصاف صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وجزاءهم ومكانتهم عند الله، وعلى هاتين الآيتين وما آزرهما من أحاديث شريفة بنى العلماء أحكامهم الخاصة بالتعامل مع الصاحبة، وما ينبغى من التأدب عند ذكرهم.

أما أولاهما : فهي قوله تعالى :

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » التوبة / ١٠٠.

والثانية : قوله تعالى :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء علي الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوي على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » . الفتح . ٢٩.

هاتان الآيتان هما الأصل فيما ينبغى على المسلم من التأدب مع الصحابة جميعا فإن الله عز وجل اختارهم لصحبة نبيه ونقل رسالته لمن بعدهم من الأجيال المسلمة وإلحاق العيب أو النقص بهم فيه غمز في الشريعة عموما لأنهم كانوا وسيلة نقلها.

وقد دأبت فرق ضالة على الطعن فى كبار الصحابة الذين تواترت الأخبار بتعظيم مكانتهم وتقدير الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لمواقفهم معه . روى الإمام البغوى رحمه الله فى تفسيره (معالم

التنزيل - جـ ٥ص ١٩١) عن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلى فى الجنة، وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة) وروى عن أنس بن مالك عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال: «أرحم أمتى بأمتى أبوبكر، وأشدهم فى أمر الله عمر، وأصدقهم حياء، عثمان، وأفرضهم (أى أعلمهم بالفرائض وهي المواريث) زيد ابن ثابت، وأقرؤهم أبى بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» وعن عبدالله بن مسعود عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال «اقتدوا بالذين من بعدى من أصحابى: أبى بكر وعمر، واهتدوا بهدى عمار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد». وعن الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال «عهد إليَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لايحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

ماذا يريدون من الطعن فى الصحابة ؟.

والذى يعجب له الإنسان السوى أن يأتى قوم متأخرون عن عصر الصحابة الزاهر فيطلقون ألسنتهم الشائهة وعقولهم التائهة فى أولئك؛ النفر الكرام الذين مدحهم الله جل شأنه من فوق سبع سماوات فوصفهم بأنهم:

١ - أشداء على الكفار: لا يمالئون ولا يهادنون ولا يشجبون ويكتفون بالثرثرة، بل جاهدوا فى الله حق جهاده وكان الواحد منهم يحب الله ورسوله أكثر من حبه لأبيه أو ابنه، وكانوا يفتدون دين الله بأرواحهم وأموالهم.

٢ - رحماء بينهم: يرحم بعضهم بعضا، وينزل الواحد منهم لأخيه عن ماله وأرضه بل وأحيانا ترك بعض الأنصار خير أزواجه ليتزوجها المهاجر من إخوانه المؤمنين.

٣ - رُكَّع سُجَّد: كناية عن كثرة صلاتهم وعبادتهم.

٤ - يبتغون فضلا من الله ورضوانا: لايطلبون متاعا دنيويا زائفا، ولا نعيما مؤقتا زائلا، وإنما يطلبون الجنة ورضا الحق عنهم.

٥ - سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ووصف الأنصار بأنهم «يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا»: أى لايجدون فى صدورهم غيظاً ولا حسداً ولا حزازة مما كان يناله المهاجرون من الفىء وذلك حين قسم الرسول صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئا منها، فطابت أنفس الأنصار بهذه القسمة ايثارا منهم لأخوانهم الضعفاء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق فكانت النتيجة أن امتدح الله تعالى صنيعهم هذا فى آيات بينات تظل تتلى لتخلد لهم هذا الموقف الإنسانى النبيل، كيف يقبل مسلم لم يأت بعشر معشار ما أتى به هؤلاء العظماء أن يجرحهم أو يستدرك عليهم أو يطعن فى عدالتهم؟.

إن الأهواء الفاسدة، والنفوس المريضة هى التى تقف وراء من لايرضون عمن رضى الله عنهم ورضوا عنه وشياطينهم تزين لهم أن ذلك من الدين !!!

حساسية الصحابة تجاه الرسول الكريم

روى البخارى وأحمد وغيرهما عن أنس رضى الله عنه قال (واللفظ لأحمد): «لما نزلت هذه الآية: «يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى - إلي قوله وأنتم لا تشعرون» الحجرات.٢، وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال: «أنا الذى كنت أرفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم !! أنا من أهل النار!! حبط عملى !!، وجلس فى أهله حزيناً ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى افتقده وسأل عنه حين لم يجده فى مجلسه) فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم. مالك ؟ قال: «أنا الذى أرفع صوتى فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم وأجهر له

بالقول ! حبط عملي ! أنا من أهل النار! فأتوا النبى صلي الله عليه وسلم فأخبروه بما قال فقال النبى صلي الله عليه وسلم «لا بل هو من أهل الجنة». قال أنس رضى الله عنه : فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة. فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس مرة ثانية وقد تحنط ولبس كفنه فقال : بئسما تعودون أقرانكم. فقاتلهم حتى قتل هذه القصة وعشرات أمثالها مبثوثة فى كتب السيرة والسنة تدلنا على مدى ما كان يتمتع به الصحابة رضوان الله عليهم من حساسية ورهافة حس فى معاملتهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر العلماء عند تفسير آية الفتح (محمد رسول الله والذين معه) أن رجلا كان ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصر الإمام مالك ابن أنس فذكروا أمره فى مجلس مالك فقرأ الإمام رحمه الله هذه الآية حتي بلغ قوله تعالى : «**يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**» فقال مالك: «من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية «نقل القرطبى هذه الرواية عن الخطيب البغدادى ثم عقب عليه بقوله «لقد أحسن مالك فى مقالته وأصاب فى تأويله، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، قال الله تعالى : «**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » الآية . وقال «**لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**» وقال «**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**» وقال «**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا**» إلى قوله : «**والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا إلي قوله : فأولئك هم المفلحون**». فالآيات القرآنية. شهدت للصحابة جميعا بأنهم مرضى عنهم من رب العالمين وبأنهم مفلحون وصادقون. فكأن من يذم صحابيا يرفض خبر القرآن ويعطى نفسه حق الحكم على رجال رفع الله تعالى مكانتهم فوق أحكام الرجال حين حكم هو عزوجل عليهم بأنهم من الصادقين وأنهم هم المفلحون.

ومكانتهم فى السنة سامية أيضا :

فقد ثبت فى الصحيح المتفق عليه قوله عليه الصلاة والسلام «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم» وقوله عليه الصلاة والسلام «لاتسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه» وروى البزار عن جابر مرفوعا صحيحا أن الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى من أصحابى أربعة ـ يعنى الخلفاء الراشدين ـ فجعلهم أصحابى». ونقل القرطبى حديث عويم بن ساعدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ان الله عز وجل اختارنى واختار لى أصحابى فجعل لى منهم وزراء وأختانا وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً».

وعن عمر بن حبيب قال «حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسألة تنازعها الحضور وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم : لايقبل هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا (أى عمر ابن حبيب) : الحديث صحيح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبى صلي الله عليه وسلم، فنظر إلى الرشيد نظر مغضب وقمت من المجلس فانصرفت إلى منزلى. فلم ألبث حتى قيل لى : صاحب البريد بالباب. فدخل فقال لى : أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول. وتحنط وتكفن فقلت : «اللهم إنك تعلم أنى

دفعت عن صاحب نبيك ، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمنى منه » فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسى من ذهب حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع. فلما بصربى قال لى : ياعمر ابن حبيب ما تلقانى أحد من الرد والدفع لقولى بمثل ما تلقيتنى به فقلت يا أمير المؤمنين إن الذى قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي ما جاء به اذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام فى الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول. فرجع الرشيد إلى نفسه ثم قال : « أحييتنى ياعمر بن حبيب أحياك الله ». وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

فماذا عن الفتنة الكبرى ؟

وقد كانت الفتنة الكبرى التي حدثت عقب مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه هى أساس التعصب السخيف الذى خاض فيه بعض ضعاف النفوس من المتشددين لكل فريق ، فالذين أحبوا عليا رضى الله عنه تطرف بعضهم فى حبه حتي تطاول على الشيخين وعلى عثمان بن عفان ، والذين أبغضوا عليا رضى الله عنه من الحرورية بالغوا فى بغضهم وكراهيتهم مع أنهم يعلمون صحة حديث « عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ».

والرأى الأصوب فى هذه الفتنة هو ما قاله بعض أخيار السلف حين سئل عنها فقال : « تلك حرب طهر الله منها سيوفنا فلنطهر منها ألسنتنا » وسئل آخر عنها فقرأ قوله تعالى : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ».

قال الإمام ابن كثير فى تفسير آية سورة الفتح « محمد رسول الله والذين معه » ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه فى رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضى الله عنهم قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضى الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك.

وقال الإمام القرطبى : « لايجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به. إذ كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة. وقد تُعبِّدنا بالكف عما شجر بينهم « وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة ولنهى النبى صلي الله عليه وسلم عن سبهم وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضا عنهم ».

هذا مع ما ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبى صلى الله عليه وسلم من الأخبار أن طلحة شهيد يمشى على وجه الأرض. فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً لم يكن بالقتل فيه شهيدا. وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ فى التأويل وتقصيراً فى الواجب عليه. لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل فى طاعة.

ومما يدل علي ذلك ما قد صح وانتشر من أخبار على بأن قاتل الزبير فى النار وقوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بشر قاتل ابن صفية بالنار » واذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال. لأن ذلك لو كان كذلك لما جاءت البشارة بأن طلحة شهيد وبأن قاتل الزبير فى النار. وكذلك من قعد من الصحابة ولم يشترك فى الحرب فهو غير مخطئ فى التأويل.

والخلاصة : أن من الواجب على كل مسلم أن ينزه نفسه عن الوقوع في أكبر خطأ وهو الطعن فى هؤلاء الرجال العظام الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه. رحمهم الله وألحقنا بهم على مرضاة الله وحب رسوله.

الإنسان في القرآن الكريم

الشيخ منصور الرفاعى عبيد

الإنسان هو خليفة الله فى الأرض. استخلفه فيها بعد أن زوده بطاقات ومنحه من الخصائص ماتميز بها عن غيره من الكائنات. بل إن الحق سبحانه كرم الإنسان وفضله عن جميع المخلوقات وألهمه النطق وعلمه البيان وأودع فيه العقل وبه يميز بين الخير والشر والنافع والضار والنور والظلام. والإنسان اجتماعى بطبعه. لذلك لم يترك القرآن الإنسان يمشى على غير هدى، وإنما حدد له منهجا ووضع له آدابا تنمى روابطه وتحفظ تعاونه، وتصون الحق له، وتؤسس العدل بين أفراده لأن الإنسان يحيا فى كون الله الواسع وكل شىء حوله يذكره بالله وآياته وقدرته وعظمته.

وقد يغفل الإنسان عن ذلك وعن أن يتأمل فى نفسه فنرى القرآن يسهم بقدر كبير فى الحديث عن الإنسان وأصل نشأته وكيفية تدرجه ونموه والرعاية له فى جميع أطوار حياته، حتى يتعرف من خلال ذلك على أثر القدرة الإلهية والعظمة الربانية. فيهتف من أعماق نفسه، (ماشاء الله لاقوة إلا بالله سبحانه ربى الخالق القادر) وإلى ذلك يشير قول الحق سبحانه: **(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)** .

وأمام الوصول إلى الحقيقة علينا أن نتابع السير ونقرأ فى القرآن الذى أولى عنايته بالإنسان وبدايته وهناك سؤال هو: كم تبلغ من العمر؟ خمس سنوات . سبعون سنة. وما بين ذلك. تدرجا من الأدنى إلى الأعلى ماذا كنت قبل ذلك؟ انظر إلى الطفل الرضيع وتأمل فيه هل يستطيع أن يطرد الذباب الذى يقف على وجهه. بل انظر إلى أبعد من ذلك. هذه المرأة الحامل. إن القرآن يثير تلك الأمور لينبه الإنسان إلى بداية نشأته وأصل تطوره. وإلى ذلك يشير قول الحق سبحانه: **(فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب)** سورة الطارق آية ٥ ـ٧ .

والقرآن الكريم يثير تساؤلا ويجيب عليه لينير الطريق لحوار داخل الإنسان، يؤصل فى نفسه أصل النشأة فيقول: **(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكور)** سورة الإنسان آية ١ .

نعم جاء على الإنسان هذا الحين. إذن من أنشأه. ويجيب القرآن على لسان الحق : **(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)**

سورة الإنسان آية ٢.

ولكن كيف تم هذا الخلق على هذا النسق العجيب. وهو غير مسبوق بشبيه. وما مراحل التكوين من بدايته إلى أن يصبح بأمر ربه خلقا آخر؟ يقول القرآن: (**يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث**) سورة الزمر آية ٦.

إن الإنسان وهو محاط بظلمات ثلاث. هن: ظلام البطن. ظلام الرحم. ظلام التغليف الرقيق الذى يغلف به الإنسان وهو فى بطن الأم، حتى لايصاب بالتلوث والتعفن أو يصاب بضرر من الفضلات، التى تطرد إلى الخارج من بطن الأم فمن الذى يحفظه ويمده بالغذاء؟ سؤال على العاقل أن يقف أمامه طويلا. وسرعان مايجد الرد من القرآن الكريم: (**ألم نخلقكم من ماء مهين. فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم**) سورة المرسلات الآيات ٢٠ - ٢٣.

ثم تكون الإجابة أوضح وأشمل بعد أن أثار فيك الشوق إلى المعرفة الحقيقية. فيقول القرآن: (**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما. فكسونا العظام لحما. ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**). سورة المؤمنون آيات ١٢، ١٣، ١٤.

ثم يذكرنا القرآن بعظمة الله وقدرته فيقول: (**خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير**) سورة التغابن آية ٣.

تلك هى البداية فى المرحلة الأولى لتكوين الإنسان. وهذه المرحلة يهتم بها القرآن ويعتنى أكرم عناية، ثم هو حفى بشرف التربية التى ينشأ فيها، والأرحام التى يتطور فيها. وينشأ فى قرارها. إن الإنسان قبل أن ينزل إلى الدنيا لابد أن تهيأ له البيئة الطيبة. والمناخ الصالح والأسرة التى ترعاه وأبوة حانية تحوطه، وأصل يمتد به نسبه ويفخر به بين أقرانه. والقرآن فى سبيل ذلك يمنع الأسباب التى تؤدى إلى إفسادها. لذلك حرم الزنا. واعتبره جريمة بشعة فى حق الإنسانية كلها. فيقول القرآن: (**ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا**) سورة الإسراء آية ٣٢.

بل ذهب إلى أبعد من ذلك فسد المنافذ التى توصل إلى ذلك. فأمر بغض البصر وعدم تتبع العورات، لأن ذلك يحرك كوامن الشهوة. ويؤجج نار العاطفة المسعورة. فيكون الانحراف الذى يؤدى إلى فساد البيئة وتلويث المناخ. فقال القرآن: (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم. ويحفظوا فروجهم ذلك أذكى لهم**) سورة النور آية ٣٠.

والتوجيه كما للرجال هو كذلك للنساء: (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**) سورة النور آية ٣١.

أليست هذه عناية كاملة بتهيئة المناخ الطاهر وصيانة التربة الشريفة التى ينبت فيها الغرس ليكون كريما، ينتمى إلى أسرة محفوفة بالطهر محصنة بالعفاف؟ أليست هذه أكبر عناية بالإنسان قبل أن يتدرج فى الخلق. بل قبل أن تحمله الأمهات فى الأرحام؟ صيانة. وعفة وطهارة. وضع القرآن قواعدها وحدد العناية لها وهى أن يتصرف الشخص على أبيه فيدعى به ويعتز بين أقرانه ولسان حاله يترجم

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم.

إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ثم يهتم القرآن بأم الطفل «الأمومة» ويجعل البر بها به ممتدا لاينقطع. ولايجعل للمشاكل التى قد تنشأ بين الزوج وزوجته أى تأثير على حقها، أو حق الوليد

الذى لم تستقبله الدنيا بعد، ولك أن تتأمل حديث القرآن فى ذلك. إذا نشب خلاف بين الزوجين. هل تطرد الزوجة ويرمى بها فى الشارع، تتلقفها الكلاب الجائعة والنفوس الضائعة وتروى زرع الزوج بماء الغير؟ لا - يقول القرآن: على الزوج أن يوفر سكنا مناسبا فيه كل شىء فى بيت الزوج حتى لاتحتاج لأحد. واقرأ فى القرآن: **(أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن. وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن)** سورة الطلاق آية ٦.

وبعد الوضع ماذا تكون النتيجة ومن يقوم بحق الوليد ورعايته؟ يحدد القرآن ذلك فيقول: **(فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف)**.

إن ذلك توجيه لينفق على زوجته وولده. وحث للأم كى لاتنسى أمومتها، ثم هو فى نفس الوقت عناية بالطفل، وإلى هذا يشير: **(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله. لايكلف الله نفسا إلا ماآتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا)** سورة الطلاق آية ٧.

إن القرآن يحاول دائما أن يجنب الأسرة أسباب الخلاف. ويذكرها بالرحمة والعهد المأخوذ عليها. وجاء فى ذلك: **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة. وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام. إن الله كان عليكم رقيبا)** سورة النساء آية ١.

ويقول: **(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذنا منكم ميثاقا غليظا)** النساء الآيتان ٢٠ - ٢١.

والقرآن دائما يشير دواعى الحب والرحمة بين الزوجين، ويعمل على توطيد الألفة والمودة بينهما فيقرر: **(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات)** النحل الآية ٧٢.

ويقول: **(هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها)**.

ويقول: **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها. وجعل بينكم مودة ورحمة)**.

ويقول: **(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) ويقول: (وعاشروهن بالمعروف)** أليس كل ذلك مما يوصل قيم الحب والتعاطف بين الزوجين؟ ما أجل وأبر وأكرم تلك الرعاية التى يوليها القرآن للأسرة بعد أن حصنها بالطهر وأسسها على الفضيلة... فتعالوا بنا نتابع سير القران معه. اكتمل الحمل وآن لهذا الجنين أن ينزل إلى ساحة الكون الواسع، يحكى القرآن تلك اللحظة فيقول: **(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)**.

ويقول: **(قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون)** وقدم السمع لأنه ثبت أن الجنين يسمع قبل أن يبصر. ويبصر قبل أن يعقل. ويدرك. وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلا قليلا، كلما كبر زيد فى سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده، ويولد الإنسان وهو فى أشد حالات الضعف ثم تنمو قوته شيئا فشيئا. ثم يعود إلى الضعف ويزداد المشيب بعد تقدم السن فيقرر القرآن ذلك فيقول: **(هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا**

أشدكم ثم لتكونوا شيوخا).

وقوله: **(الله الذى خلقكم من ضعف. ثم جعل من بعد ضعف قوة. ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة. يخلق مايشاء وهو العليم القدير).**

إن الطفل بعد خروجه إلى المجتمع ينظم القرآن أموره فيوجه النظر إلى العناية بإرضاعه والسهر على راحته، وذلك فى قوله: **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس إلا وسعها لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك).**

أرأيت تلك الضوابط المحدودة للمهمة الأولى فى حياة الطفل؟ تأمل مدى العناية التى أولى القرآن الإنسان إياها منذ نشأته ورضاعته وحضانته، وتوفير المودة بين أهله. فإذا فقد الطفل أحد أبويه أو كلاهما فإن القرآن ينظم الحقوق التى تتعلق بالميراث أدق تنظيم. ويطلب رعاية اليتيم والبر به ويحذر من أكل مال اليتيم فى قوله: **(إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)** ويقول: **(وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولاتأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا).**

ثم يحذر القرآن من أكل أموال اليتيم ويثير النفوس بما يحركها مما هو واقع فى دنيا الناس، فإن من أكل مال يتيم ربما يتعرض أولاده لليتم. ويأكل غيره أموال أولاده. لذلك هو يلفت النظر ويرقق القلوب بتقرير الواقع الذى قد تغفل عنه النفوس، فيقول: **(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا).**

ثم إن الطفل قد يخرج للحياة فيتعرض للضياع بسبب فقر الوالدين لأنهما لم يستطيعا أن يحيطا الوليد بالرعاية بسبب ضيق الرزق. هنا يأتى التكافل الاجتماعى ليقوم بدوره للتوسعة على الأبوين حتى يتمكنا من رعاية الوليد. ولذا يقرر القرآن أنه لايجوز للأب أن يتخلص من المولود مهما كان الأمر، لأن الزكاة فيها متسع لمثله. فيقول: **(قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم)**.

كما يجمع بين عبادة الله وبين الإحسان إلى الأيتام فى آية واحدة وذلك فى قوله: **(واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وما ملكت أيمانكم).**

إن على الحاكم إذا لم يقم الأقارب بالإنفاق على اليتيم أو الفقير، أن يأخذ من أموال الأغنياء مايسد به حاجة الفقراء حتى لايكون الفقر سببا لحمل الأب على التخلص من الوليد، لأن القرآن يقرر أن القانون فى ميزان الحق هو: **(أنه من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا)** فيكشف أن من قتل نفسا فهو قتل الناس جميعا ولابد من حماية المجتمع قبل أن تدب فيه الفوضى. وما أعظم هذا التوجيه وتلك الرعاية للإنسان الذى خلقه الله واستخلفه فى الأرض ليعمر الكون، وفقا لمنهج الله الذى حدد معالمه فى القرآن الكريم الذى هو بحر زاخر لاتنقضى عجائبه ولاتحد جوانبه. من قال به صدق ومن حكم به عدل. ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم.

دراسات فى السنة المطهرة

- أحبـــــــــاء الله والنـــــاس
- نقد الجامع الصحيح للإمام البخارى

أحباء الله والناس

الشيخ إبراهيم الدسوقى

ثمرة الإيمان

إنه الإيمان الذى يصنع المعجزات ويجمع القلوب على التوحيد بعد شتات ويؤلف بينها فى وحدة صلبة لا تنال منها العواصف ولا تتأثر بالملمات أو النائبات وتكتمل به في المؤمن جميع المحامد والمكرمات. يقول صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويقول من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان.

أما الوجه الآخر فإنه يتمثل فى علاقات المنافع وصلات الأغراض والمصالح، هذه العلاقة باقية ما حققت لصاحبها ما تصبوا إليه نفسه المريضة من غايات ومآرب حتى إذا جفت ينابيع العطاء الذى ينعم به تلاشت كل الروابط التى بها تواصلوا وتوادوا وعصفت بها ريح الجفوة وصارت كأنها لم تكن وتبددت كل العلائق التى كانت تقود مسيرة الحياة بينهما.

أمثال هؤلاء الإحسان إليهم يستهويهم واسداء المعروف يسرهم وتزداد به مودتهم فإذا حرموا ذلك أودالت دولة من كان ذا فضل عليهم فى شدتهم تجاهلوا ماضيهم ونسوا مآسيهم وتنكروا لكل يد امتدت بالخير إليهم وأشاحوا عنهم بوجوههم واعطوهم ظهورهم وكأنهم لا يعرفونهم يقول صلى الله عليه وسلم لم يشكر الله من لم يشكر الناس «كما يقول صلى الله عليه وسلم» من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعو له بخير حتى يعلموا أنكم قد كافأتموه ذلك ما يدور بين الناس ويبقي بعد ذلك أمر أشد خطورة وهو إذا ما ابتليت المجتمعات بامثال هؤلاء الجاحدين وما يصيب الأمة من بلاء على أيديهم.

إنهم من منطلق شحهم وأنانيتهم لا يرقبون فى الأفراد ولا فى الأمة إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون. لا يهمهم أن يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ولو كانوا أقرب الخلق إليهم أو كانوا من ذوى رحمهم فلا يهمهم أمر الأرض التي تقلهم والعمل على إصلاحها والوطن الذى يؤويهم ويحمي مقدرات حياتهم والذى تربوا في أحضانه حتى بلغوا أشدهم فصاروا يبتزون من الخير كل ما يتاح لهم وإذا دعوا إلى عمل نافع أو مشروع ناجح تولوا واعرضوا. وربما تظاهروا بالعجز وهم أقوياء وبالفقر وهم أغنياء وبالمرض وهم أصحاء حتى لا تمتد أيديهم بالعون أو يشاركوا بالعطاء أو يظهروا أى لون من الولاء والانتماء نسأل الله أن يقنعنا بما رزقنا وألا يفتننا بما زوى عنا.

معنى الزهد فى الدنيا

وقوله صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله: يقول الإمام الغزالى: الزهد مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل وتعلم يقتضى أن تعلم أن المتروك أدنى رتبة

من المأخوذ والحال انصراف الرغبة عن الشئ إلى ما هو خير منه وهو الزهد والعمل وهو المرغوب فيه وهو خير من المتروك وهو الثمرة فالزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة وذلك لا يمنع أن تكون الدنيا فى يده ولا يتعلق بها قلبه تعلقا يصرفه عن العمل للآخرة. أو عن غير الله عدولا إلي الله وهى الدرجة العليا قال تعالى: «**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**» (التوبة ١١١) فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا الفانية والآخرة الباقية تقوى الرغبة فى الآخرة حتى أن من قوى يقينه يبيع نفسه وماله ابتغاء مرضاة ربه.

وقد جاء فى المصباح أن الزهد شرعا أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل. فهو أخص من الورع وهو زهد المشتبه. وكان من دعاء سفيان الثورى اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها ومفاد ذلك أن طلب الحلال من الدنيا قل أو كثر أمر مرغب فيه وقد أمر الحق سبحانه بعمارتها والعمل في استنباط ما أودع الله فى باطنها من كل ما ينفع الإنسان كما رأينا من قبلنا من رسل الله وكان منهم الزارع والصانع كما عمل صلى الله عليه وسلم في التجارة صغيرا وجاء فى التنزيل الدعوة للترغيب فى الكسب قال تعالى: «**يا أيها الذين أمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم**» (النساء ٧٩).

وأخرج الترمذى والحاكم من حديث أبى مسعود قال صلى الله عليه وسلم: (التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء) وروى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية قال صلى الله عليه وسلم: (من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة) وقال صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق) رواه إبراهيم المدني حديث أبى نعيم بن عبد الرحمن (تسعة أعشار الرزق فى التجارة) ورجاله ثقات كما رغب صلى الله عليه وسلم فى الصناعة حيث قال: أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح كما قال رب العزة عن داود عليه السلام: «**وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم**» (الأنبياء ٨٠).

يعنى فى القتال: قال قتادة: كانت الدروع قبله صفائح وهو أول من سردها حلقا كما قال تعالى: «**وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا**» (سبأ (١٠، ١١)).

وقيل لأحمد بن حنبل ما تقول فيمن جلس فى بيته أو مسجده وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتينى رزقى فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم وجعل رزقى تحت ظل رمحى رواه أحمد وقوله صلى الله عليه وسلم حين ذكر الطير قال: تغدو خماصاً وتروح بطاناً أى أنها تعدو فى طلب الرزق.

وإذ كان رب العزة تبارك وتعالى قد أودع الأرض أقوات البشر فقد كان من أهم ما به قوام حياة الإنسان الثروة الزراعية التى امتن الله بها على عباده ونسبها إلى نفسه تنزيهاً بشأنها وتقديرا لفضلها وتوجيها للأنظار إلى نفعها ثم إلى شكرها. قال تعالى: «**أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون**» (الواقعة ٦٤-٦٧).

وذلك بأنها أساس الثروة بل وأساس الثروة الصناعية والتجارية ولا شك أن الإنسان إذا اطمأن إلى كفايته فإنه لا يطمع إلى كسب المال من غير حله فيستتب الأمن ويسود السلام ويعم الرخاء فضلا عما يكرمه الله به من المثوبة يوم القيامة وإلى ذلك يشير صلي الله عليه وسلم بقوله فيما يرويه عنه أنس بن مالك قال: ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة وثم فليس معنى الزهد العزلة عن ممارسة الحياة

ووسائل استمرارها ونمائها انقطاعا للعبادة وعكوفا على حياة مصادر حكمة الله فى خلق الأرض وما فيها والدعوة إلى عمارتها والسموات والاعتبار بما ساق إلينا ربنا من أنعمه التى لا نحصيها. وهكذا مع ما أنزل من تشريعات تنظم علاقة المرء بربه والحفاظ على الضرورات التى لا بقاء للمرء بدونها والعلاقة ببنى آدم والترابط الوثيق بينهم جميعا متعاونين علي البر والتقوى واعمار الحياة لخير الجميع دنيا ودينا مستجيبين لأمر الحق سبحانه «**ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين**» (الأعراف ٥٦).

وصدق الله العظيم القائل «**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**» والقائل «**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا**» (الكهف ٣٠) سواء كان لعمارة الحياة أو ما بعد الحياة ويعجبنى فى مقام الحديث عن الزهد: ما قاله إبراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف، زهد فرض وزهد سلامة وزهد فضل. فالزهد الفرض هو الزهد فى الحرام وزهد السلامة هو الزهد فى الشبهات فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وزهد الفضل وهو الزهد فى الحلال.. أى بعد أخذ الكفاية منها له ولمن يعول فإن من أكبر الكبائر أن يضيع الرجل من يعول وفى الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم قال «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت» وعليه فالمراد بالزهد فى الدنيا الغض من شأنها وبيان هوانها على الله حتى لا يشغل أولياءه الاهتمام بها عنه سبحانه وحتى يظل مدده سبحانه متصلا بهم وهو القائل «**فاذكرونى أذكركم**» (البقرة ١٥٢).

والقائل فى الحديث القدسى وأنا معه إذا ذكرنى.

وعليه فليس المراد بالزهد الزمان وهو الليل والنهار فإن الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، قال تعالى: «**وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا**» (الفرقان ٦٢).

ولا مكانها لأن الله تعالى جعلها مهادا ولا إلى ما أودع الله تعالى من الجمادات والنباتات والحيوانات فجميعها نعم الله على العباد وهو القائل: «**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا**» (البقرة ٢٩).

وحين يذكر المرء النعمة وينسى المنعم وهو المتفضل بها عليه بلا حول منه ولا قوة فذلك ما يجافى الإنصاف ويهدم صروح العدل ويهدر قيمة العقل وأنكى من ذلك كله وأشد جرماً أن تتخذ سلاحا يبارز به خالقه العداء وما له من دونه من أولياء فى الدنيا: ويوم يقوم الناس لرب العالمين «**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**» (المجادلة ٢٩).

ولما كانت أمة سيدنا محمد خير أمة أخرجت للناس فقد حباها الله بهذا الكتاب: «**الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**» يهديها للتي هى أقوم ويجنبها العثار والزلل ويبشر بالخير والثواب الجزيل من اهتدى بهداه وينذر بالويل والثبور من أعرض عنه ونأى بجانبه واتبع شيطانه وهواه قال تعالى: «**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**» (فاطر ٣٢).

فالأولون هم الذين وقفوا مع زهرة الحياة الدنيا فصارت أكبر همهم وهم أهل اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر وهم المشار إليهم في قوله سبحانه: «**اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد**» (الحديد ٢٠)

ومنهم من عرف حقيقة الدنيا والقصد منها وأنها دار سفر يتزود المرء منها إلى دار القرار فأخذها من وجهها وتحري الحلال فى حظه منها وتوسع فى مباحاتها ومتاعها وزينتها من المباحات التى لا يعاقب عليها الحق تبارك وتعالى، أولئك الذين رضوا من المباحات

بالقدر الذى لا إفراط فيه ولا تفريط وتوسطوا فى الأخذ منها وبالقدر الذى يرجون معه رحمة ربهم وهم من خشيته مشفقون ذاكرين قول سيد الخلق صلي الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». فالمؤمن يتعجل الخروج من الدنيا وما يعانى فيها إلى نعيم الآخرة وما أعد الله لأهل الجنة مما يعجز عنه الوصف ففيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ومالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من هنا كان التحذير من الدنيا وفتنتها حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «إن الله إذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء» رواه الترمذى وروى الحاكم أيضا بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله ليحمى عبده الدنيا كما تحمون سقيمكم الطعام والشراب تخافون عليه) ويعنى ذلك أن الله يحفظه من أن يفتن بالدنيا عن أداء حق العبودية لربه وهو ما خلق لأجله كما قال سبحانه: **«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»** (الذاريات ٥٦).

وذلك لا يعنى الحرمان، فقد كان من صحابة رسول الله من أقبلت عليه الدنيا فهذا عثمان بن عفان ذو النورين يجهز جيش العسرة فقد روى الترمذى عن عبد الرحمن بن سمرة أن عثمان جاء بألف دينار ونثرها فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الرسول قال: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم كما قال قتادة:

مثل عليا

حمل عثمان فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً وفى بعض الروايات أنه بعث بعشرة آلاف للمؤنة واشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قحط الناس فى زمان أبي بكر فقال أبو بكر لا تمسون حتى يفرج الله عنكم. فلما كان الغد جاء البشير إليه قال: فقدمت لعثمان ألف راحلة برا وطعاما فجاءه التجار يساومونه فى ابتياعها وأخذوا يزيدون فى الثمن حتى قالوا له العشرة بخمسة عشر ولما قال لهم: قد زادونى، قالوا: من زادك ونحن تجار المدينة؟ قال: زادنى بكل درهم عشرة هل عندكم زيادة؟ قالوا: لا، قال فأشهدكم معشر التجار أنها صدقة على فقراء المدينة.

وهذا طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة فتحت عليه الدنيا أبوابها حتى أصبح ذا ثراء واسع وكان مما أثر عنه ما روى عن سعدى بنت عوف امرأة طلحة قالت: لقد تصدق طلحة يوما بمائة ألف، كما روى عن الحسن قال: باع طلحة أرضا لعثمان بسبعمائة ألف، وبات أرقاً من مخافة ذلك المال حتي أصبح ففرقه، وقال الإمام أحمد عن أنس بن مالك كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت: **«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»** قال أبو طلحة يا رسول الله إن الله يقول **«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»** وأن أحب أموالى إلىّ بيرحاء وأنها صدقة لله أرجوا بها برها وزخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم بخ بخ وقد سمعت وأرى أن تجعلها فى الأقربين فقال أبو طلحة: إفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة: فى أقاربه وبنى عمه.

وهذا الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف الذى آخى رسول الله بينه وبين سعد بن الربيع فقال له سعد ابن الربيع إنى أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالى وانظر أى زوجتى هويت فأنزل لك عنها فإذا أحلت تزوجتها، فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لى فى ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق بنى قينقاع فغدا عبد الرحمن إلى السوق وعمل فى التجارة. قال الزهرى: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على ألف وخمسمائة فرس فى سبيل الله، ثم عمل على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله؟ وكان عامة ماله من التجارة (أخرجه الصفوة) وعن ابن عباس أنه وردت له قافلة من تجارة الشام فحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له النبى بالجنة وفيه نزل قوله تعالى:

« الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» إلى كثير من أبواب الخير والرغبة عن الدنيا ومتاعها ابتغاء مرضاة الله عز وجل. وهذا سعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة يبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من أهلها فيما رواه أحمد بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فدخل سعد بن أبى وقاص قد كان ذا مال وكان كثير الصدقة فقد قال: عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت: يا رسول الله إنى قد بلغ بى من الوجع ما ترى ولا يرثنى إلا ابنة لى أفأتصدق بكل مالى؟ قال: لا؟ قلت: فالشطر يا رسول الله؟ قال؟ لا قلت: فالثلث؟ قال الثلث والثلث كثير؟ إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس. أخرجه الشيخان. هؤلاء الأخيار من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه وهذا موقفهم من الدنيا وما فيها من أنعم الله وفى مقدمتها المال الذى هو قمة ما تصبوا إليه النفوس ولا تشبع قد أغدق الله عليهم منه ولم يمنعهم إيمانهم ولا خشية إقصائهم عن منازل أهل وده سبحانه ومحبته والقرب منه من تحصيله ذلك بأنهم لم يشغلوا بما أوتوا عن توثيق علاقتهم به عز وجل والزلفى إليه بشتى أنواع القربات فرائضها ونافلتها. والبعد عن مساخطه صغيرها وكبيرها فاستحقوا تلك المنزلة التى شرفوا بها فى قوله صلى الله عليه وسلم « اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقوله: « الله الله فى أصحابى فلو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » وقوله: عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » ونعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح.

قناعة وعفة

وقوله صلى الله عليه وسلم: « **وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس** ».

فقد خلق الله الإنسان ومنذ كان جنينا فى حشا أمه قدر له رزقه وأجله وشقى أو سعيد وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه وفتح بين يديه آفاق الحياة يغدو ويروح يبتغى من فضل الله وبره. وحضه على العمل والسعى فى تحصيل رزقه بوسيلة أو بأخرى ورب العباد أعلم بما يصلحهم وهو القائل: «**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**» (الملك ١٤)، وقد أودع الله فى هذا الكائن الذى استخلفه من العناصر أنواعا تمده وظائفها بالعطاء لتمضى مسيرته على هذا الكوكب سوية لا عوج فيها ليؤدى واجباته الحياتية التى تكفل حقوقه وتوفر له الأمن على حياته وما له ونفسه ودينه وعرضه ويتحقق بها خيره وخير مجتمعه، وشاء الله أن تتجاوب عناصر التربة التى منها خلق والجو الذى يحيط به مع الكيان البشرى فيما قدره الله له فيها من أقوات كان حظه منها ما يعطيه من ذات نفسه ويبذل من عرقه وجهده، والله عز وجل لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى فمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فله الحسنى وزيادة قال تعالى: «**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة**» (يونس ٢٦).

وقال: «**إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا**» (الكهف ٣٠)،

«**وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى**» (الليل ٨-١١).

وقال سبحانه مبيناً أمر هؤلاء: **«والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما»** (يونس ٢٧)،

وقد اقتضت عدالة السماء التفاوت بين الناس بمقدار ما يبذلون ويقدمون، إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فلها. وهكذا فهذه سنة الله سبحانه لكل من خلقه درجات مما عملوا وهو القائل سبحانه: **«نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا»** (الزخرف ٣٢).

طبيعة الإنسان

والإنسان بمفرده لا يستطيع العيش وحده وهو مع بنى جنسه يكمل بعضهم البعض الآخر وفى ذلك يقول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

فكل يفئ على صاحبه بما حباه الله من نعمه بالقدر الذى يحتاجه فهو يعطى ويأخذ وهذه سنة الله التى فطر الخلق عليها. إلا أن من الناس من تملكه غريزة الطمع فهو شحيح بخيل أمره كما صوره القرآن أبلغ تصوير حين قال: **«قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الإنسان قتورا»** (الاسراء ١٠٠)،

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب) كما أن أمر هذا الإنسان مدعاة إلى الأثرة والأنانية وإلى ذلك يشير الحق سبحانه بقوله **«إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا»** (المعارج ١٩، ٢١)

وثم فأحب الناس إليه من حقق له نفعا أو دفع عنه ضرا (الهلع فحش الجزع مع الشح وكثرة الضجر) (جزوعا الجزع اليأس مع القنوط).

وذلك من شأنه خور العزيمة وضعف الإرادة والوهن، ومن كان هذا خلقه لا يري فى الوجود غير نفسه والحفاظ علي حياته ومقدراته، شعاره: أعيش ومن بعدى الطوفان. إنه يتهيب أن يواجه أى موقف صعب ولو كان فى الدفاع عن أغلى مقدرات حياته إنه ليهون عليه التنكر للأرض التى أقلته وللسماء التى أظلته وللطبيعة التى ربى فيها وأكرمته، كل ذلك خوفا على نفسه وحفاظا على حياته وذلك شر ما تبتلى به الأمم. وفي الحديث الشريف: توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم وليلقين فى قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله قال: حب الدنيا وكراهية الموت». إلا إنه لا علاج لمثل هذه الأخلاق الذميمة إلا ما اختاره الله لنا علاجا وهو التذكير بأن الإنسان كيان من عنصرين المادة والروح وأن القيمة الحقيقية للإنسان فى الأرض وفى السماء ليست إلا بالروح التى هى من فيض العلى الأعلى وما الجسم إلا ذلك الوعاء الذى خلق من الأرض وإليها يعود، وربنا يقول سبحانه: **«منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى»** (طه ٥٥)

وثم فإنه تتجاذبه قوتان الروح تسمو به إلى الملأ الأعلى والبدن ينزع به إلى الأرض وهو إلى ما يهوى فيها من متاع وزينة عاجلة يميل وتهفو نزواته الطائشة وتدفعه إلى التمتع بكل ما فيها نفسه الأمارة بالسوء وغرائزه التى لا يملك فطامها إلى اشباعها وكان من فضل الله أن لم يدعنا للنفس تسوقنا وللغرائز تقودنا، فقد خلق فينا العقل نفكر به ونتدبر، وبعث إلينا الرسل بالهدى والنور توقظ فينا العقول تذكرنا بأنا لم

نخلق عبثا وأن الدنيا متاع والآخرة خير وأبقى والعمل لها واتباع الرسالات أفضل وأولى بل أنه الواجب الأخذ به دينا ودنيا وذلك خير ثوابا وخير عقبى.

علاج ناجع

وما كان الله ليذر أولياءه دون تسليحهم بما يقيهم عوامل الغي ويحول بينهم وبين أسباب الفتنة ويعصمهم من براثن الشر ويقيهم المحن إنه الإيمان بالله الملجأ والملاذ والمأوى والمنجى لمن أراد النجاة وشاء الحق تبارك وتعالى ألا يقطع عن العبد مدده فكانت العبادات التجسيد العملى الذى يكون به العبد على عين من ربه فى كل أحيانه حتى لا يجد الشيطان إليه سبيلا وأوضح ذلك فى سورة المعارج حين ذكر بأن ثمرة الإيمان إنما يحظى بها أولئك الذين ذكروا الله بما يعتبرهم به سبحانه مهتدين بهدى القرآن الكريم بعد أن كشف عن دخيلة الإنسان فى مواجهة تصاريف الحياة وعجزه عن التغلب عليها مبينا ما به يقوى على استمداد عون الله له فى قوله: «**إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم. والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون. والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون**» (المعارج ٢٢-٣٥).

ذلك هو التجسيد الحقيقى الذى بدونه لا ملجأ ولا منجى للإنسان فى سواه وإذا كانت هذه طبيعة الإنسان فإن أبغض الناس إليه من ينازعه فى شئ مما يملكه أو تسول له نفسه العدوان على أى من مقدسات حياته. وثم كانت الحدود فى الإسلام زجراً وردعاً للأشرار وكان القتال حفاظاً على أمن الأمة وسلامتها. وكان الدفاع عن النفس والمال والعرض والدين جهاداً مفروضاً والقتل فى سبيله شهادة كالجهاد فى سبيل الله.

الخاتمة

إن الإسلام سلام تنمو فى رحابه كل ضرورات الحياة كما يتحرر الفرد والمجتمع من ربقة المادة وسلطانها فلا يرهب ولا يخشى ولا يعبد إلا الله خالق كل شئ لا إله إلا هو - كما تطمئن نفسه ويرضيه فى هذه الحياة قسم الله له - إيمانا بأن ذلك هو الغنى الحقيقى للمؤمن. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: «عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإن ذلك هو الغنى - وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر» وربنا سبحانه وتعالى يقول لحبيبه: «**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه**» (طه ١٣١)

ذلك بأن منزلة الإنسان عند الله فوق كل ما فى هذا الوجود الذى سخره له الله، وثم فهو يأبى عليه أن تمتد يده بالسؤال متسولاً وهو يؤمن بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين - كما يهيب به ألا يطمع فى عطاء يسدى إليه أو معروف يقدم له فإن ذلك يغض من قيمته ويسقط به فى أعين من يراه ففى الأثر قال الحسن رضى الله عنه: (لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دنياهم. فإذا فعل ذلك استخفوا به وأبغضوه وكرهوا حديثه). وقال أعرابى لأهل البصرة: (من سيدكم؟ قالوا: الحسن البصرى - قال: بم سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه - واستغنى عن دنياهم) وسأل كعب الأحبار وهو تابعى عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه؟ قال: يذهبه الطمع وشره النفس وطلب الحاجات إلى الناس. قال: صدقت.

وقال ابن عطاء الله: «الزهد فيما فى أيدى الناس سبب لمحبة الخلق - والزهد فيما سوى الله سبب لمحبة الخالق. فمن أحب العطاء من الخلق دل على بعده عن الله. فالعطاء منهم حرمان والمنع منهم إحسان».

وقال أبو الحسن الشاذلى: دخل على بالمغرب بعض الكبراء فقال: ما أري لك كبير عمل. فبم فقت الناس وعظموك؟ فقلت بخصلة واحدة: (تمسكت بالإعراض عنهم وعن دارهم). وبعد فما أحرانا أن نحذر كيد الشيطان وقد أخرج آدم وزوجه من الجنة فتأبى أن يسجد له. وأقسم أن يبذل جهده في أن تكون من حزبه لذا فإن على المؤمنين أن يأخذوا حذرهم من كيده وأن يلوذوا بالله وأن يعتصموا بحبله ويخلصوا العبودية له. فراراً من المادة أن تستعبدهم قانعين بالكفاية من حلالها راضيين به. قد اقتلعوا جذور الأثرة والأنانية من صدورهم أغنياء بما قسم الله لهم حتى يحظوا بحب الله مؤمنين بأن ما عند الله أوثق وأبقى مما فى أيديهم وأنهم ما عرفوه فلن يضيعهم فإن ذكروه ذكرهم وإن تقربوا منه شبرا تقرب إليهم ذراعاً وإن تقربوا إليه ذراعا تقرب إليهم باعاً وإن أتوه يمشون آتاهم سبحانه هرولة.

والإنسان مدين بطبعه فهو محتاج إلى بني جنسه وتوثيق علاقته بهم وأن يتبادل معهم المنافع يعطيهم ويعطونه ويتعاونون معهم ويتعاونون معه. دون طمع أو جشع وإلا قلوه - وابغضوه.

هذه العلاقة العامة بين بنى الإنسان وهناك العلاقة الخاصة التى أرسى قواعدها رسل الله وقد إئتمنهم الله على تبليغ رسالاته دون أن يسألوا أقوامهم على ذلك أجراً - ويأتى ورثتهم من بعدهم وهم الدعاة إلى الله من العلماء وقد فرض لهم فى بيت المال ما يكفيهم فإنهم بما تفضل الله به عليهم من العلم وبما حذرهم من كتمانه يأبى عليهم دينهم أن يهونوا على جماهيرهم حين ينظرون إلى ما لديهم أو يمدوا إليهم أيديهم من فاقة الأمر الذى يهيب بولى الأمر ألا يتركهم دون مستوى مجتمعاتهم - فللمظهر المادى مع الكلمة أبلغ التأثير فى الاستجابة لدعوتهم والانتفاع بها فى دنياهم ودينهم.

إن قيمة المتكلم من قيمة ما يقدمه وليس أشرف ولا أعظم مما يقدم الدعاة وصدق الله القائل: «**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين**».

والله الموفق

المراجع:

١- تفسير ابن كثير.
٢- تفسير أبو السعود.
٣- فتح البارى شرح صحيح البخارى.
٤- الرياض، النضرة فى مناقب العشرة.
٥- إحياء علوم الدين للغزالى.
٦- الرسالة القشيرية.
٧- المصباح.

نقد الجامع الصحيح للإمام البخارى

أ.د. أحمد عمر هاشم

تلقت الأمة كتاب الجامع الصحيح للإمام البخارى بالقبول واحتل هذا الكتاب النفيس مكانته الجليلة وتقديره العظيم عند أئمة الحديث ولذا عنوا به عناية عظيمة فكان منهم من دفعه اهتمامه بالكتاب وتقديره له إلى أن قام بتطبيق ما فيه من الأحاديث على ما اشترطه البخارى فى صحيحه، فإذا مابدى له أن بعض الأحاديث لا تتفق وما اشترطه البخارى، وتبين له أنها نزلت عن الدرجة العالية التى التزمها، إذا ما بدا له ذلك تناول هذه الأحاديث بالنقد. وليس معنى نقدهم لها أنها قد وصل بها الضعف إلى حد الموضوع أو المنكر كما سيتضح ذلك.

وقد كان من بين الأحاديث المنتقدة على البخارى ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا، ومنها ما انفرد البخارى بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا، وقبل بيان الرد الإجمالى والتفصيلى على هذا النقد أحب أن أقرر أن الدافع لهؤلاء النقاد الذى حفزهم على هذا النقد هو شدة حذرهم ويقظتهم، وكمال اهتمامهم وعنايتهم بهذه المصنفات النفيسة، على أساس من الإخلاص وليس بدافع القدح أو الحسد.

الجواب الإجمالى

ذكر ابن حجر فى مقدمة فتح البارى جواباً إجماليا قال فيه: «لا ريب فى تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والمعلل فإنهم لا يختلفون فى أن على بن المدينى كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخارى ذلك حتى كان يقول: «ما استصغرت نفسى عند أحد إلا عند على بن المدينى»، ومع ذلك فكان على بن المدينى إذا بلغه ذلك عن البخارى يقول: دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه. وكان محمد بن يحيى الذهلى أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهرى وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا، وروى الفربرى عن البخارى قال: «ما أدخلت فى الصحيح حديثا إلا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته»، وقال مكى ابن عبد الله: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: «عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته» فإذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما ولا ريب فى تقديمهما فى ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة «أ.هـ»(١)

الجواب التفصيلى

وأما من حيث التفصيل فإن الأحاديث المنتقدة تنقسم إلى ستة أقسام:

القسم الأول :

ما تختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الإسناد، فإن أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطنى لأن الراوى إن كان سمعه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمعه بواسطة عن

(١) هدى السارى ص٣٤٥

شيخه ثم لقيه فسمعه منه وإن كان لم يسمعه فى الطريق الناقصة فهو منقطع، والمنقطع من قسم الضعيف، والضعيف لا يعلل الصحيح، وإن أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف فينظر إن كان ذلك الراوى صحابيا أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه إدراكاً بينا أو صرح بالسماح إن كان مدلسا من طريق أخرى فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك وإلا لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهرا فحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه إنما أخرج مثل ذلك فى باب ماله متابع وعاضد أو ما حفته قرينة فى الجملة تقوية ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع وربما علل بعض النقاد أحاديث ادعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة كما فى الأحاديث المروية بالمكاتبة والإجازة وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالإجازة بل فى تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالإجازة عنده.

القسم الثانى :

ما تختلف الرواة فيه بتغيير رجال بعض الإسناد، فالجواب عنه إن أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوى على الوجهين جميعا فأخرجهما المصنف ولم يقتصر على أحدهما حيث يكون المختلفون فى ذلك متعادلين فى الحفظ والعدد، وإن امتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين فى الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير إليها فالتعليل بجميع ذلك من أجل الاختلاف غير قادح إذ لا يلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف فينبغى الإعراض أيضا طالما هذا سبيله.

القسم الثالث :

ما تفرد بعض الرواة بزيادة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل بها إلا إن كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع أما إن كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا، اللهم إلا إن وضح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة فى المتن من كلام بعض رواته فما كان من هذا القسم فهو مؤثر.

القسم الرابع :

ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف منهم وليس فى هذا «الصحيح» من هذا القبيل غير حديثين وتبين أن لكل منهما متابعا، أحدهما حديث أبى بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال: كان للنبى ﷺ فرس يقال له : اللحيف، قال الدارقطنى: وأبى هذا ضعيف، قال الحافظ: وقد تابعه عليه أخوه عبد المهيمن بن عباس، **وثانيهما :** حديث إسماعيل بن أبى أويس عن مالك وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضى الله عنه استعمل مولى له يدعى: هنيا على الخمس، الحديث. قال الدارقطنى: واسماعيل ضعيف، **قال الحافظ:** لم ينفرد به، بل تابعه عليه معن بن عيسى فرواه عن مالك كرواية إسماعيل سواء.

القسم الخامس :

ما حكم فيه بالوهم على بعض رواته، والجواب أن الوهم إنما يؤثر إذا لم يرو الحديث من غير طريق الذى حكم عليه بالوهم وقال ابن حجر: وليس فى الصحيح منه بحمد الله شئ، وأما إذا روى الحديث من غير طريقه فذلك الوهم لا يؤثر ويكون المعتمد عليه أصل الحديث لا خصوص ذلك الطريق.

القسم السادس :

ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن والجواب: إن هذا أكثره لا يترتب عليه قدح لإمكان الجمع فى المختلف من ذلك أو الترجيح أ.هـ. [٢] وبعد أن ذكر ابن حجر الأحاديث المنتقدة وأجاب عنها بين أن هذا هو جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد.

(٢) هدى السارى

وقد ظهر واضحا أنه ما من حديث إلا ورد من طريق آخر وثبتت صحة المتون كلها فضلا عن رد كل نقد وجه إلى الأحاديث، ولا يغض هذا النقد من قيمة الجامع الصحيح وأصحيته فهو فى الدرجة الأولى من الصحة.

ومن أمثلة الأحاديث المنتقدة :

١ ـ قال الدارقطنى: (وأخرجا جميعا ـ أى البخارى ومسلم ـ حديث الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس يعنى فى قصة القبرين وأن أحدهما كان لا يستبرئ من بوله قال: وقد خالفه منصور فقال عن مجاهد عن ابن عباس : وأخرج البخارى حديث منصور على إسقاطه طاوسا، وهذا الحديث قد أخرجه البخارى فى كتاب الطهارة عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير وأخرجه فى كتاب الأدب عن كثير بن سلام عن عبيدة بن حميد كلاهما عن منصور به، ورواه من طريق أخرى من حديث الأعمش وأخرجه باقى الستة من حديث الأعمش أيضا، أخرجه أبو داود والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه من حديث منصور أيضا، وقال الترمذى بعد أن أخرجه: رواه منصور عن مجاهد عن ابن عباس وحديث الأعمش، أصح يعنى المتضمن للزيادة، قال الحافظ: وهذا فى التحقيق ليس بعلة لأن مجاهد لم يوصف بالتدليس وسماعه من ابن عباس صحيح فى جملة من الأحاديث، ومنصور عندهم أتقن من الأعمش، مع أن الأعمش أيضا من الحفاظ، والحديث كيفما دار - دار على ثقة الإسناد كيفما دار- كان متصلا فمثل هذا لا يقدح فى صحة الحديث إذا لم يكن راويه مدلسا، وقد أكثر الشيخان من تخريج مثل هذا ولم يستوعب الدارقطنى انتقاده)[٣].

٢ ـ قال الدارقطنى : وأخرجا جميعا حديث ابن جريج عن الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه وعمه عبيد الله بن كعب عن النبى ﷺ كان إذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد... الحديث... وقد خالفه معمر فقال عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه، وقال عقيل عن الزهرى عن ابن كعب عن أبيه وهو يشبه رواية معمر، **قال الدارقطنى:** ورواية ابن جريج أصح ولا يضره من خالفه، قال ابن حجر: قول معمر وغيره عن عبد الرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبه إلى جده فتكون روايتهم منقطعة وهذا الجواب صحيح من الدارقطنى فى أن الاختلاف فى مثل هذا لا يضر[٤].

نقد الرجال

وجه بعض النقاد الطعن فى بعض رجال البخارى الذين خرج لهم فى كتابه «الجامع الصحيح» ومعظمهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وخبرهم وميز بين صحيح مروياتهم من سقيمها وقد أخرج لبعضهم فى أصول الكتابة وأخرج لبعضهم الآخر فى المتابعات والشواهد.

وانبرى الحافظ ابن حجر فى مقدمته للإجابة عن تلك الاعتراضات والطعن وتناول الدفاع عنهم واحدا واحدا، ورتبهم على حروف المعجم ممايشهد له بدقة النقد العلمى ونزاهته يقول الحافظ ابن حجر[٥]: ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راو كان. مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولاسيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنهم فى الصحيح فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا إذا خرج له فى الأصول، فإما إن خرج له فى المتابعات والشواهد والتعاليق فهذا تتفاوت درجات من أخرج له منهم فى الضبط وغيرهم من حصول اسم الصدق لهم، وحينئذ إذا وجدنا لغيره فى واحد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام فلا يقبل إلا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح فى عدالة هذا الراوى وفى ضبطه مطلقاً، أو فى ضبطه لخبر بعينه لأن الأسباب

(٣) هدى السارى .
(٤) هدى السارى ص ٣٦٢ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٨١ .

الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها مالا يقدح وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول فى الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح: هذا جاز القنطرة يعنى بذلك أنه لايلتفت إلى ماقيل فيه.

وقد وضع ابن حجر مقاييس دقيقة لنقد الرجال يزن بها قيمة رجال الصحيح فقال: لا يقبل الطعن فى أحد منهم إلا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة ومدارها على خمسة أشياء :

١ ـ البدعة . ٢ ـ المخالفة .

٣ ـ الغلط . ٤ ـ جهالة الحال .

٥ ـ **دعوى الانقطاع فى السند** بأن يدعى فى الراوى أنه كان يدلس أو يرسل. فأما جهالة الحال فمندفعة عن جميع من أخرج لهم فى الصحيح لأن شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف فى دعواه أنه معروف، ولا شك أن المدعى لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العلم ومع ذلك فلا تجد فى رجال الصحيح أحدا يسوغ إطلاق اسم الجهالة عليه أصلا.

وأما الغلط: فتارة يكثر من الراوى وتارة يقل.

فحيث يوصف بكونه كثير الغلط ينظر فيما أخرج له إن وجد مرويا عنده وعند غيره من رواية غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريقة وإن لم يوجد إلا من طريقه، فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله وليس فى الصحيح بحمد الله من ذلك شئ.

وحيث يوصف بقلة الغلط كما يقال : سئ الحفظ له أوهام أوله مناكير وغير ذلك من العبارات، فالحكم فيه كالحكم فى الذى قبله أى تارة يكثر وتارة يقل وينظر فيما أخرج له... إلخ. إلا أن الرواية عن هؤلاء فى المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك مع عدم التفرد فلا طعن ـ إلا أن الرواية عنهم إنما هى للاستئناس والشواهد وتكثير الطرق فهى معادة.

وأما المخالفة : فيثبت بها الشذوذ والنكارة، فإذا روى الضابط والصدوق شيئا فرواه من هو أحفظ منه وأكثر عددا بخلاف ما روى الحديث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شاذ ، وقد تشتد المخالفة بأن يضعف الحفظ فيحكم على من يخالف فيه بكونه منكرا، وهذا ليس فى الصحيح منه إلا قدر يسير. وكان البخارى بعد ذكر الروايات جميعها ينبه عليها ويذكر رأيه فلا اعتراض عليه. وأما دعوى الانقطاع فمدفوعة عمن أخرج لهم البخارى، كما علم من شرطه وهو أن العنعنة تفيد الانقطاع بشرط المعاصرة واللقاء. ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو إرسال أن تسبر أحاديثهم الموجودة عنده، فإن وجد التصريح بالسماع فيها ـ بأن يوجد هذا فى طرق أخرى ـ اندفع الاعتراض وإلا فلا. وقد ثبت السماع فى المعنعن فلا وجه للاعتراض.

أما البدعة : فالموصوف بها إما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق. فالمكفر بها لابد أن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة، كما فى غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الألوهية فى على أو غيره أو الإيمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك، وليس فى الصحيح من حديث هؤلاء شئ البته.

والمفسق بها : كبدع الخوارج والروافض الذين لايغلون ذلك الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند إلى تأويل ظاهره سائغ فقد اختلف أهل السنة فى قبول حديث ما هذا سبيله إذا كان معروفا بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفا بالديانة والعبادة فقيل: يقبل مطلقا وقيل: يرد مطالقا والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل غير الداعية، ويرد حديث الداعية، وهذا المذهب هو الأعدل وصارت إليه طوائف من الأئمة وادعى ابن حبان إجماع أهل النقل عليه، لكن فى دعوى ذلك نظر فقد روى عن الإمام مالك رد

روايتهم. ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زادهم تفصيلا، فقال: إن اشتملت رؤية غير الداعية على ما يشيد ببدعته ويزينها ويحسنها ظاهرا فلا تقبل وإن لم تشتمل فتقبل، هذا وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه فى حق الداعية فقال: إن اشتملت روايته على ما يرد بدعته قبل وإلا فلا وعلى هذا إذا اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له فى بدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا؟

مال أبو الفتح القشيرى إلى تفصيل آخر فيه، فقال: إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه هو،إخمادا لبدعته وإطفاءً لناره وإلا لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده مع وصفنا من صدقه وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته فينبغى أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة إهانته وإطفاء بدعته.

واعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد فينبغى التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة وخذلوا فى الدنيا فضعفوهم لذلك، ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط والله الموفق.

وأبعد من ذلك كله من الاعتبار تضعيف من ضعف بعض الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو التحامل بين الأقران، وأشد من ذلك تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث فكل هذا لا يعتبر به «أ. هـ».

وقد عقد ابن حجر فصلا مستقلا جمع فيه أسماء الرجال الذين طعن فيهم مع ذكر الطعن الموجه إليهم وسببه وقام بالإجابة عنه ومن أمثلة ذلك:

١ ـ أحمد بن بشير الكوفى أبو بكر مولى عمرو ابن حريت المخزومى، قال النسائى: ليس بذاك القوى، وقال عثمان الدارمى: متروك، وقواه ابن معين وأبو زرعة وغيرهما، وأخرج له البخارى حديثا واحدا تابعه عليه مروان بن معاوية وأبو سلمة، وهو فى كتاب الطب، أما تضعيف النسائى له فمشعر بأنه غير حافظ، وأما كلام عثمان الدارمى فقد رده الخطيب بأنه اشتبه عليه براو آخر اتفق اسمه واسم أبيه وهو كما قال الخطيب رحمه الله تعالى وقد روى له الترمذى وابن ماجه.

٢ ـ أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطى روى عنه البخارى أحاديث بعضها قال فيه: حدثنا وبعضها قال فيه: قال أحمد بن شبيب ووثقه أبو حاتم الرازى وقال ابن عدى: وثقه أهل العراق، وكتب عنه على بن المدينى وقال أبو الفتح الأزدى: منكر الحديث غير مرضى، ولا عبرة بقول الأزدى لأنه هو ضعيف فكيف يعتمد فى تضعيف الثقات.

وأرى بعد هذا النقد والإجابة عليه: أن كتاب الجامع الصحيح للإمام البخارى هو أول الكتب الستة فى الصحة، ولا يغض من قيمته مثل هذا النقد، فقد وردت الأحاديث المنتقدة من طرق أخرى، وقد تبين من الإجابة عليه، وعلى الرجال المنتقدين أن الإمام البخارى كان شديد التحرى، بالغ الحيطة، فى رواية الأحاديث وفى اختيار من يروى عنهم من الرجال حتى أخذ كتابه الصحيح مكانته المرموقة وتبوأ درجته الأولى على قمة أمهات كتب السنة، حتى قيل فيه إنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

وكما توجه النقد قديما إلى صحيح البخارى فقد توجه أيضا النقد حديثا وسنقدم بعض النماذج من الأحاديث التى توجه إليها النقد ثم نجيب عنها.

الفقه والتشريع الإسلامى

- دعائم المجتمـــــع الإســـــلامى
- جرائم الاعتداء على ذوى القربى بين الظاهرة والعلاج

دعائم المجتمع الإسلامى

الدكتور إسماعيل أحمد الطحان

قال الله تبارك وتعالى : «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا، وبذى القربى واليتامى والمساكين، والجار ذي القربى والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم، إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً» النساء ٣٦.

إن للإسلام منهجا فريدا فى بناء مجتمعه، وتكوين أمته، فاستهدف فى مجتمعه القوة والعزة، وفى أمته الفضل والخير فجعل أسباب القوة والعزة فى عقيدة التوحيد، وأسباب الخير والفضل فى شرائع الأخلاق. وجهد فى أن يصل الناس بربهم على تلك العقيدة وأن يتواصل الناس فيما بينهم على مكارم الأخلاق، فأمر الناس أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وتعنى عبادته أن يشكروه فهو ولى نعمتهم، وأن يقصدوه فهو مدبر أمرهم وأن يطيعوه فإليه مرجعهم، وأن يحبوه فهو راحمهم، وأن يهابوه فهو معاقبهم. وينبغى أن ينفرد الله بهذا وحده مصداقا لقوله تعالى «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» أي أن يبصروا وجهه فيما يعملون، ويتركون، وأن يتحروا ذاته فيما ينفقون ويمسكون، نية وعملا، فإن الله يقول على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: «أنا خير شريك فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكى، ياأيها الناس أخلصوا أعمالكم لله تعالى فإن الله لايقبل إلا ما خلص له، ولا تقولوا هذا لله وللرحم، فإنها للرحم وليس لله منها شئ، ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم، فإنها لوجوهكم وليس لله تعالى منها شئ». وهذا هو الرياء الذى يحبط العمل، ويكشف عن خراب القلوب من كل خير، وهو ما تخوفه النبى صلى الله عليه وسلم على أمته من بعده، يحدثنا عبدالواحد ابن زيد فيقول : أتيت شداد بن أوس فى مصلاه - وهو يبكى فقلت : ماالذى أبكاك؟ يا أبا عبدالرحمن ، قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ رأيت بوجهه أمراً أساءنى، فقلت بأبى أنت وأمى يارسول الله، ماالذى أرى بوجهك؟ قال أمر أتخوفه على أمتى من بعدى، قلت : ما هو يارسول الله ؟ قال : الشرك والشهوة الخفية، قلت يارسول الله أو تشرك أمتك من بعدك؟ قال ياشداد: أما أنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا، ولا حجرا ولا وثنا، ولكنهم يراؤون بأعمالهم، قلت يارسول الله : هل الرياء شرك، قال : نعم، قلت فما الشهوة الخفية؟ قال يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة الدنيا فيفطر».

وكل عمل أشرك فيه صاحبه أحدا مع الله، أو عمله رياء وسمعة فهو هالك لا وزن له، يقول رسول الله صلي

الله عليه وسلم : «يجاء يوم القيامة بصحف مختمة فتنصب بين يدى الله تعالى، فيقول الله تعالى للملائكة ألقوا هذا، وأقبلوا هذا، فيقول الملائكة : وعزتك ما رأينا إلا خيراً، فيقول الله عز وجل وهو أعلم - إن هذا كان لغيرى، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما كان ابتغى به وجهى».

وصدق الله العظيم إذ يقول «ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» ولقد أدرك هذا المعنى الصالحون من عباد الله، يقول لقمان لابنه : يابنى لا تطلب ثواب عملك فى الدنيا فإنه رياء، وإنما عمل القوم للأخرة.

وهكذا يصل الإسلام الناس بربهم علي عبادة خالصة تحقق لهم عز الدنيا وثواب الآخرة.

أما ما يتواصل الناس عليه من مكارم الأخلاق فهو:

الإحسان إلى الوالدين:

يقول الله تبارك وتعالى «وبالوالدين إحسانا» فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان هما الوالدان مصداقا لقوله تعالى «أن اشكر لى ولوالديك». وانطلاقاً من هذا الأمر كان النبى صلى الله عليه وسلم كثير الوصاية بهما، ففي صحيح البخارى عن عبدالله قال : «سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أى العمل أحب إلى الله عز وجل قال : الصلاة لوقتها، قال : ثم أى، قال ثم بر الوالدين قال : ثم أى؟ قال الجهاد فى سبيل الله». والجهاد فى سبيل الله ما لم يكن فرض عين فبر الوالدين مقدم عليه، فلقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن جاءه رجل يبايعه علي الهجرة معه وعلي الجهاد فى سبيل الله تحت رايته، فقال له هل من والديك أحد حى؟ قال الرجل نعم كلاهما حى، قال النبى : أتبغى الأجر من الله؟ قال نعم، قال النبى فارجع إلى والديك وأحسن صحبتهما»، ثم يأتيه رجل آخر : يارسول الله جئت أبايعك على الهجرة وتركت والدى يبكيان، فقال الرسول : ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما» ويأتيه ثالث فيقول يارسول الله إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه، فيقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : هل بقى من والديك أحد؟ قال نعم أمى، فيقول الرسول : قابل الله فى برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد».

وإن الرحمة بالوالدين وبرهما مما قضى الله به اذ يقول سبحانه وتعالى : «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا» .. والإحسان كما تفسره الآيات : «فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا. أى أن من مظاهر الإحسان إليهما رد الأذى والعدوان عنهما ولو كان كلمة صغيرة، ففى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو علم الله من العقوق شيئا أدنى من (أف) لذكره. فليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة.

وكذلك الكف عن زجرهما وتغليظ القول لهما، فإن فى إيذائهما كفرا بالنعمة وجحودا بالتربية، وعصيانا لوصية الله فيهما بل يقتضى الإحسان إليهما أن تقول لهما قولا كريما، وسئل سعيد بن المسيب رضى الله عنه عن هذا القول الكريم فقال : قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ، فانظر ماذا يقول؟ وإن خفض الجناح لهما يعنى الشفقة والرحمة بهما، حتى تحرم النظرة بالغضب إليهما، كما يعنى الإحسان إليهما الدعاء لهما بالرحمة بعد موتهما وكل ذلك بعض حقهما إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه» وحذر النبى من عقوقهما فقال «إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم».

ولما كان الإسلام حريصا على ألا يعق ولد والديه أمر الوالدين أن يعينا ولدهما على برهما فيقول الرسول

صلوات الله وسلامه عليه : «رحم الله والدا أعان ولده على بره » أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله، وسيئ معاملته، فلقد جاء رجل إلى عبدالله بن المبارك فشكا إليه عقوق ولده، فقال له : هل دعوت عليه، قال : نعم قال : أنت أفسدته.

الإحسان إلى ذوى القربى :

ومن بعد الإحسان إلى الوالدين يأتى الإحسان إلى ذوى القربى وهم الأقارب وذوو الأرحام، ويكون الإحسان إليهم بالصلة والهدية فمن لم يقدر على صلتهم بالمال فليصلهم بالزيارة وتفقد أحوالهم، وقضاء حوائجهم، والسعى في مصالحهم، ويحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الواصلين أرحامهم والقاطعين، فيقول : «إن الله خلق الخلق حتي إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذبك من القطيعة، قال (الله) نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت : بلى، قال فذلك لك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرءوا إن شئتم قول الله تعالى «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ».وليست صلة الرحم أن تصل من وصلك فحسب، بل صلة الرحم كما وضحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : «إن الرحم معلقة بعرش الرحمن، وليس الواصل المكافىء، ولكن الواصل من إذا انقطعت رحمه وصلها ».

والصلة حق واجب فى عنق المسلم نحو قرابته حتى ولو قاطعوه يوضح ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لرجل جاء إليه، فقال : يارسول الله إن لى أرحاما أصلهم ويقطعوننى، وأعفو ويظلموننى، وأحسن ويسيئوننى، أفاكافئهم؟ قال لا إذا تشتركون جميعا، ولكن خذ بالفضل وصلهم، فإنه لن يزال معك ظهير من الله ما كنت علي ذلك».

وإن واصل رحمه وذوى قرابته لهو أفضل الناس، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الناس أفضل : قال : أتقاهم لله، وأوصلهم لرحمه، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر» وخطوات الماشى إلى قرابته يزورهم كخطوات من يمشى إلى صلاة فريضة، وهما من أحب الخطوات إلى الله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «ما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة فريضة، وخطوة إلى ذى رحم». وصلتهم بالصدقة عليهم أعظم أجرا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصدقة علي المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم ثنتان، ألا فلتتقوا الله وصلوا أرحامكم».

الإحسان إلى اليتامى والمساكين :

وإن من اكد الحقوق فى المجتمع الإسلامى الإحسان إلى اليتامى والمساكين.

أما الإحسان إلى اليتامى، فهو تعهدهم بالرعاية والتأديب، وصيانة حقوقهم وأموالهم إن كانوا أغنياء، والتعفف عن أكل أموالهم ظلما وعدوانا، خوفا مما توعد الله به الآكلين فقال سبحانه «**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، إنما يأكلون في بطونهم نارا، وسيصلون سعيرا**» سورة النساء آية ١٠.

وعلى الأوصياء أن يتقوا الله فيمن تحت أيديهم من اليتامى وأن يمتثلوا أمر الله فى أموالهم، كما جاء فى قوله تعالى «**وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا**». سورة النساء آية ٣.

ويروى المفسرون أن هذه الآية نزلت فى رجل من غطفان، كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم رشده، وطلب المال، فمنعه عمه، فنزلت، فقال

العم نعوذ بالله من الحوب الكبير - أى الإثم العظيم ورد المال، فقال النبى : من يوق شح نفسه، ورجع به هكذا فإنه يحل داره - يعنى جنته - فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «ثبت الأجر، وبقى الوزر، فقيل : كيف يارسول الله؟ فقال : ثبت الأجر للغلام ، وبقى الوزر على والده لأنه كان مشركا.

وأكل مال اليتيم من الكبائر التى نهى الإسلام عنها، وقد تمثل عقابها للنبي ليلة أسرى به فيما يحدثنا من أن قوما لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم، فقال من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال : هؤلاء هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما.

أما إذا كان اليتامى فقراء فيكون الإحسان إليهم بالصدقة عليهم، والعطف والرحمة بهم، والمواساة لهم، ومن فعل ذلك كان له ما بشربه رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى، فقد وجبت له الجنة».**

والرحمة باليتيم صدقة أجرها جزيل، وثوابها عظيم، يقول صلوات الله وسلامه عليه «من وضع يده على رأس يتيم ترحما، كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنه».

ويؤكد الرسول الوصية بالإحسان إلى اليتامى ويرغب فى جزائه فيقول : «والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامةمن رحم اليتيم، وألان له فى الكلام، ورحم يتمه وضعفه».

ولا تمنع الرحمة باليتيم أن يضربه وليه للتأديب، فقد جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : عندى يتيم فمم أضربه؟ قال : مما تضربه ولدك» يعنى أن يضرب للتأديب ضربا غير شديد مثل ما يضربه الوالد ولده.

والعناية بالبنات اليتيمات أحب عند الله، وأعظم أجرا وذلك لضعفهن وإنكسارهن، ومن ثم أوصى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشر عائلهن بغفران ذنوبه فقال صلوات الله وسلامه عليه : من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات فأنفق عليهن، وأحسن إليهن، حتى يتزوجن أو يمتن، غفرت له ذنوبه البتة إلا من يعمل عملا لا يغفر، فقال رجل من الأعراب يارسول الله أو اثنتين فقال الرسول أو اثنتين».

أما الإحسان إلى المساكين بالصدقة عليهم والمواساة لهم فمما حض عليه الإسلام وأجزل الله عليه الأجر، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «الساعى علي الأرملة والمساكين والضعفاء كالمجاهد فى سبيل الله، وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار».

وحتى نعرف المسكين الذى أمرنا الله تعالى بصلته والإحسان إليه نستمع إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم «ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان، واللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف إقرءوا إن شئتم قول الله تعالى «لايسألون الناس إلحافا».

وفى بيان أجلى يصف النبى صلى الله عليه وسلم المسكين ويعرفنا به فيقول : «ليس المسكين الذى يطوف علي الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس».

فالذين تتحقق فيهم تلك الصفات : احتياج مع تعفف هم أولى الناس بالإحسان إليهم والعطف والرحمة بهم.

أما أولئك المتسولون الذين يلاحقون الناس فى الطرقات ، ويجلسون على أبواب المساجد، وأضرحة الموتى، يظهرون عاهاتهم من أذرع مقطوعة، وأرجل مبتورة، أو يعصبون أعينهم ليبتزوا أموال الناس فلا يحل لمسلم أن يعطيهم شيئا ، ذلك لأن الإسلام حرم

السؤال والتسول صونا لكرامة المسلمين، ومحافظة على عزة الدين، ومحاربة للكسل والتعطل، ولم يرخص الإسلام فى السؤال إلا لثلاثة : «لذى فقر مدقع، أو لذى غرم مفظع، أو لذى دم موجع».

أما فيما عداها فلا تحل المسألة، وبخاصة إذا كان السائل سليم البدن غير محتاج، قادراً على العمل، فإن من سأل وهو غير محتاج فجزاؤه . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم، قالوا يارسول الله : ومايغنيه؟ قال ما يغذيه أو يعشيه».

وهكذا أباح الإسلام المسألة للضرورة وحرمها فيما عداها ومن ثم كان الرسول صلي الله عليه وسلم يؤدب السائلين ويرشدهم إلى ما يغنيهم عن ذل السؤال، فمن ذلك ما يرويه أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء رجل من الأنصار إلى النبى صلى الله عليه وسلمي يسأله الصدقة، فقال له النبى : صلى الله عليه وسلم أما فى بيتك شئ ؟ قال بلى حلس نلبس بعضه، وقعب نشرب فيه، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ائتنى بهما ـ فأتاه بهما ـ فأخذهما الرسول بيده وقال : من يشترى هذين؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال الرسول: صلي الله عليه وسلم من يزيد؟ قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما للأنصارى وقال له : اشتر بأحدهما طعاما لأهلك واشتر بالآخر قدوما فائتنى به، فأتاه بالقدوم فشد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام عودا بيده، ثم قال اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً، ثم قال : هذا خير من أن تجىء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة».

أرأيت إلى هذا التأديب والتوجيه لرجل يملك أثاثا تافها فى بيته، فيأمر النبى صلى الله عليه وسلم ببيعه فى مزاد علنى ليجعل ثمنه رأس مال لعامل يشتغل بفأسه، ويكسب من ذلك رزقه ورزق أهله وحرم عليه السؤال .. ذلك ليفقه الناس أمر دينهم، وليتحروا فى صدقتهم من يستحقها لتقع موقعها الصحيح ويتحقق جزاؤها كما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : «إن صدقة أحدكم لتقع فى يد الله فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى يجئ يوم القيامة وأن اللقمة لعلى قدر أحد».

الإحسان إلى الجار وابن السبيل وما ملكت الأيمان:

أما الإحسان إلى الجار فأمر اهتم به الإسلام، ذلك أن الجار أقرب الناس صلة بجاره، وأوثقهم اتصالا به، ومعرفة بدخائله وأسراره، فإذا قامت علاقة الجار بجاره علي الآداب الإسلامية عاش المجتمع هانئا سعيدا، فقد أمر الله تعالى بحفظ الجار والقيام بحقه، وأكد ذكره مقترنا بعبادته، والإحسان إليه موصولا بالإحسان إلى الوالدين والأقربين، وجاءت العناية بشأنه شاملة للجار القريب، والجار الغريب، وتوضح السنة حقوق الجيران فيقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : الجيران ثلاثة : جار له حق، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذى له ثلاثة حقوق: الجار المسلم، ذو الرحم، فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم، وأما الذى له حقان : فالجار المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك».

وهكذا نجد رابطة الجوار وحدها رابطة تقتضى البر والإحسان ولو كان الجار مخالفا فى العقيدة والدين.

والإحسان إلى الجار يكون بالمواساة وحسن العشرة، وكف الأذى والدفاع عنه، ويجمع الرسول صلي الله عليه وسلم للجار كل حقوقه.

فيقول : إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا احتاج أعطيته، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات تبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب الريح

عنه إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده.. ثم قال : أتدرون ما حق الجار، والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله».

هذا أدب الإسلام فى علاقة الجيران، وتلك منزلة الجار فى الإسلام أخ وصديق تعينه ويعينك، وتنصره وينصرك، تفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، ولا تؤذه ولا يؤذيك، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره».. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره».

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم خير جار لجاره، فكان يقول لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عند تفريق لحم الأضحية : ابدئى بجارنا اليهودى، واقتدى به أصحابه، فهذا عبدالله بن عمرو لما ذبحت عنده شاة قال لأهله : هل أهديتم لجارنا اليهودى ثلاث مرات حتى قال خادمه كم تقول هذا ؟ قال ياغلام: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

وإذا أساء إليك جارك فلا تدخل معه فى مباراة الإيذاء والكيد، بل حاول بكل الطرق أن تكسب وده، وأن تعالج ضعف نفسه بقوة نفسك، وإن أعياك إصلاحه فاصبر عليه وأنت خير منه، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

ويمضى الإسلام لتأكيد حق الجار، فيحذر الجار الغنى مسئوليته أمام الله عن جاره الفقير، فقد قيل إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول : رب سل هذا لم منعنى معروفه، وسد فى وجهى بابه، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «والله لا يؤمن والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، من بات شبعان، وجاره جائع وهو يعلم».

وبعد الوصية بالجار ذى القربى تأتى الوصية بالجار الجنب والمراد به على أشهر الأقوال الزوجة ـ وقد اهتم الإسلام بأمر الزوجة لأنها نواة الأسرة والإحسان إليها يكون بالصحبة القائمة على المودة والإيناس والرحمة، وصدق الله العظيم إذ يقول «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة». سورة الروم آية ٢١.

وجعل الإسلام حسن المعاملة للزوجة من أمارات الإيمان فقال الرسول : صلى الله عليه وسلم «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى».

وبين النبى صلي الله عليه وسلم أن النفقة التى تسعد بها الزوجة ليست من المستهلكات الضائعه بل هى من الزكوات الباقية، فقال «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك».

وهذا توجيه يستحق النظر والتأمل فإن كثيرا من الناس يضيع مصالح بيته، ويقتر على زوجته وعياله علي حين يعطى في وجوه أخرى. هؤلاء لم يفقهوا توجيه الإسلام: فى ان كفالة البيت، وتوفية الأسرة حقوقها فريضة تفضل أنواع الإنفاق الأخرى. وشاءت عناية الإسلام بالأسرة أن يبين حقوق كل من الزوجين على الآخر، توفيرا للخير الذى يملأ أرجاء الأسرة برا وتقوى، وودا وتعاوناً، فقد جاء معاوية بن حيدة رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال : أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولاتقبح، ولاتهجر إلا فى البيت».

هذا حق الزوجة على الزوج، أما حق الزوج على زوجته فترويه عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أعظم حقا على

المرأة؟ قال زوجها، قالت فأى الناس أعظم حقا على الرجل قال: أمه». ويؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام حق الزوج على زوجته فيقول: «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها». ومن حق الزوج على زوجته - كما قال الرسول: صلى الله عليه وسلم إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا أقسم عليها أبرته، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله» والإسلام لايتصور كمال المرأة فى كل شئ إنها بشر ولها عيوبها لذلك أمرنا أن نتقبلها على ماهى عليه، ويزيدنا الرسول عليه والصلاة والسلام وصية بها فيقول «استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وكسرها طلاقها، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا وصدق الله العظيم إذ يقول «وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا».

وممن أوصى الإسلام بالإحسان إليهم (الصاحب بالجنب) وهو الرفيق فى السفر، والإحسان إليه يكون بحسن صحبته، ورعاية رفقته، أسند الطبرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين، فدخل الرسول صلى الله عليه وسلم غيضة فقطع قضيبين أحدهما معوج، فخرج فأعطى لصاحبه فى السفر القضيب المستقيم، فقال الرجل، كنت يارسول الله أحق بهذا فقال كلا - يافلان - إن كل صاحب يصحب آخر فإنه مسئول عن صحبته ولو ساعة من نهار».

وقال ربيعة بن أبى عبدالرحمن: للسفر مروءة، وللحضر مروءة فأما المروءة فى السفر فبذل الزاد وقلة الخلاف، وكثرة المزاح فى غير مساخط الله، وأما المروءة في الحضر فالإدمان إلى المساجد، وتلاوة القرآن وكثرة الإخوان فى الله عز وجل.

وفى ختام من أوصى الله بالإحسان إليهم (ابن السبيل والمماليك) أما ابن السبيل فهو الغريب المسافر، والإحسان إليه إعطاؤه إن كان محتاجا، وتأمينه إن كان خائفا، وهدايته إن كان ضالا..

أما المماليك - وهم الآن لا وجود لهم - فقد راعى الإسلام حقوقهم، فقال النبى صلي الله عليه وسلم: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

والوصية الآن تتجه إلى من حل محلهم من الخدم، والإحسان إليهم يكون بحسن معاملتهم، وطيب معاشرتهم، والرفق بهم، وأن تكون منزلة الخادم من مخدومه كمنزلة الولد من والده فى رعايته وإكرامه.

وبعد هذه الوصية الجامعة لحقوق الله على الناس، وحقوق الناس على الناس ينفى الله محبته عن كل مختال متكبر، فخور مزهو بنفسه، قال الله تعالى «إن الله لايحب من كان مختالا فخورا» وخص هاتين الصفتين بالذكر هنا لأنهما يحملان صاحبهما علي الأنفة من القريب الفقير، والجار الفقير وغيرهما مما ذكر فى الآية، فيضيع أمر الله تعالى بالإحسان إليهم، ويهدم بكبريائه دعائم هذا المجتمع، ويقطع أواصر التواصل بين أبناء هذه الأمة قال الله تعالى «ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد» سورة البقرة آية ٢٠٥.

تلك هى دعائم المجتمع الإسلامى كما حددها القرآن الكريم فى تلك الآية الجامعة، بها تترسخ قواعده، ويعلو بنيانه وشأنه، ويتأصل عزه ومجده وتتأكد ريادته وقيادته

والله ولى التوفيق.

«جرائم الاعتداء على ذوى القربى»
بين الظاهرة والعلاج

المستشار / حسن حسن منصور

من الأهداف السامية التى جاءت شريعة الإسلام للتأكيد عليها تقوية روابط القربى بين المسلمين، وقد أمر الله تعالى فى قرآنه المجيد بإعطاء ذوى القربى حقوقهم كاملة بقوله: «وآت ذا القربى حقه.. »الآية ٢٦ من سورة الإسراء.

ولكن مع تغير الأحوال وضعف شعلة الإيمان فى قلوب بعض المسلمين صار هؤلاء أصحاب الحقوق والقرابات محلا لجرائم الاعتداء عليهم، وبلغ هذا الأمر إلى حد شبهة الظاهرة الاجتماعية التى تحتاج إلى العلاج الضرورى لإعادة التوازن فى الروابط بين أبناء الاسلام، ولكن كيف يكون ذلك؟ فهذا ما سنوضحه فى النقاط الآتية:

أولا: من هم ذوو القربى:

يقصد بذوى القربى (فى هذا الصدد) هم من يتصلون مباشرة بالإنسان سواء بالعصب عن طريق الرجل أو بالرحم عن طريق المرأة، وفى مقدمة هؤلاء جميعا الوالدان اللذان جعل الله تعالى الاحسان اليهما قرينا بعبادته بقوله فى محكم التنزيل: **«وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا»** الآية ٢٣ من سورة الاسراء.

ثم تأتى دوائر القرابات الأخرى من الأخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات والأجداد والجدات، ثم ما يلى ذلك من الدرجات التى تتصل بهذه القرابات، وقد جعل الاسلام لهؤلاء القرابات وضعا خاصا فى المعاملة بين الناس وذلك برفع الحرج عند الدخول عليهم والاكل من طعامهم، فيقول الحق سبحانه: **«ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا»** الآية ٦١ من سورة النور.

وهؤلاء أقرب الناس الى الانسان فإذا ما اعتدى عليهم فهذا دليل قاطع على أنه لا خير فيه لنفسه أو لغيره أو للمجتمع الذى يعيش فيه على وجه العموم.

ثانيا: ماهى جرائم الاعتداء على ذوى القربى

الجريمة كما يعرفها رجال القانون الوضعى هي فعل غير مشروع صادر عن إرادة جنائية يقرر لها القانون عقوبة أو تدبيرا احترازيا، ولكن تعريف فقهاء الإسلام للجريمة أعم وأشمل فهى عندهم: إتيان فعل محرم معاقب على فعله أو ترك فعل معاقب على تركه سواء كانت العقوبة دنيوية أو أخروية، وهى بهذا المعنى تتسع لمضمون التعبيرات الأخرى التى تطلق للدلالة على الفعل أو الترك غير المشروع كالمعصية والإثم والخطيئة والذنب وغيرها.

والمقصود بالجريمة فى هذا المجال ذلك الفعل غير

المشروع الذى يقع من القريب على قريبه ويضع القانون أو الشريعة الإسلامية عقوبة دنيوية أو أخروية، ولهذا فإن جرائم الاعتداء على ذوى القربى متعددة ومتنوعة بتعدد وتنوع الأفعال غير المشروعة سواء فى الشريعة الاسلامية أو القانون الوضعى، ونشير هنا إلى أمثلة لهذه الجرائم من خلال تجاربنا العملية على مدى حوالى ربع قرن فى ساحات القضاء المصرى العريق، ومنها الجرائم الآتية:

١ ـ جرائم قتل الآباء والاخوة بسبب الميراث وغيره من الاموال التى تمثل تركة المتوفى.

٢ ـ جرائم اعتداء الأبناء بالضرب والجرح على الآباء أو الأمهات وما اكثرها امام الشرطة والنيابة العامة والمحاكم المختلفة.

٣ ـ جرائم السرقة بين الأصول والفروع. أيضا على شاكلتها جرائم التبديد وخيانة الأمانة والشيك بدون رصيد وغيرها.

٤ ـ ومن الجرائم المؤسفة حقا وتقع من القريب على محارمه جرائم الاغتصاب وهتك العرض والزنا واللواط، وليس بمستغرب أن توجد فى ساحات القضاء قضايا هتك الأب لعرض ابنته ويحكم عليه فعلا من محكمة الجنايات بالسجن وينفذ العقوبة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

٥ ـ ومن المحزى ان يقتل الابن أحد والديه بلا سبب أو على أحقر الأشياء، والغريب فى الامر ان يكون القاتل والمقتول على درجة عالية من التعليم وربما من الثقافة، والأشد غرابة ان يستعين المعتدى بالغير للاعتداء على أبيه.

هذا وغيره كثير ومن أراد المزيد من هذه الشنائع فليتابع ما تنشره الصحف اليومية فى صفحات الحوادث، الامر الذى يفرض ضرورة تحليل ذلك لبيان عما اذا كان يمثل ظاهرة عامة من عدمه.

ثالثا : هل الاعتداء على ذوى القربى وصل إلى حد الظاهرة؟

فى اللغة الظاهرة من الفعل الثلاثى «ظهر» بمعنى تبين وبرز بعد الخفاء، والظاهرة من الارض المشرفة والمرتفعة عن غيرها، والظاهرة هى الامر البادى بين الناس وينال اهتمامهم، وحتى يمكن القول بأن الاعتداء على ذوى القربى وصل الى حد الظاهرة من عدمه يتعين وضع حصر شامل للجرائم التى تمثل هذا الاعتداء للوقوف على مدى ظهورها فى المجتمع ووضوحها بين الناس، وهذا عمل تقوم به الجهات المختصة بمتابعة الجريمة والاجرام فى الدولة، ولا يعول فى اثبات هذه الظاهرة أو عدمه على مجرد النشر فى بعض الصحف والمجلات عن بعض هذه الجرائم، وان كان هذا النشر يمكن أن يعطى بعض الدلالة على امكان حدوث هذه الظاهرة فى زمن معين أو فى بيئة معينة.

ومن خلال معايشتنا للواقع العملى لتحقيقات النيابة العامة للجرائم طوال مدة حوالى عشرين عاما ومتابعة ما ينشر بالصحف والمجلات عن جرائم الاعتداء على ذوى القربى يمكن القول بموضوعية: ان هذه الجرائم لا تمثل ظاهرة فى المجتمع لها خطرها القاتل على كيانه، ولكنها تمثل بعض التجاوزات من بعض الأفراد لأسباب فى أغلبها خاصة بهم، فعلى سبيل المثال لو عملنا احصائية لجرائم القتل بصفة عامة وجرائم قتل الآباء والاخوة وغيرهم نجد ان نسبة الثانية للأولى تكاد لا تذكر، فمثلا اذا كانت نسبة جرائم القتل بالنسبة لباقى الجرائم هى ٢٠٪ فإن نسبة القتل بين ذوى القربى لا يتصور ان تصل الى نسبة ١٪، وبفرض وصولها الى هذه النسبة فإنه لا يمكن القول بأنها تمثل ظاهرة، لاسيما وأن وراء هذه الجرائم دوافع معينة متعلقة بأطرافها كالميراث وسوء المعاملة وانحراف الطبع وغير ذلك.

وليس معنى أن أمر جرائم الاعتداء على ذوى القربى لا يمثل ظاهرة ان يكون هناك تقليل من شأن هذه الجرائم وخطرها على المجتمع وخاصة فى ظل تعاليم الإسلام التى توجب الاحترام الكامل لهؤلاء، بل يتعين

على كل مسلم أن يحرص على تعاليم دينه الحنيف ويبتعد عن هذه الجرائم، واذا وقعت وجب عليه البحث عن اسبابها لمعالجتها حتى لا يتكرر حدوثها فى المجتمع المسلم.

رابعا: بعض العوامل وراء جرائم الاعتداء على ذوى القربى

فى الغالب الأعم من هذه الجرائم ما تكون الاسباب الدافعة لها متعلقة بأطرافها من الجناة والمجنى عليهم كما سبق القول، ولكن هذا لا يمنع ان هناك عوامل أخرى يمكن ان تكون هى المؤدية الى ارتكابها، ونشير لبعض امثلة لها كالآتى:

١ ـ فقدان العدل بين ذوى القربى، فالأب الذى لا يعدل بين أولاده لا ينتظر ممن ظلمهم الا العدوان عليه، ومن الملاحظ ان معظم جرائم القتل والضرب والجرح والايذاء بين الآباء والابناء سببها الرئيسى التفرقة بين الابناء، كأن يؤثر الاب أحد أولاده على الآخرين فى الميراث أو الانفاق أو حتى فى مجرد الكلمة، وهذا خلافا لما أوصى به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم..».

٢ ـ الأنانية الزائدة من بعض ذوى القربى مما تدفعهم الى مخالفة أحكام الشرع الحنيف، فالمسلم الذى اقتصرت هبة الله له من الذرية على البنات يضع بذور الشقاق بين ذوى قرباه اذا عمل على حصر ميراثه فى بناته دون باقى ورثته الذين حددهم الشارع الحكيم، وقد ينتهى هذا الامر بجريمة تقع بين ذوى القربى، وماذا عليه لو ترك الامر كما هو عليه حتى يطبق شرع الله؟!! لكنها الأنانية المفرطة بلا مبرر، بعد ان يرحل المورث الى دار الحساب.

٣ ـ عدم الالتزام بأوامر الدين الحنيف ونواهيه، ولاسيما فى وسائل تربية الاولاد واختلاطهم ببعض، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»، والمقصود من هذا الحديث التفريق بين الذكور والاناث أثناء النوم وخاصة فى سن الشباب والفوران العاطفى، وكثير من جرائم الاعتداء على العرض تقع نتيجة هذا الاختلاط العشوائى بين هذين النوعين من الاولاد، وقد يقول قائل: **ان ظروف ازمة الاسكان الحالية تحول دون توفير الاماكن التى تسمح بهذا التفريق**، فنقول: ليس معنى هذا التفريق ان يكون لكل ولد ولكل بنت حجرة مستقلة عن الآخر، ولكن يمكن تحقيق ذلك بتخصيص سرير مستقل لكل منهم داخل حجرة واحدة أو حسبما تسمح به ظروف كل أسرة.

٤ ـ التفكك الأسرى الذى يجعل كل فرد فى الاسرة يعيش فى واد بعيد عن الآخرين الى درجة تفقده الانتساب العضوى لأسرته، ومن ثم ينعدم لديه الاحساس بالولاء لها الذى يمنعه من التفكير فى الجريمة والتى قد تقع على واحد من ذوى قرباه، وكثير من جرائم الضرب والجرح أحد عواملها الرئيسية هو التفكك الأسرى.

خامسا: وسائل علاج الأفعال المؤدية إلى هذه الجرائم:

العلاج يكون للأشخاص من خلال الأفعال التى تقع منهم، ومرتكبو جرائم الاعتداء على ذوى القربى فى حاجة ماسة لعلاجهم على هذا الأساس، وتختلف هذه الوسائل باختلاف طريقة المعالجة، ونشير الى بعض منها على النحو التالى:

١ ـ العلاج بالموعظة، وهذه مهمة رجال الدين والدعاة الى الله تعالى باستخدام منهج الوعظ والارشاد، وذلك ببيان الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة على الافعال التى تؤدى الى هذه الجرائم، وبيان فضيلة صلة ذوى القربى وخطيئة قطع هذه الصلة، وغير ذلك من النصح والارشاد.

٢ ـ العلاج الاجتماعى، وهو ما يقوم به علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعى من بيان خطر الجريمة وخاصة التى تقع من وعلى ذوى القربى على الروابط الاجتماعية والعائلية، ودور المؤسسات

الاجتماعية فى مقاومة هذه الجريمة..

٣ ـ العلاج التشريعى، وهو الذى يقوم به رجال القانون باقتراح النصوص التشريعية التى يصدرها المشرع القانونى بالعقوبات اللازمة لمعالجة الافعال الاجرامية التى تقع على ذوى القربى، وذلك فى اطار المبدأ المستقر فى السياسة التشريعية الجنائية وهو أنه: لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، ومن الاقتراحات التى نرى انها جديرة بالنظر اليها بعين الاعتبار كوسيلة لعلاج الافعال المؤدية الى جرائم الاعتداء على ذوى القربى ما يأتى:

أ ـ تجريم بعض الافعال التى تقع على ذوى القربى وليس لها عقوبة فى القانون، كالافعال التى تصدر من الأبناء وتمثل اخلالا بالطاعة الواجبة للوالدين وعقوقا لهما، وليس هذا غريبا على التشريع الجنائى الذى يضع عقوبة لفعل اهانة الموظف العام ولو كان ذلك بالقول أو الإشارة طبقا لنص المادة ١٣٣ من قانون العقوبات.

ب ـ اعتبار درجة القرابة أحد الظروف المشددة للعقوبة المقررة لجرائم الاعتداء على ذوى القربى، فمثلا عقوبة جريمة القتل العمد هى الاعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة طبقا للمادة ١/٢٣٤ من قانون العقوبات فتصبح هى الاعدام فقط إذا كان المجنى عليه قريبا للجانى بدرجة يحددها القانون كالاب أو الأم أو الأخ وغير ذلك، وهذا يتمشى مع سياسة المشرع فى التشديد الذى جعل ظروف سبق الاصرار والترصد واستعمال السم سببا لرفع عقوبة القتل العمد الى الاعدام فقط، وكذلك الامر فى سائر الجرائم التى تقع من وعلى ذوى القربى.

جـ ـ إلغاء وقف تنفيذ العقوبات التى تصدر فى هذا النوع من الجرائم حتى ولو تم التصالح بين الطرفين، ولاسيما فى الجرائم التى يكون الآباء هم المجنى عليهم حيث يستغل الأبناء وهم جناة عاطفة الحب عند الوالدين لهم ويحصلون منهم على التصالح فى هذه الجرائم رغم أفعالهم القبيحة.

إن جرائم الاعتداء على ذوى القربى من الخطورة بمكان ويجب أن تتضافر الجهود الدينية والاجتماعية والتشريعية لوضع الوسائل الفعالة لمعالجتها أو على الأقل محاصرتها فى أضيق نطاق، وذلك كله توصلا الى الحفاظ على روابط القربى الأزلية بين أفراد المجتمع المسلم وبالتالى ينعم الجميع بالاستقرار والطمأنينة فى المجتمع الانسانى ككل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتصار الدين الإسلامى

يقول هربرت فيشر فى فصل كتبه عن الإسلام ضمن كتابه: تاريخ أوروبا: «لقد وصلنا الآن إلى نقطة يصبح عندها تاريخ أوروبا معقداً بسبب انتصارات الدين الإسلامى، ففى خلال القرون الستة الأولى من التقويم المسيحى، ما كان يمكن لأى سياسى متميز فى أوروبا أن يجد فرصة لكى يتذكر بلاد العرب.

ولكن ما أن انقضت مائة عام حتى استطاع هؤلاء المتوحشون المغمورون أن يصبحوا قوة عالمية عظمى.

وما بين أحد طرفى أوروبا حتى طرفها الآخر، وجدت الدول المسيحية نفسها تواجه التحدى من حضارة شرقية جديدة تأسست على دين شرقى جديد.

هربرت فيشر

الحضارة الإسلامية

- ترشيد البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم
- الحضارات الإنسانية بين القطيعة والتقليد
- الإسلام والحفاظ على الإنسان والبيئة
- إسلامية العلم والمعرفة
- الإسلام إضافة ضرورية للحضارة الإنسانية
- رؤية حول الأصالة والمعاصرة

في ظلال العلم والإيمان:

ترشيد البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم

أ.د. أحمد فؤاد باشا

إن إمكانية البعث الحضارى للأمة الإسلامية يمكن أن تتحقق إذا ما أعيد ترشيد العقل الإسلامى لينطلق فى تفكيره، كما كان، من ثوابت الدين الإسلامى الحنيف : العقيدية والعملية، ثم يتحرك فى إطار المتغيرات المرتبطة بهذه الثوابت، والمناسبة لطبيعة العصر، والمستشرفة لتوقعات المستقبل. وإذا كان أصحاب التفسير المادى للتاريخ يقولون بحتمية سقوط الدول والحضارات، بشكل أو بآخر، إلى غير عودة، فإن هذه المقولة لاتنطبق إلا على الحضارات المادية ذاتها، على نحو ما نشهد الآن فى عصرنا من انهيار تام للماركسية والأنظمة الإلحادية التى تدور فى فلكها. أما التفسير الدينى للصحوة الإسلامية الحضارية فإنه يستند إلى حقيقة تاريخية مؤداها أننا أمة لايصلح حالها إلا على أساس الدين الذى صلَح به أولها وهو الإسلام الحنيف .

لكن أساليب الغزو الفكرى تسعى إلى طمس هذه الحقيقة، أو تغييبها، لتباعد بيننا وبين ركب الحضارة المعاصرة، ولتحول بيننا وبين ما بلغه الآخرون من تقدم ورقى. ويظهر هذا التوجه سافراً فيما يبديه أصحاب «النزعة العلمانية» الوافدة إلينا، والمتفشية بيننا من عدم ارتياح للربط بين العلم والإسلام، حيث أنهم يفصلون تماماً بين المقومات المادية لقيام النهضة من جهة، وبين الطاقات الروحية المغذية لها من ناحية أخرى، بل إنهم - أى العلمانيين - يستبعدون الدين عن مجال التأثير فى توجيه شئون الحياة الدنيا، ويستدعون العلم وحده لكى يقوم بهذا التأثير. وهم يجدون مثلهم الأعلى فى حضارة الغرب المادية التى روجت الاعتقاد بأن الانفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة. وأن العلم بفروعه المختلفة لايمكن إلا أن يكون «علمانيا»، أى دنيوياً لادينياً. وإذا كان ما يدعون إليه قد جاز فى مرحلة سابقة من تاريخ الغرب، لها ظروفها الخاصة، فإنه لايصلح أبداً فى عرف الإسلام، لأنه يقصر فلسفته فى تفسير الظواهر الكونية والإنسانية والاجتماعية على أسباب من داخل الكون لا دخل للإرادة الإلهية فيها، ولا لسائر الغيبيات.

ولقد أدى هذا الإعتقاد الخاطئ فى بلاد المسلمين إلى حالة من الركود العلمى، شُلَّت فى ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار. ومن يستقرئ تاريخ الفكر الإنسانى سوف يجد أن ما

يضعه البشر لأنفسهم من مذاهب وفلسفات، بمعزل عن هدى الله، يحتاج دائما إلى التعديل والتبديل ليلهث وراء تلبية احتياجات البشر المتطورة والمتغيرة بمرور الزمن. أما المنهج الإسلامي - بربانيته - فإنه يضع القواعد المثلى لحركة الكون والحياة، ويقدم للبشرية كلها، فى جميع أزمانها وأطوارها، أصلاً ثابتاً تتطور هى فى حدوده وترتقى، وتنمو وتتقدم، دون قيد على حرية التفكير والبحث العلمى.

ولما كان القرآن الكريم هو الأصل الأول للثوابت الإسلامية، فإن المسلمين مطالبون فى كل زمان ومكان باستنهاض عزائمهم، وشحذ عقولهم، نحو فهمه فهماً يغير من حياتهم إلى الأفضل دائما، ويضعهم فى موضع يمكنهم من نشر لواء الإسلام فى كل ربوع الأرض، باعتباره منهجاً ربانياً متكاملاً، يحمل للناس كل ما فيه فلاحهم فى الدنيا والآخرة. ولقد ظهرت مباحث فى علوم القرآن تعنى بجوانب إعجازه التى لاتحصى، ومنها إعجازه العلمى الذى يحظى باهتمام كبير فى عصرنا الحالى الموسوم «بعصر العلم والتقنية».

معنى «الإعجاز العلمى» لغة واصطلاحا:

الإعجاز لغة: مشتق من العجز. والعجز: الضعف أو عدم القدرة، وهو مصدر «أعجز» بمعنى الفوت والسبق. وعليه فإن مصطلح «الاعجاز العلمى» للقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة يقصد به أخبارهما بحقيقة كونيّة أثبتها العلم التجريبى، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مما يظهر صدقه فيما بلّغ عن رب العزة سبحانه وتعالى. ووصف الإعجاز هنا بأنه «علمى» نسبة إلى العلم التجريبى المعنى بدراسة الظواهر المطردة فى الآفاق وفى الأنفس، وصولاً إلى القوانين التى تفسر سلوك هذه الظواهر، وتعلل حدوثها، بحيث تنكشف حقائق الأشياء انكشافاً تامًا، وتتجلى حقيقة الحقائق متمثلة فى الإيمان الصادق بالخالق الواحد جل وعلا، مصداقاً لقوله تعالى: «**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**»(سورة فصلت: ٥٣).

والعلاقة بين آيات الحق فى القرآن والكون تجمع فى ترابط محكم بين إعجاز السبق والبيان فى كتاب الإسلام الخالد، وإعجاز القدرة الإلهية فى كتاب الكون اللانهائى، ليدلى كل إعجاز بشهادة تسليم وتصديق للآخر، وليكون فى الإعجازين عبرة لكل ذى عقل رشيد، أو لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، فكما أن الأدلة القاطعة برهنت على أن القرآن الكريم لايمكن إلا أن يكون من عند الله الواحد، بدليل عدم الاختلاف بين آياته، كذلك فإن النظام الكونى المعجز بكل ما فيه من تدبير وإحكام لايمكن إلا أن يكون من صنع الله الذى أتقن كل شىء.

وقد أضاف الأستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - فى كتابه «التفكير فريضة إسلامية»، عمقا جديداً لمعنى الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، فذكر أن هناك نوعين للمعجزة ينبغى التمييز بينهما، كى نطلب المعجزة التى يجب أن تطلب، ونتورع عن طلب المعجزة التى لاتجدى أحداً من العقلاء.

أما النوع الأول: فهى المعجزة التى تتجه إلى العقل، وهى موجودة يلتقى بها من يريدها حيثما التفت إليها، متمثلة فى الاطراد المنتظم لظواهر الكون والحياة التى لاتتبدّل ولاتتحول. قال تعالى: «**ولن تجدلسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**»(سورة فاطر: ٤٣).

وأما النوع الثانى: فهى المعجزة التى تكون من

خوارق العادات، فهى التى تدهش العقل وتضطره بالإفحام القاهر إلى التسليم، وهى ليست بحاجة إلى قدرة أعظم من القدرة التى نشهد من بدائعها ما يتكرر أمامنا كل يوم وكل ساعة. والعالم الحق أحرى أن يعرف موضع العجب فيما يشاهده من سنن الله الكونية المألوفة فى دوران الأفلاك وخصائص المادة وسلوك الكائنات والظاهرات، فليست أُلفته لها مما يصبح أن يبطل العجب منها، ومن قال هذا فهو هازل مستخف بالمعجزة التى تخاطب العقل وتستثير ملكاته، وهو أيضا عاجز عن أن يجد فى هذه المعجزة العناية الإلهية التى تُسيِّر حركة الكون والحياة.

ومن أسف أن يغيب مثل هذا التمييز الواضح بين نوعىْ المعجزة عن كثير من الباحثين الذين يقفون بتفكيرهم عند حد التفسير العلمى للظاهرة الكونية، أو الذين يقحمون أنفسهم فيما لايدركه العقل البشرى المحدود من خوارق العادات التى لاتخضع للنواميس الطبيعية ولا للتجارب البشرية.

كذلك أدى غياب هذا التمييز الواضح بين نوعىْ المعجزة إلى الخلط أحياناً بين الإعجاز العلمى الذى يقصد به سبق القرآن الكريم إلى الإخبار بحقيقة كونية قبل أن يكتشفها العلم التجريبى، وبين «التفسير العلمى» الذى يراد به الكشف عن معانى جديدة للآية القرآنية، أو الحديث النبوى فى ضوء ما ترجمت صحته من نظريات العلوم الكونية، بمعنى أن تكون هذه العلوم فى خدمة تفسير القرآن والسنة مثلما خدمته علوم اللغة والأصول والفقه وغيرها من مجالات العلوم الشرعية.

استدراك وتنبيه:

لم يكن التعريف الذى قدمناه لمعنى مصطلح «الإعجاز العلمى» جامعاً مانعاً، على حد قول المناطقة، ويلزم التنبيه إلى أمرين مهمَّين:

الأمر الأول: يتعلق بكلمة «إعجاز» ذاتها، حيث أن دلالتها غير دقيقة ولا سديدة، كما أنها كلمة توحى عند سماعها أو قراءتها بحصر اهتمامات المجتهد فى فهم القرآن الكريم وتفسيره فى دائرة «الإعجاز» بمعناه الاصطلاحى فحسب. والواقع أن جهود المهتمين بهذا المجال ليس من الضرورى أن تتوصل إلى نتائج صحيحة دائما تدخل تحت مفهوم «الإعجاز العلمى»، باعتبار أن ما ينتهون إليه هو اجتهادات فى فهم معانى القرآن الكريم وهذا يبرر لنا صدق الجهود المشكورة التى بذلها أسلافنا لاستجلاء بعض معانى آيات القرآن الكريم فى ضوء المعارف العلمية المتاحة فى عصورهم، والتى ظهر خطؤها فيما بعد عندما وصل العلم باكتشافاته إلى مرحلة أرقى. فتذكر المراجع أن عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب «المجسطى» فى الفلك لبطليموس على أستاذه الأبهرى. وكتاب المجسطى هذا يتضمن فصولاً عن هيئة الكون كما تصوره فلاسفة الاغريق، وفيه تقع الأرض فى المركز وتدور حولها الشمس والكواكب المعروفة آنذاك، وهو غير ما نعرفه فى عصرنا من أن الشمس تدور حولها الأرض وبقية الكواكب، والمجموعة الشمسية تقبع فى مكان صغير على حافة طريق لبنى يحتوى على بلايين النجوم. فبينما كان عمر بن الحسام يقرأ على الأبهرى كتاب «المجسطى» ذات يوم، دخل عليهما أحد الفقهاء وسألهما عمّا يقرآنه، فقال الأبهرى إنه يحاول أن يفهم معنى آية من القرآن الكريم وهى قوله تعالى: «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج» (سورة ق ٦). ويقول الفخر الرازى معلقا على هذه الرواية: «ولقد صدق الأبهرى فيما قال، فإن كل من كان أكثر توغلا فى بحار مخلوقات الله، كان أكثر علما بجلال الله وعظمته».

وأما الأمر الثانى : الذى ينبغى التنبيه إلى أهميته. فيدور حول وصف «العلمية» الذى يراد به العلم التجريبى فى موضوعه وطرائقه على ما هو الشائع على ألسنة كثير من المفكرين، بصرف النظر عن صحة هذا الشائع وخطئه. ذلك أن الاقتصار على معنى «العلم» التجريبى فحسب فيه تضييق للواسع، فضلا عن أن فيه تسليماً بالرأى المغالط فى الثقافة الغربية، وإغفالاً للمدلول الواسع والشامل فى الثقافة العربية الإسلامية، حيث أن الأصل فى معنى «العلم» عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء، وتصنيف العلوم إلى دينيّه أو دنيوية، أو نقلية وعقلية، أو شرعية وطبيعية، أو نظرية وتجريبية، أو غير ذلك، هو تصنيف يعتمد على الصفات المعبرة عن موضوعات العلم، أو مصادره، أوالطرائق التى يتم تحصيله بها بحسب تناسبها وقرب بعضها من بعض.

وعلى أية حال، فإن هذين الأمرين - على أهميتهما - لم يحجبا عن الأذهان المراد الحقيقى من مصطلح «الإعجاز العلمى» الشائع والمعروف على الألسنة، حيث لا مشاحة فى الاصطلاح كما يقولون.

الترقى فى فهم آيات القرآن والكون :

يحث القرآن الكريم أتباعه على أن يتدبروا آياته ويفقهوا خطابه. قال تعالى : «**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**» (سورة النساء : ٨٢). وجاء فى الحديث الشريف : «**من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين**» (رواه البخارى فى صحيحه، كما رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه). وعيب على المنافقين عدم إدراكهم للغرض من الكلام، حيث قال تعالى فيهم : «**فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا**» (سورة النساء : ٧٨)، فهم عرب يفهمون قطعاً مدلول الألفاظ وما تحمله من المعانى، لكنهم لمرض نفوسهم، وفساد قلوبهم، لايفهمون غرض المخاطب - وهو الله سبحانه وتعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم - من خطابه الذى يدعوهم فيه إلى ما يسعدهم فى دنياهم وآخرتهم. كذلك عيب على المشركين والكافرين أنهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله، وأنهم لم يدركوا حكمة الأمثال التى أخذها القرآن من مشاهد الكون والحياة. قال تعالى «**وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا**» (سورة البقرة : ٢٦).

وينبغى الترقى فى فهم آيات القرآن والكون حتى ندرك الحكمة وراءها بفقهها. فالفقه معناه أعم فى الدلالة من كلمات «علم»، و«معرفة»، و«فهم». قال تعالى : «**فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم. وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون**» (سورة الأنعام : ٩٦ - ٩٨). ويوضح الشيخ محمد الغزالى - رحمة الله - بعض معانى هذه الآيات الكريمة بأن الفقه هنا ليس إلا معرفة مستقر النفس الإنسانية قبل أن توجد وهى فى الرحم، لأن القرآن الكريم يقرر : «**ونقر فى الأرحام ما نشاء**» (سورة الحج : ٥). ومعرفة المستودع، الذى هو القبر، وما يصل إليه البدن... ثم معرفة ما بين المستقر والمستودع من حياة.

إنه فقه واسع المرادات، وسع القرآن الكريم دائرته لمعنى أوسع بكثير من المعنى الاصطلاحى الفقهى.. إنه فقه العلم والحضارة الذى نستوحيه من تدبر آيات القرآن الكريم، والإفادة من معطيات العلوم والتقنيات وآليات فهمها، للقيام بمسئوليات

الخلافة، واستئناف مسيرة التقدم التى توقفت من عهد بعيد .

والترقى فى فهم آيات القرآن والكون إلى درجة الفقه يبلغ بصاحبه نهاية درجة الإحسان فى قراءة الكتابين: المسطور والمنظور. أما نهاية الإحسان فى قراءة آيات القرآن فتعنى تجاوز حدود الأصوات والألفاظ، واختراق حاجز الزمان والمكان، وصولاً إلى الاستماع من المتكلم الأزلى جل جلاله. فالنفس الشفافة، والاحساس المرهف، لهما أثر جلىّ فى قراءة القرآن، أو الاستماع إليه، وبذلك تتجلى أنوار القرآن على قلب القارئ أو السامع، ولهذا كانت نصيحة العارفين: «اقرأ القرآن كأنه يتنزل عليك».

وقد دعا الإمام الغزالى فى «إحياء علوم الدين» إلى الأخذ بهذا النهج فى قراءة القرآن، فقد ذكر فى تعداده أعمال الباطن عند التلاوة: الترقى، وهو أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه .

فدرجات القراءة ثلاث؛ أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه، والثانية: أن يشهد بقلبه كأن الله تعالى يراه ويخاطبه بألطافه، ويناجيه بإنعامه وإحسانه، والثالثة.. أن يرى فى الكلام المتكلم، وفى الكلمات الصفات، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته، بل يكون مقصور الهم على المتكلم، موقوف الفكر عليه، كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم وهذه درجة المقربين .

وأما نهاية الإحسان فى قراءة آيات الكون، كتاب الله المنظور، فتعنى تجاوز حدود البحث العلمى الآلى، بعناصره ووسائله وأدواته، واختراق عالم النظريات والقوانين العلمية بصياغاتها اللفظية، وصولا إلى إدراك أن كل علم من العلوم الباحثة فى ظواهر الكون والحياة، وهو فى حقيقته علم يبحث بلغته الخاصة عن الله خالق الكون والحياة، ويستند فى غاية منتهاه إلى اسم من أسماء الله الحسنى.. فعلوم الطب والصيدلة تصل إلى كمالها بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم «الشافى» فى كل حبة دواء، وعلوم الفيزياء والفلك والكيمياء والنبات والحيوان تبحث فى حقيقة الموجودات باستنادها إلى ما يناسبها من أسماء العليم الحكيم المقدّر الذى أوجد هذا العالم على أعلى درجة من الترتيب والنظام والكمال والجمال، وبهذا تكون العلوم فى حقيقتها غير مقصودة لذاتها، وإنما هى ضرورات حيوية وحاجات معرفية وعقلية تحيط الهداية الإيمانية بأبعاد جديدة، وترى فى كل مشهد كونى آية ناطقة بقدرة الخالق ووحدانيته، ومظهراً معبّراً من مظاهر تجليات أفعال الله تعالى وأسمائه الحسنى .

ولاشك أن البحث فى الإعجاز العلمى لآيات القرآن الكريم على هدى وبصيره يؤتى ثماره الحقيقية ببلوغ نهاية الإحسان على سلّم الترقى فى فهم آيات الله المنبئة فى القرآن الكريم، وفى جنبات الكون الفسيح، وفى أسرار النفس البشرية وباقى الموجودات.

أهم المراجع :

- الشيخ محمد الغزالى، كيف نتعامل مع القرآن، دار الوفاء، مصر ١٩٩٢م.
- عباس محمود العقاد، التفكير فريضة اسلامية .
- أبو حامد الغزالى، إحياء علوم الدين، دار الكتب القومية، بيروت ١٩٨٦م.
- د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٧م.
- د. محمد إبراهيم شريف، هداية القرآن فى الآفاق والأنفس وإعجازه العلمى دعوة ضرورية ومنهج واجب، ١٩٨٦م.

الحضارات الإنسانية .. بين القطيعة .. والتقليد

دكتور محمد عمارة

فى النظرة الإسلامية، تتأسس التعددية فى الحضارات الإنسانية على «سنة التعددية»، التى هى واحدة من سنن الله فى الخلق المادى والاجتماعى البشرى .. وهى سنة لا تبديل لها ولا تحويل .. فتعدد «المناهج» الذى شاءه الله، سبحانه وتعالى للأمم والشعوب، هو القانون الذى تتأسس عليه التعددية فى الحضارات ..

وهذه التعددية فى الحضارات الإنسانية، لا تعنى: «قطيعة - التضاد»، كما أنها لا تعنى: «تماثل - التبعية»، و «تطابق - التقليد» .. وإنما هى «تميُّز» يقف بين «الواحدية الحضارية» وبين «التضاد المطلق بين الحضارات» .. إنه «تميز» يقوم على ساقين اثنتين .. ساق «العموم» القائم فيما هو مشترك إنسانى عام فى حقائق وقوانين العلوم الموضوعية .. والطبيعية .. والمحايدة، التى لا تتغاير حقائقها وقوانينها بتغاير عقائد وحضارات الباحثين فيها، وذلك لثبات موضوعات هذه العلوم، وتماثل ثمرات تجاربها، مهما تعددت، وتغيرت هويات القائمين بها ..

ففى هذه الميادين نكون بإزاء «مشترك إنسانى عام»، يمثل رصيدا «للعموم» الجامع بين مختلف الحضارات الإنسانية، عبر الزمان والمكان ..

أما الساق الثانية التى يقوم عليها «تميُّز» العموم والخصوص بين الحضارات، فهى ساق الخصوصيات الحضارية فى الهويات والثقافات والفلسفات .. وميادين هذه الخصوصيات هى العلوم الإنسانية، التى تتغاير بتغاير موضوعاتها - النفوس الإنسانية - التى تتلون وفق المواريث والعقائد والفلسفات والعادات والأعراف والتقاليد ..

وإذا كانت التجارب المادية تتكرر على «المادة» فتثمر ذات الحقيقة ونفس القانون، رغم التكرار، ورغم تغاير هويات القائمين على هذه التجارب، لثبات وحياد «المادة» موضوع التجارب .. فإن التجربة الفنية أو الشعرية أو الروحية، وكذلك الاجتهاد فى العلوم الإنسانية، يستحيل التماثل فيها عند تكرارها حتى لدى الإنسان الواحد، لأن موضوعاتها - النفس الإنسانية - ليس لها ثبات ولا حياد «المادة» الصماء!..

فعلى «العموم» - الذى يمثل نطاق المشترك الإنسانى العام فى الفكر الإنسانى - .. وعلى «الخصوص» - الذى يمثل التعددية فى الهويات والثقافات والإنسانيات - يقوم «التمايز» الممثل لرؤية الإسلام لمعيار «التعارف» بين الحضارات المتعددة للأمم والشعوب ..

نماذج شاهدة:

وإذا كان الناس لا يختلفون على عموم الحقائق

والقوانين التى تمثل ثمرات الإبداع الإنسانى فى ميادين العلوم الطبيعية والموضوعية والمحايدة .. من طب .. وهندسة .. وطبيعة .. وكيمياء .. وفلك .. ورياضيات .. ونبات .. وحيوان .. وفى ميادين التجارب الإنسانية التى هى أقرب إلى الآليات والأدعية والمؤسسات، التى توظف فى خدمة المقاصد والفلسفات والغايات .. فإن خلافا كبيرا يقوم بين تيارات فكرية متعددة حول التمايز الحضارى فى ميادين الثقافات والهويات والإنسانيات .. آدابا وفنونا .. وسياسة .. واجتماعا .. واقتصادا .. وعقائد .. ورؤى لمكانة الإنسان فى الكون، وعلاقته بالأغيار، وفلسفته فى حكمة الوجود، وقصة البدء، والمسيرة، والمصير .. الخ .. الخ .. فمن الناس من يرى موضوعات العلوم الإنسانية، كموضوعات العلوم الطبيعية، محايدة، وصالحة للدرس بالمناهج الموحدة، كما هو الحال فى مناهج دراسة موضوعات العلوم الطبيعية، الأمر الذى يثمر حقائق وقوانين واحدة، تجعل ميادين هذه العلوم الإنسانية مما هو «مشترك إنسانى عام»، لا تتغاير فيه ولا تتمايز الحضارات .. وهؤلاء هم دعاة الواحدية الحضارية .. الذين عبر عن فكرهم الدكتور طه حسين [١٣٠٦ ـ ١٣٩٣ هـ ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣ م]ـ فى مرحلة انبهاره بالحضارة الغربية ـ فقال بواحدية «العقل» بين الشرق والغرب، لأن العقل الشرقى هو ـ كالعقل الأوروبى ـ مرده إلى عناصر ثلاثة :

« **ـ حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن.**

ـ وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه .

ـ والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان. »

وبعد أن أنكر تمايز الحضارات فى الإنسانيات، وزعم وحدتها فى الأدب والفلسفة والفن والسياسة والفقه والشرائع .. رتب على ذلك واحدية العقل الشرقى والعقل الأوربى، فقال : «لقد كانت مصر دائما جزءا من أوربا، فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها .. » .

ثم مضى فرفض أن يكون ظهور الإسلام ونزول القرآن قد أحدثا تميزا للعقل الإسلامى الشرقى عن العقل النصرانى الغربى، فقال : وكما لم يغير الإنجيل من الطابع اليونانى للعقل الأوربى .. فكذلك القرآن، لم يغير من الطابع اليونانى للعقل الشرقى، لأن القرآن «إنما جاء متمما ومصدقا لما فى الإنجيل» ؟! ..

ثم انطلق من ميدان الحكم على الماضى والتراث، ليعمم هذا القول على الحاضر والمستقبل، فدعا الناس إلى أن يسلكوا فى النهضة ويختاروا للتقدم نفس الخيار الغربى، زاعما أنه خيار وحيد، وسبيل واحدة لا تعدد فيها ولا تمايز .. فقال : «إن السبيل واضحة بينة مستقيمة لا لبس فيها ولا عوج ولا التواء، **وهى واحدة فذة ليس لها تعدد**، وهى : أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحَبّ منها وما يُكْرَه، ما يُحْمَدُ منها وما يعاب » ؟! (١)

ذلك هو مذهب المنكرين للتعددية الحضارية، القائلين بالوحدة الحضارية فى الإنسانيات كما فى الطبيعيات، وعندهم أن التمايز قائم فى درجات ارتقاء الأمم على السلم الواحد للحضارة الواحدة .. وليس تمايزا فى الهويات والخصوصيات بين حضارات إنسانية متعددة ومتمايزة ..

ولأن هذه القضية فيها هذا الخلاف .. ولأن القول بهذه «الواحدية الحضارية»، يؤدى ـ فى رأينا .. ليس فقط إلى الخروج عن ما جعله القرآن الكريم آية من

آيات الله، سبحانه وتعالى، فى اختلاف الناس فى الشرائع والمناهج، ومن ثم فى الحضارات .. بل وإلى الخروج على حقائق الفكر التى تبلغ مرتبة البدهيات .. وأيضا المعاندة والإنكار لواقع تاريخ الحضارات ..

لما كان هذا هو الرأى فى دعوى القائلين «بواحدية الحضارة» .. حق علينا أن نضرب الأمثال الشاهدة على صدق الرؤية الإسلامية، على وجود **«تعددية التمايز»** بين الحضارات، كموقف وسطى بين دعاة **«تغاير - التضاد»** بين الحضارات، وبين دعاة **«تماثل - الوحدة»** فيما يسمونها الحضارة «العالمية» و «الإنسانية» الواحدة ..

ومن بين الأمثال الكثيرة، الشاهدة على صدق هذه الرؤية الإسلامية، للتعددية الحضارية، نختار بعضها .. مثل :

● **الاشتراك فى «الإيمان بالخالق» .. والخصوصية فى «آفاق تدبيره» :**

فى كل الحضارات .. التاريخية منها والمعاصرة - وإذا نحن استثنينا القلة المادية المنكرة وجود خالق لهذا الوجود - هناك اشتراك بين جميع أمم تلك الحضارات فى الإيمان بخالق لهذا الوجود .. ومع هذا الاشتراك هناك خصوصيات حضارية فى تصور كل حضارة من الحضارات لنطاق وآفاق عمل وفعل وتدبير الذات الإلهية الخالقة لهذا الوجود ..

(أ) فالتصور الوثنى الجاهلى، لم ينكر وجود خالق لهذا الوجود، ولكنه وقف - فى تصوره لعمل هذا الخالق - عند حدود «الخلق» .. ثم أشرك معه شركاء آخرين زعم أنهم الوسائط المدبرة لشئون الحياة الدنيا، يفزع إليهم الإنسان الجاهل عند الملمات ..

ولذلك، لم ينع القرآن على التصور الجاهلى إنكار الخالق للوجود .. وإنما نعى عليه الوقوف بعمل هذا الخالق عند حدود «الخلق»، دون آفاق التدبير فى كل ميادين الوجود وسائر شئون العمران .. لقد أقرهم على «نطاق الاشتراك» - الإيمان بخالق للوجود - .. ونعى عليهم الإيمان بالشركاء الذين زعموا اختصاصهم، دون الله، بالتدبير لشئون هذه الحياة .. **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله، فأنىّ يؤفكون .الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، إن الله بكل شىء عليم﴾** ..[2]

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، قل الحمد لله، بل أكثرهم لا يعلمون . لله ما فى السموات والأرض، إن الله هو الغنى الحميد﴾[3]

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ ، قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون﴾[4]

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم . الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون . والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون . والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون . لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون . وجعلوا له من عباده جزءا، إن الإنسان لكفور مبين﴾[5]

ففى هذا التصور الجاهلى للذات الإلهية : اشتراك مع التصورات الأخرى فى الإيمان بخالق لهذا الوجود .. وخصوصية جاهلية، تقف بفعل الخالق عند حدود الخلق، وتشرك معه الشركاء فى التدبير والتلبية لحاجات الإنسان فى هذا الوجود ! ..

(ب) وفى التصور الأرسطى اليونانى للذات الإلهية شبه من هذا التصور الوثنى الجاهلى .. فالله هو الخالق لهذا العالم .. لكنه خلقه ثم تركه يعمل بالأسباب المادية الذاتية المركبة فيه .. فعلاقة الخالق بالوجود «علاقة منطقية»، كعلاقة المقدمة بالنتيجة .. وليست علاقة الراعى المدبر لشئون هذا الوجود ؟! ..

فهنا - فى هذا التصور الأرسطى للذات الإلهية - اشتراك مع التصورات الأخرى فى الإيمان بخالق للكون .. وتميز فى علاقة الخالق بالخلق، وفى نطاق عمل وتدبير الله فى المخلوقات ..

(ج) وشبيه بهذه التصورات لنطاق عمل الذات الإلهية، التصور النصرانى، الذى يدع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله ؟! .. لأنه يحبس تدبير الذات الإلهية عن العمران البشرى، ويحصره فى شئون مملكة السماء ! ..

(د) بل إننا نستطيع أن نسلك التصور العلمانى فى إطار هذه التصورات ..فهو - عند أغلب العلمانيين - لا ينكر الله كخالق للكون، ولا الدين كعقيدة وشعائر وعبادات .. ولكنه يحرر العمران الإنسانى - فى السياسة والاجتماع والاقتصاد ومناهج البحث - من «الشريعة الإلهية» وضوابط التدبير الإلهى لهذه الميادين ..

ففى كل هذه التصورات «اشتراك .. وعموم» مع التصور الدينى الحق، الذى تفرد به القرآن الكريم .. وفيها «تميز وخصوصية» فارقة بينها وبين التصور الإسلامى لنطاق عمل وفعل وتدبير الذات الإلهية فى هذا الوجود ..

(هـ) يتميز التصور القرآنى لنطاق عمل وفعل وتدبير الذات الإلهية، عندما لا يقف بهذا النطاق عند حدود «الخلق» فقط لهذا الوجود، وإنما يجعل الله، سبحانه وتعالى، الراعى والمدبر والحاكم - بقضائه وشرعه - لكل شئون الحياة، وسائر ميادين العمران ..

فهو «الخالق» وهو «مدبر الأمر» .. **﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه، ذلكم الله ربكم فاعبدوه، أفلا تذكرون﴾**(٦)

وله، سبحانه وتعالى، «الخلق» و «الأمر» - أى التدبير - . **﴿ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين﴾**(٧)

وهو باسط الرزق ومقدره .. ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، إن الله بكل شىء عليم﴾(٨)

وهو الذى «خلق» .. وهو الذى «هدى» .. **﴿قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى﴾**(٩)

وهكذا، تشترك الحضارات فى «عموم» الإيمان بخالق لهذا الوجود .. فى ذات الوقت الذى تتمايز فيه تصوراتها فى «خصوصية» نطاق وآفاق عمل وتدبير الخالق فى هذا الوجود .. الأمر الذى يؤكد حقيقة التمايز الحضارى والخصوصية الحضارية .. والتعددية فى الحضارات ..

الهوامش :

(١) [مستقبل الثقافة فى مصر] جـ ١ ص ٢١ - ٤٥ . طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ م .

(٢) العنكبون : ٦١ . ٦٢ .

(٣) لقمان : ٢٥ . ٢٦ .

(٤) الزمر : ٣٨ .

(٥) الزخرف : ٩ - ١٥ .

(٦) يونس : ٣ .

(٧) الأعراف : ٥٤ .

(٨) العنكبوت : ٦٢ .

(٩) طه : ٤٩ . ٥٠ .

الإسلام والحفاظ على الإنسان وبيئته

أ . د / إبراهيم بدران

تعريف البيئة :

فى معناها اللغوى هى الوسط أو المحيط الحيوى أو المادى الذى تعيش فيه الكائنات وتحدث تفاعلات خارجية أو داخلية فى حياتنا .

أنواع البيئة التى تحيط وتؤثر فى الإنسان :

(Bro sphere) البيئة الحيوية والكونية وهذه من صنع الله جلت قدرته.

(Techno sphere) البيئة أو المحيط التكنولوجى وهذه من فعل الإنسان واجتهاده .

(Socio Sphere) البيئة المجتمعية وهذه تنتج عن المجتمع وما يحدث فيه .

(Temeo Sphere) البيئة داخل الإنسان وهذه نبع النفس وما سواها .

الإسلام منظومة حياتية متكاملة

الإسلام دين سماوى منزل يتمثل فى منظومة للحياة الكاملة تعتمد على أسس مرجعية محددة فى كتاب الله المقروء - القرآن الكريم .

وفى كتاب الله المنظور المتمثل فى إبداع الخالق والتفكير فى قدرته والإسلام عبادة أساسها الفكر والتأمل والتعمق فى الوصول إلى الله وفى جنباته :

١ - أسلوب حياة يهدى به الله إلى حياة مستقرة ومنتجة بإذنه .

٢ - وسبيل للوصول إلى الكمال للإنسان الذى يتأتى بمعرفة الله .

٣ - واستخلاف فى ملك الله محافظ على ما ائتمن عليه لنفسه ولمن يأتى بعده والاقتراب من العلاقة بين الإسلام والبيئة والإنسان يقتضى الرد على سؤالين :

أ - هل فى الإسلام قيم تؤدى إلى حماية المصادر والبيئة والحفاظ عليها لمصلحة الإنسان ؟

ب - هل يمكن أن نستفيد من التشريعات الإسلامية بما يساعد على التخطيط للتنمية السليمة لخير البشر على الدوام ؟[١]

والإجابة نعم إن الإسلام منظومة متكاملة نزلت نعمة للبشر مرجعيتها متاحة فى القرآن الكريم والحديث الشريف وإجماع الأئمة واجتهاد العلماء إلى يوم الدين وفى مضمونها ما يحدد أسلوب التعامل بين البشر وبين الإنسان - المستخلف على الأرض وما فيها من مصادر وقدرات (الأرض والماء والهواء والكائنات وما فيها من كوامن) وهو يبين دور الإنسان فى الدنيا وعلاقته بها مالكا ومسيطرا ومديرا ومستهلكا لها ومحافظاً على البيئة فى نفس الوقت وعلى جمال الطبيعة ومانعا لتلوث كل ما كلف بإدارته .

العلم والتقدم ومستقبل البشرية والتغيرات فى المحيط التكنولوجى

إن البيئة التى احتضنت الإنسان يوم خلق الله الأرض كانت بيئة حفية وحانية عليه بل حافظة له ولأسباب حياته ورفاهيته .

واستمرت على ذلك آلاف السنين حتى واكب التحضر بزوغ الثورة الصناعية التى اختصها الإنسان لنفسه رغبة فى التقدم والتطور حين ظن أنه قادر على الأرض وما فيها من علم وقدرة واهتم بنتائج علمه وجهده وازدادت العوائد المادية واستمر فى الاستزادة من كل شىء فانٍ ، فنسى نفسه وأساء إلى ما استخلف فيه وانتهى إلى تغيرات وخيمة فى بيئة هذا الكون بالإهدار والتلوث بل والامتهان على مدى سنين طويلة.

وبعد فترة طويلة بدأ ذلك الإنسان يفطن إلى ما فعلت يداه وبدأ فى محاولة استنقاذ هذه البيئة توطئة لإنقاذ حياة البشر مما حدث وإصلاح ما فعلت يداه فى البر والبحر والجو . والسؤال اليوم كيف يمكن أن نعيد إلى البيئة نضارتها ونقاءها حتى نحفظ أنفسنا مما فعله الإنسان فى محيط حياته ونطهرها ليعيش فيها أجيالا قادمة حياة رغدة هنيئة .

ونقتبس هنا كلمات كتبها عالم مسلم جليل هو الأستاذ الدكتور أحمد الغمراوى منذ أكثر من خمسين سنة قال رحمه الله : لقد علم الله أن هذه المدنية المعقدة ستحيا بفضله وإرادته وأنها ستفتح لها أبواب العلم وأن هذا العلم سيفتح لها من أسباب القوة ما سوف يسلمها إلى صنوف من المشكلات ، تلك المشكلات لن تحل حلا مرضيا إلا إذا طبق ما سن الله للفطرة من سنن وما أنزل للنفس البشرية من قوانين وشرائع .

وقال رحمه الله «إن التعمق فى العلم الطبيعى وحده أوقع البشرية فى ورطة بعد أن فتح لها كنوز الأرض من غير أن يستوعب طريق العدل فى استغلالها .

وحكمة الله فى أن يتم نعمته على الإنسان بأن يجمع له بين القوة التى أتاحها له وبين الهدى فى استعمال تلك القوة فآتاه العلم الغزير ولكنه قبل أن يعطيه هذا العلم .

أنزل الله الكتاب والحكمة ليعلمه كيف يتقى شر العلم وينتقى خيراته وينتقى حضارة ذلك باستعمال الحدود التى حددها فاطر السموات والأرض فاطر الإنسان وفاطر القوى التى سخرها المولى للإنسان بالعلم حيث وهبه العقل ليستكشف المجهول وأنزل له الدين ليقيه ما لا يمكن للعقل والعلم وحدهما أن يكفياه من الشرور والأخطار.

ولنعد الآن لما يقال فى تقارير رصد العالم الصادر سنة ٩٥ عن العالم وما قد حدث فيه من تطورات فى النصف الثانى من القرن العشرين تؤكد أن الإيمان بالعلم قد صار قضية حتمية والاندفاع فيه واجب لمن يبتغى التقدم ولكنه لابد أن تعلم أن هذا السبيل قنبلة موقوتة (Timer Bomb) ـ ذلك لأن من يتخذ العلم وحده أسلوبا وحيدا للتقدم فإنه قد ينسى نفسه ويستهلك مصادره ويدمر بيئته بل وقد يفنى فى مخاطر التقدم .

وقد ظهرت عدة دراسات فى مراحل متقدمة عن المؤثرات الحاكمة لمستقبل البشرية تركز على :

١ ـ وهم التقدم والعلم منفرداً .

٢ ـ حسابات التطور الاقتصادى .

٣ ـ التنمية المتواصلة وقضايا البيئة .

ولنضع بعض النقاط على الحروف .

وهم التقدم :

لقد تجلت إرادة الله فى حقائق مرتبطة بعضها

ببعض .

أولا : نوعية الأرض اليابسة حيث إن هناك ثلاثة أنواع من نظم البيولوجيا الأرضية التى تمثل مصدر الحياة ـ وحيوية الأرض فى الإنتاج ـ وتحكم اقتصاد وصحة العالم (مساحتها ١٣ مليار هكتار) .

(أ) الأرض الزراعية التى تمد الإنسان بالغذاء والحيوان بالعلف ومساحتها ١٫٥ مليار هكتار .

(ب) المروج والمراعى المطلوبة لغذاء الحيوان وحياته وهذه تمثل ٤ مليار هكتار .

(جـ) الغابات وهى تكون مصدرا أساسيا لتوازن الحياة فى الأرض بالغازات وإنتاج الخشب للوقود والورق (وتمثل ٧٫٥ مليار هكتار) وكل نتاج هذه المساحات يشترك فى عملية التخليق الضوئى حيث ثبت أن ٥٩٪ منها ينتج فى هذه الأرض والباقى ٤١٪ فى الخضرة الموجودة فى البحار والمحيطات . (التخليق الضوئى ـ حيث يأخذ النبات الأكسجين فى المساء ويفرز ثانى أكسيد الكربون ـ والعكس فى ضوء الشمس بالنهار والناتج إفراز الأكسجين بالنهار وامتصاص ثانى أكسيد الكربون ـ وكذلك تضيع السكريات .

ثانيا : زاد سكان العالم ـ وتطور العلم وزاد الناتج الاقتصادى العالمى منذ الحرب العالمية الثانية حيث وجد أن ما ينتج كل ١٠ سنوات يضاهى ما أنتجته البشرية منذ بدء الخليقة وزاد الناتج الغذائى فى نفس الحقبة ٢٫٦ مرات .

ولكن هذا النجاح لم يأخذ فى الحسبان استهلاك الأرض واستنفاد رأس المال الطبيعى ـ إضافة إلى حساب مخاطر ما استعمل من وسائل وسموم ضارة .

ثالثا : فقد العالم فى نفس الفترة ١/٢ سطح التربة الزراعية وكذلك فقد ١/٥ الغابات المدارية وقد حُسِبَ أن يفقد ٢٤ مليون طن تربة كل عام .

وكذلك فقد الإنسان عشرات الألوف من سلالات النباتات والحيوانات النافعة من سطح الأرض وارتفعت مستويات ثانى أكسيد الكربون فى الجو المحيط بالإنسان بمقدار ١٣ ٪ .

وزادت درجة حرارة الجو من ظاهرة البيوت الرصاصية والأمطار الحمضية من نتاج المصانع والأبخرة واستنفذت ٢ ٪ من طبقة الأوزون مما سمح للأشعة الكونية من التسرب إلى الأرض ورفعت الحرارة وسببت أمراضا كل هذا حدث مع ثورة التصنيع ـ ثم بدأ الناتج العالمى من الحبوب فى النقصان وبذلك انخفض استهلاك الإنسان للغذاء وزادت معدلات وفيات الأطفال فى أفريقيا وأمريكا الجنوبية وبدأ انتشار السل فى الإنسان بعد أن كان قد توقف إلى درجة كبيرة .

من جانب آخر كان الخطأ فى حسابات التقدم إذ تناسى الإنسان فى الفترات السابقة أن يأخذ فى حسبانه استهلاك الموارد الطبيعية ورأس المال الطبيعى الذى وهبه المولى لبنى الإنسان ليستعمله من بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ويعيد المستخلف ما استحفظ عليه لمولاه .

أيضا فمن موضوعات الساعة : نحو مستقبل يتواصل فيه البقاء إذ ظهر مفهوم العدالة بين الأجيال حتى لا يطغى جيل ينعم بالمصادر الحيوية ويدمرها ويستهلكها لمن سوف يأتى بعده ـ إضافة إلى التلوث المضاف عبئاً على الأجيال التالية وصحتها .

رأى الدين

والآن فما الذى يقوله لنا الدين الحنيف قال تعالى : ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ الأعراف قال تعالى فى سورة الشورى (آية ٥٧) : ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض**﴾ .

ومعنى هذه الآية أن العلم وتقدمه وهو نعمة من

الله دفع الإنسان ليستغل المصادر والبيئة المحيطة دون مبالاة بالموازين الإلهية والمشكلة الحقيقية لا تكمن فى الاستفادة من نعم الله وفضله فتلك لازمة من لوازم التسخير والاستخلاف فى الأرض ولازمة لإعمار الأرض ولكنها تكمن فى الإسراف والطغيان والبغى بغير الحق وعدم المبالاة بالموازين وكذلك بالتمادى فى ذلك حتى جعل البيئة غير صالحة لحياة الناس فى سلام وأمن وقد حذر الله من ذلك فى آيات كثيرة حيث قال: **﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾** البقرة ٦٠ وقال تعالى : **﴿وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾** البقرة ٢٠٥ إذن، ففقدان الإنسان لنفسه وحماية ممتلكاته وما استخلف فيه واجب إسلامى حيث إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وكذلك قيل إن فعل الخير بالمصادر نعمة وعودة إلى وظيفة الكون والخلق. فيمكن القول : إنه له وظيفتان.

وظيفة دينية لتكون آية على قدرة الله ووجوده وحكمته **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** ، ووظيفة نفعية لخدمة الإنسان وباقى المخلوقات التى تخدم بعضها البعض، وقد خلق الله الكون بالحق : **﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهما إلا بالحق﴾**. وقال تعالى : **﴿وكل شىء عنده بمقدار﴾** الرعد وقال تعالى : **﴿وأنبتنا فيها من كل شىء موزون﴾** الحجر ١٩ .

ولكن فى الوقت نفسه قال تعالى : **﴿أمر ربى بالقسط﴾** وقال **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾** أى ليختبركم والإنسان جزء من هذا الوجود الذى يكمل بعضه البعض ولكن وهبه الله العقل والاختيار والهوى وكل ما فى الوجود ملك لله ولكنه جعل الإنسان خليفته فى الأرض بما اجتباه من نعم واستخلفه فيها . إذن فهو ليس مالك لها ولكن مدير عليها يرعاها بإرادة خالقها وهو منتفع بها وليس حر التصرف فيها وفى نفس الوقت جميع ما فيها مسخرله، إذ قال : **﴿وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سوآءً للسائلين﴾** فصلت ١٠ .

وصلة الإنسان بالكون يمكن أن ننظر إليها من ثلاث زوايا :

صلة الرؤية والتفكر والتأمل والاعتبار بقدرة الله كما قلنا من قبل .

وصلة الاستثمار المتوازن النافع والتسخير والتعمير لمصلحة خلق الله أجمعين .

وصلة العناية والرعاية والحفاظ حيث تمتد المصالح الإنسانية لأجيال قادمة (الاستدامة بفضل الله) .

إذن فحماية الموارد أمر إلهى بل ضرورى يدعو إلى تنميتها والزيادة فيها بالعمارة والاستصلاح وإحياء الموات من الأرض. وقد قال تعالى : **﴿وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** .وفى الحديث «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله استخلفكم فيها فينظر كيف تعملون» عن أبى سعيد الخدرى كتاب الرقاق وفى حديث آخر «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو بهيمة أو إنسان إلا كان له به صدقة» عن ابن أنس والبخارى

الهوامش

(١) المجلة الأمريكية للزراعة وسلوكيات البيئة. د. صفى الدين حامد .

إسلامية العلم والمعرفة
منهج حضارى ثقافى لمستقبل البشرية

أ. د. منصور محمد حسب النبى

ملخص البحث :

إن إسلامية العلم والمعرفة، قضية منهجية، تقوم على اكتشاف العلاقة بين القرآن والكون. أى بين الوحى والوجود، للربط بين عالمى الغيب والشهادة، لنثبت فى عصر العلم استيعاب القرآن العظيم للكون وقوانينه وحركته، وللإنسان ومعارفه وحياته، فى مهجية ثقافية حضارية رائعة، لازمة لتقدم البشرية فى المستقبل فى إطار المبادىء الأربعة التالية:

١- القرآن الكريم يحث على العلم النافع وإسلامية المعرفة.
٢- المنهج القرآنى لبحث وتحصيل العلم والمعرفة.
٣- الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة لإثبات صدق النبوة وعالمية الرسالة.
٤- الإشارات القرآنية للقضايا الكونية المطروحة للبحث العلمى فى المستقبل.

أولا: إسلامية العلم والمعرفة:

نزل القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً فى أول آياته يحث على القراءة لتحصيل العلم والمعرفة، بشرط الإيمان بالله، حتى لا يطغى الإنسان، كما فى قوله تعالى:

اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق *اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم * كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى * (العلق ١ـ ٨)

وبهذا يشترط القرآن الكريم إسلامية العلم والمعرفة لصالح البشرية، لأن العلم بلا دين يؤدى إلى الإلحاد والغطرسة، كما فى الحضارة الحديثة المعاصرة، وإلى الهلاك كما فى الحرب العالمية الأولى والثانية، وقد يؤدى إلى الرخاء المادى مع الفراغ الروحى، والخوف من المخزون الضخم لأسلحة الدمار الشامل، وهذه الحضارة المزيفة اتخذت من العلم المادى إلهاً، ومن التكنولوجيا سلطاناً للسيطرة والتحكم، واستعمار الآخرين والمساهمة فى تخلفهم ...

لهذا ينادى الإسلام بربط القرآن بالكون، أى ربط الوحى بالوجود، والدين بالعمل والغيب بالشهادة، كأساس لإسلامية العلم والمعرفة، ولا تعارض بين الدين والعلم فى الإسلام، فلقد وردت كلمة العلم أكثر من ثمانمائة مرة بالقرآن الكريم علاوة على مئات المرات لكلمات العقل والفكر والمعرفة، وبهذا فعلمية القرآن ساطعة سطوع الشمس، وعندما تمسك المسلمون بدينهم، قدموا للبشرية إسهاما علمياً ملحوظاً فى الطبيعة

والرياضة والفلك فى العصور الوسطى باعترافات المنصفين من علماء الغرب مثل : برينولت الذى يقول فى كتابه: **بناء الإنسانية.**

«لا توجد ناحية من نواحى الازدهار الأوروبى فى مطلع عصر النهضة، إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى المنهج العلمى التجريبى، الذى نقله روجر بيكون من العرب أثناء وجودهم فى أسبانيا (٨٠٠-١٢٠٠م).»

وللأسف يتجاهل الغرب هذه الحقيقة، بل ويتهم دين الإسلام بأنه سبب التخلف الحالى للمسلمين، ناسياً أن هذا التخلف ناتج من خضوع المسلمين لاستعمار التتاروالمغول والصليبيين قديماً، واستعمار الغرب والصهيونية حديثاً، وسيطرة هذا النفوذ الأجنبى على عقول المسلمين فأصبحوا للأسف تابعين لغيرهم، وأهملوا دينهم وقلدوا الغرب وانبهروا بحضارته الحديثة، دون أن يشاركوا فى صنعها أو توجيهها، ونسوا قول الله تعالى:

«ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك» (المائدة ٤٩).

وقوله تعالى :

«أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم» (الجاثية ٢٣).

وكان الواجب على المسلمين أن يتسلحوا بثقافتهم الإسلامية، لإحيائها وتأصيلها وتجديدها وتعميمها، لإعطاء منهج جديد لإسلامية العلم والمعرفة فى مواجهة الإلحاد المادى المعاصر والنظام العالمى الجائر وخاصة بعد أن سقط القناع ذو الوجهين عن هذا النظام وعن كل شعاراته، واتضح الزيف فى تطبيقه للديمقراطية وحقوق الإنسان، علاوة على اعتراف بعض علماء القرن العشرين البارزين، مثل أينشتين وكريسى موريسون وغيرهم، بوجود الله وقدرته، وظهرت كتب كثيرة حول الدين والعلم فى الغرب، ولهذا فقد حان الوقت لإظهار الوجه الحضارى للإسلام والمسلمين بإتباع إسلامية المعرفة، وبيان الإعجاز العلمى للقرآن والسنة.

ولقد واجه أجدادنا المسلمون، فى بدء ظهور الإسلام، حضارتى الروم والفرس دون انصهارهم، مدافعين عن ذاتيتهم، فالإسلام له أيديولوجيا خاصة أساسها القرآن والسنة، وشعارها العلم والإيمان كما سنوضح فيما يلى :

١ - العلم بلا دين أو الدين بلا علم، مرفوض فى الإسلام، ولابد للجمع بينهما كما فى قوله تعالى :

«ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون»

(الأعراف ٥٢).

«وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم»

(الحج ٥٤).

«بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم» (العنكبوت ٤٩).

«شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم».

(آل عمران ١٨).

٢ - اعتبر الإسلام العلم النافع والمعرفة الإسلامية فريضة كما فى قول النبى (ﷺ):

* «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

* «أعوذ بالله من علم لا ينفع..».

* «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقا إلى الجنة»، والعلم هنا هو العلم النافع المرتبط بالإيمان، حتى لا يتحول العلماء إلى جبابرة كما فى قول الرسول «ﷺ»:

* «تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم ولا تكونوا من جبابرة العلماء».

٣ - الإسلام يرفع من شأن العلماء كما فى قوله تعالى :

* **«قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون»** (الزمر ٩).

* **«يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»** (المجادلة ١١).

وقول النبى «ﷺ» :

* «العلماء ورثة الأنبياء».

* «قليل العلم خير من كثير العبادة».

٤ ـ الإسلام يحث على تحصيل العلم والمعرفة حتى فى الدول غير المسلمة كما فى قول النبى (ﷺ) :

* «اطلبوا العلم ولو فى الصين».

٥ ـ العلم فى الإسلام يشمل علوم الدين والدنيا ، ولقد أشار القرآن الكريم للعلوم الكونية فى أكثر من سبعمائة آية، كما فى قوله تعالى :

«ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء».

(فاطر ٢٧ ـ ٢٨).

والعلماء هنا دعاة لإسلامية المعرفة، وليس الجبابرة الذين يتيهون صلفا وغرورا ويقولون، كما قال قارون: «إنما أوتيته على علم عندى». (القصص ٧٨).

ثانيا : المنهج القرآنى لبحث وتحصيل العلم والمعرفة :

١ ـ العلم فى القرآن الكريم هو الحق اليقينى الثابت، بالبرهان القاطع، كما فى قوله تعالى فى تعميم شامل لكل المعارف:

«قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»

(البقرة ١١١).

«قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن» (الأنعام ١٤٨).

« **إن الظن لا يغنى عن الحق شيئا**» (يونس ٣٦).

٢ ـ القرآن يؤكد ضرورة المشاهدة الصحيحة، باستخدام البصر و السمع والعقل معا ، كأساس للمنهج العلمى التجريبى كما فى قوله تعالى :

* **«ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا»** (الإسراء ٣٦).

ويحث على النظر والتدبر فى الكون، بهدف العلم والإيمان، كما فى قوله تعالى:

«قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون» (يونس ١٠١).

والتأكيد على المنهج الاستقرائى فى النظرة العلمية، للبحث عن كيفية تركيب الأشياء كما فى قوله تعالى:

«أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت»

(الغاشية ١٧ ـ ٢٠).

٣ ـ القرآن الكريم ينهى عن التقليد الأعمى فى تحصيل العلم والمعرفة، كسلوك حضارى عام كما فى قوله تعالى:

«وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا. أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون».

(المائدة ١٠٤).

٤ ـ يدعو القرآن الكريم دائما إلى استخدام العقل كأحد أركان العبادة، كما فى قوله تعالى:

«إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» (البقرة ١٦٤).

وقول الرسول الكريم (ﷺ)، مبيناً أهمية العقل كشرط للدين:

* «الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له».

٥ ـ العلم لا يقف عند حد معين بهدف استمرار التقدم العلمى كما فى قوله تعالى :

«وقل رب زدنى علما»

(طه ١١٤).

ولهذا يجب الاستمرار فى البحث حتى يأتى اليقين، كما فى قوله تعالى :

«لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون»

(الأنعام ٦٧).

ومسيرة العلم لن تتوقف لأن كلمات الله فى الكون لا نهائية، كما فى قوله تعالى :

«قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً».

(الكهف ١٠٩).

كما أن العلم البشرى محدود، بينما العلم الإلهى مطلق ولا نهائى، فالبشرية رغم العصر الحالى للعلم والتكنولوجيا مازالت على الشاطئ، بينما محيط الكون مملوء بالعلم والمعرفة كما فى قوله تعالى :

«وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»

(الإسراء ٨٥).

«نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم».

(يوسف ٧٦).

٦ ـ العلم والمعرفة منحه إلهية للإنسان كما فى قوله تعالى :

«علم الإنسان ما لم يعلم»

(العلق ٥).

«ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء»

(البقرة ٢٥٥).

«الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان»

(الرحمن ١ ـ ٤).

٧ ـ إسلامية المعرفة تتميز بما يلى :

(أ) الربانية والتوحيد فى المنهج والهدف:

كما فى قوله تعالى :

«إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار».

(آل عمران ١٩٠).

وقوله تعالى :

«لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن».

(فصلت : ٣٧).

«قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد».

(الإخلاص ١ ـ ٣).

(ب) الإنسانية :

أى المعرفة لصالح الإنسان وخيره وسعادته فى الدنيا والآخرة كما فى قوله تعالى :

«وسخر لكم مافى السماوات ومافى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون».

(الجاثية ١٣).

«وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه».

(إبراهيم ٣٢ ـ ٣٤).

ويجب على الإنسان أن يكون سيداً لما سخر له وليس عبدا إلا لله.

جـ ـ الشمول والإحاطة :

القرآن الكريم موسوعة تشمل جميع أساسيات المعارف فى عالمى الغيب والشهادة، تاركا التفاصيل لاجتهاد البشر، كما فى قوله تعالى :

«وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ».

(الأنعام ٣٨).

د ـ الوسطية والتوازن :

وتعنى التوازن بين الروح والمادة، وبين الفرد والجماعة، وبين الوحى والوجود وبين الدين والدنيا، وبين الشرعى والمدنى فى العلوم الإنسانية، أى المعرفة التى توازن بين كل من الطرفين فى منهج مستقيم، لايميل لأحدهما على حساب الآخر كما فى قوله تعالى:

«اهدنا الصراط المستقيم» (الفاتحة : ٦).

وهذا التوازن ضرورى لأن الإخلال به يؤدى إما إلى إلحاد مادى كما فى الحضارة الحديثة أو إلى رهبانية كما فى المسيحية، بينما الإسلام يرفض النقيضين.

٨ ـ التوجيه الإسلامى للعلوم يعتمد على ما يلى :

(أ) الماء أصل الحياة: كما فى قوله تعالى :

«وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون»

(الأنبياء ٣٠).

(ب) الوحدانية صفة الخالق، والزوجية صفة المخلوق: كما فى قوله تعالى :

«ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون»

(الذارات ٤٩).

(جـ) الكون لا يعرف السكون: فالحركة والطواف قوانين شاملة سارية لأجل مسمى، كما فى قوله تعالى:

«كل يجرى لأجل مسمى» (الرعد ٢).

«كلٌ فى فلك يسبحون» (الأنبياء ٣٣).

(د) اللانهائية لله وحده، أما الكون فيخضع للمقدار فى عالمى الغيب والشهادة: كما فى قوله تعالى :

«وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال»

(الرعد ٨ ـ ٩).

(هـ) وحده الوجود وقوانينة، دليل على وحدانية الله: كما فى قوله تعالى.

«ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت»

(الملك ٣).

(و) الوحدانية وليس التعدد شرط الانتظام والتماثل فى السماوات والأرض، كما فى قوله تعالى:

«لو كان فيهما آلهه إلا الله لفسدتا»

(الأنبياء ٢٢).

(ى) ثبوت الفطرة وقوانين الكون كما فى قوله تعالى :

«فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله»

(الروم ٣٠)

«فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا»

(فاطر ٤٣).

«والشمس والقمر بحسبان»

(الرحمن ٥).

روح الأخوة والإحسان

إن مواهب محمد تجعلنا نكيل له المديح، إلا أن نجاحه ربما كان هو الذى جذب بقوة انتباهنا إليه. وأن ما يستحق إعجابنا ليس انتشار ديانته وإنما استمراريتها. إن نفس الانطباع النقى الكامل الذى حفره فى الأذهان فى مكة والمدينة لا يزال مصوناً إلى اليوم بعد انقضاء اثنى عشر قرنا، عند الذين اهتدوا بالقرآن.

لقد نفث محمد بين المؤمنين روح الأخوة والإحسان، وأوصى بممارسة الفضائل الاجتماعية، وكبح بشريعته وتعاليمه الأخلاقية التعطش إلى الانتقام وظلم الأرامل واليتامى. ولقد توحدت القبائل التى كانت فى عداء تحت مظلة الدين والطاعة، وتوجهت شجاعة المقاتلين ـ التى أنفقت هدراً فى صراعات داخلية ـ نحو العدو الخارجى، فانتشرت بذلك أمصار الأمة الإسلامية شرقاً وغرباً».

ادوارد جيبون

الإسلام إضافة ضرورية للحضارة الإنسانية

الدكتور السيد محمد الشاهد

لقد ازداد الاهتمام بالإسلام فى مجالى الإعلام والسياسة بشكل ملحوظ خاصة فى العقدين الأخيرين، وقد ساعدت بعض الأحداث مثل الثورة الإسلامية فى إيران وحربى الخليج والصراع العربى الإسرائيلى وما سمى بالتطهير العرقى فى البوسنة والهرسك إضافة إلى الصحوة الإسلامية التى لم تسلم من بعض مظاهر العنف أحياناً على أن يأخذ الإسلام مكانه فى الوعى الغربى

وبداية أود طرح بعض الأسئلة للنقاش :

١ ـ هل حضارة العصر بالفعل حضارة إنسانية وبالتالى تستحق التضحية من أجلها ؟

٢ ـ هل يخلو الإسلام حقا من كل مقومات التقدم بالدرجة التى تجعل الإسلام نقيضا للتقدم؟

٣ ـ كيف نفسر عدم تغير التصور الخاطئ عن الإسلام فى الغرب على الرغم من وجود كم هائل من المؤتمرات والكتب المتخصصة إضافة إلى الاحتكاك المباشر مع المسلمين؟

٤ ـ هل يبرر وجود عقدة ذنب تجاه جماعة دينية معينة التأييد المطلق لهذه الجماعة ضد جماعة دينية أخرى؟

٥ ـ منذ عصر الملك فريدريش الثانى فى القرن الثالث عشر الميلادى تسود علاقة طيبة بوجه عام بين الألمان والمسلمين والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن ألمانيا لم تكن ضمن الدول الاستعمارية بمنطقتنا ، وهذا يعنى أن العلاقة الثقافية المتبادلة لم تتطلب التغلب علي عقدة الماضى فلماذا لم تظهر ثمار هذه الحقيقة؟

٦ ـ هل يحق للمسلمين أن ينتظروا من الألمان أن يكونوا أكثر إنصافا للإسلام، نظراً لوجود عدد كبير من المؤسسات الثقافية والأكاديمية التى تهتم بالحوار والتبادل الثقافى مع المسلمين من منطلقات متعددة فى ألمانيا ؟.

٧ ـ لماذا يسقط الغرب نتائج تجاربه السلبية مع سلطة الكنيسة فى العصور الوسطى على الإسلام دون اعتبار لأية فوارق بينهما ؟ النماذج السلبية الموجودة فى العالم الإسلامى لاتبرر ذلك.

٨ ـ هل من العدل إرجاع كل مظاهر العنف الموجودة فى العالم الإسلامى إلى أسباب داخلية فقط دون أدنى تأثير أو تدخل من الخارج؟

٩ ـ لماذا يتهم الإسلام مباشرة بالعنف كلما قام متطرف مسلم بعمل إرهابى بينما لا ينسب العنف قط إلى المسيحية أو اليهودية رغم الأعمال الهمجية التى تنفذها دول وجماعات تدعى الانتماء إلى المسيحية واليهودية؟.

١٠ ـ هل تستطيع الأنظمة الديكتاتورية الموجودة في بعض البلاد الإسلامية أن تظل فى الحكم دون دعم من الغرب؟.

١١ ـ هل يسعى الغرب حقاً وبذات الدرجة من الحماس إلى تحقيق الديمقراطية وحقوق الإنسان فى كل دول العالم علي السواء؟

هذه الأسئلة من شأنها أن تضع أيدينا على الصعوبات من ناحية وتدفعنا إلى نقد ذاتى من ناحية أخرى لأنه بدون ذلك لن تجدى محاولات الوصول إلي فهم صحيح وتعاون مثمر.

سوف أحاول من خلال النقاط التالية عرض أصول ومقومات التجديد الذاتى فى التصور الإسلامى بشكل مجمل تاركاً التفاصيل للنقاش فيما بعد كلما وجدت الحاجة إلى ذلك.

١ ـ العقيدة الإسلامية بسيطة ميسورة الفهم لكل البشر، ويمكن إثبات مبادئها بالعقل السليم فهى خالية من النظريات المعقدة مثل تشخيص الإله فى اليهودية، والتثليت وعقدة الذنب الموروث فى المسيحية.

٢ ـ الإسلام دين التوحيد الخالص يشترط الإيمان المطلق بالله الواحد الذى **«لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»** (الإخلاص ٣ ,٤).

٣ ـ يؤمن المسلم بصدق نبوة كل الأنبياء الذين تلقوا الوحى الإلهى مثل إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ثم خاتمهم محمد (عليه الصلاة والسلام) الأصول الأولى للوحى الإلهى قبل الإسلام نجدها إلى الآن محفوظة دون أى تحريف فى القرآن الكريم.

٤ ـ يلبى الإسلام جميع جوانب الحياة الإنسانية المادية والعقلية والروحية بدرجة متوازنة، وقدم للإنسان منهجاً متكاملاً للحياة يقوم على الترابط التام بين الإيمان والعمل، يقول تعالى فى سورة الصف آية ٣/٢: **«يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»**.

٥ ـ لاتقتصر تعاليم الإسلام على الإرشادات النظرية بل تدلنا على كيفية تطبيقها فى الحياة العملية ويظهر ذلك بوجه خاص فى مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية.

٦ ـ كل عمل نافع هو فى ذات الوقت عبادة يثاب عليها فاعلها فى الدنيا والآخرة.

٧ ـ كل إنسان مسئول فقط عما يعمل وإذا ما أخطأ فطريق التوبة مفتوح أمامه دائما إذا ما تاب توبة نصوحاً قال تعالى فى سورة الأنعام الآية ٥٤ **«كتب ربكم على نفسه الرحمة»**.

٨ ـ لم يحارب الإسلام العلم قط بل على العكس من ذلك جعل تحصيل العلم فريضة على كل قادر وقد كرم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ـ العلماء فوضعهم فى المرتبة التالية للأنبياء كما ورد فى الحديث الصحيح «العلماء ورثة الأنبياء» (رواه البخارى في العلم / ١٠).

٩ـ يؤكد العلم ما ورد ذكره فى القرآن الكريم خاصة فى مجال العلوم الطبيعية، وهذه الحقيقة تفسر لنا سبب التقدم العلمى منقطع النظير آنذاك الذى تميزت به الحضارة الإسلامية فى عصور قوتها الأولى أما فى مجال العلوم الإنسانية فقد كانت الحضارة الإسلامية منفتحة بلا خوف على الثقافات الأخرى مثل الثقافة اليونانية والفارسية والهندية وغيرها فقد ترجمت إلى العربية كتب الفلسفة والشعر إلى جانب كتب العلوم الطبيعية والطب، وقد كان النصف الأول من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى العصر الذهبى للترجمة.

١٠ - يقدم الإسلام للإنسان نظاماً اجتماعياً متكاملاً يضم فى تناسق تام المصالح العامة والخاصة الدينيـة والدنيـوية، أى أنه يقدم النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى المثالى فى منهج قرآنى ميسر وذلك مما يؤكد التعارض التام بين الإسلام والعصرانية (العلمانية) التى ترى الفصل التام بين الدين والدولة.

كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) مؤسس ورئيس الدولة الإسلامية الأولى التى تأسست فى المدينة المنورة وقد أسس فيها كل ماتحتاجه الدولة من مؤسسات ودستور تضمنته صحيفة المدينة تكون من اثنتين وخمسين مادة نظمت الحياة داخليا وخارجياً فى أوقات السلم وأوقات الحرب (انظر سيرة ابن هشام ٢/١٩٩ - ٢٠٣).

١١ - يثبت الإسلام قدرته على التعامل مع كل التطورات الاجتماعية عن طريق منهجه الفقهى المرن والمتعدد الوسائل حيث يوضع العقل السليم فى الموضع اللائق به، وبصفته مناط التكليف فى الإسلام ويعتبر بعد القرآن والسنة النبوية الطريق الصحيح للأدلة الإضافية مثل الإجماع والقياس والاجتهاد وغيرها من طرق استنباط الأحكام الشرعية المعتبرة فى أصول الفقه الإسلامى والتى تعتمد فى أساسها على العقل السليم الملتزم ولا يقتصر الحق فى استخدام هذه الأدلة الأضافة على جيل أو طبقة اجتماعية معينة بل هى حق لكل مسلم مؤهل للاجتهاد.

١٢ - حرية التعبير عن الرأى - أى الحرية السياسية هى نتيجة حتمية لعبودية الإنسان المطلقة لله ويمكن أن نعتبر ذلك من مقومات ما يمكن أن يسمى الديمقراطية الإسلامية، فبعد أن ثبت أهل الحل والعقد عمر بن الخطاب فى الخلافة خطب فى الناس قائلاً : «وليت عليكم ولست بخيركم فأعينونى ما اتبعت فيكم كتاب الله وسنة رسوله، فإن رأيتم فى اعوجاجا فقومونى » فرد عليه أحد الموالى قائلاً : «والله لو رأيت فيك اعوجاجا لقومتك بحد سيفى هذا » فما كان من الخليفة عمر - على ما عرف به من قوة وشجاعة قبل وبعد الإسلام - إلا أن حمد الله أن جعل فى المسلمين من يقوم عمر بحد سيفه وكان عمر بن الخطاب هو أول خليفة يوقف تطبيق حد شرعى مراعاة لظروف اجتماعية وضعت مستحق العقاب موضع المضطر وكان يستشير أهل الحل والعقد فى كل مالم يجد له حلاً فى القرآن أو السنة متأسياً فى ذلك بالرسول (صلى الله عليه وسلم).

يتضح لنا من خلال ذلك أن الإسلام أبعد ما يكون عن الديكتاتورية والعنصرية وكما يؤكد الباحث الدينى الألمانى «هانس تسيركر» فى كتابه «المسيحية والإسلام» ص ١١٣ بحق أنه «لم يدع الخلفاء المسلمون لأنفسهم حق وراثة النبوة أو أن يكونوا وحدهم مصدر التشريع بمعنى ادعاء العصمة لأنفسهم، بل المجتمع الإسلامى ككل هو الذى لا يجتمع علي خطأ».

من وجهة نظر إسلامية كان يمكن أن يحدث في الغرب تطور أكثر إيجابية مما حدث بالفعل لو كان قد حدثت أمور منها ما يلى :

١ - لو تضمنت الأناجيل تصورات لنظم سياسية واقتصادية واجتماعية كما هو الواقع فى القرآن والسنة.

ب - لو أن الكنيسة لم تسئ استخدام سلطتها تجاه العلماء فى البلاد التي كانت تحت سيطرتها.

ج - لو أن أوروبا كانت قد أخذت من الإسلام التصورات الدينية إلى جانب العلوم المختلفة.

١٣ ـ الصحوة الإسلامية يمكن فهمها بصفتها رد فعل على حملة التغريب الثقافى الصناعى والسياسى والعسكرى والاقتصادى للغرب حيث أحدث تمادى وتسلط هذا التغريب الموجه الذى وجد له أنصارا مستفيدين فى الداخل أثراً سلبياً على الهوية الإسلامية وهيأ بشكل أساسى الظروف الاجتماعية لانطلاق هذه الصحوة واستمرارها، بل وتطرف بعض أفرادها بما لا يتفق مع روح الإسلام.

كان الإسلام ولا يزال منفتحا على الثقافات الأخرى، لذلك كان على المسلمين أن يتعاملوا ويتفاعلوا باستمرار مع عناصر ثقافية غربية فإذا زاد التأثير إلى درجة تصل إلي خطر التغريب تحرك جهاز المناعة الذاتية لمقاومة هذا التأثير السلبى ولا يهدأ قبل أن يعيد هذا التأثير الخارجى إلى ما دون حد الخطر.

لقد عرف النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) هذا الخطر فأخبرنا بأن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها (ذكره أبو داود فى الملاحم١).

هذا الحديث الشريف يدل على أن الإسلام يحمل بداخله آلية التجديد الذاتى التى تجعله قادراً دوما علي التعامل مع المتغيرات الجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ويرجع الفضل فى قدرة الإسلام على التعامل مع المستجدات إلى مناهج أصول الفقه الإسلامى المرنة التى مكنت المسلمين من بسط واستمرارية سيادتهم على مساحة كبيرة جداً من العالم رغم عظم المساحة وتعدد الثقافات التى كانت فى البلاد المفتوحة ولمدة تقرب من ثمانية قرون وأقامت فيها أرقى الحضارات الإنسانية آنذاك.

ويعتبر الإسلام من وجهة النظر الإسلامية إضافة ضرورية وإتمام نهائى لكل ديانات التوحيد التى سبقته وليس ديناً جديداً تماماً.

قال تعالى فى سورة البقرة آية ٢٨٥ : **«آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»** وفى الحديث الشريف : «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها» (رواه الترمذى فى العلم / ١٩ وابن ماجه فى الزهد/ ١٥) ويتضح من ذلك تماماً قدرة الإسلام على الإسهام بنصيب أساسى فى تصويب وتطوير الحضارة المعاصرة.

هذه النقاط التي عرضت حتى الآن تتضمن عناصر إيجابية يمكن أن تكون منطلقات لتفاعل إيجابى، وتلاقح ثقافى متبادل بين الحضارة الغربية من جهة والحضارة الإسلامية من جهة أخرى، أما تفسير عدم حدوث هذا التأثير الإيجابى المتبادل حتى الآن فيرجع إلى عدة أمور وأحداث سلبية ظهرت علي الجانبين.

هنا لا أستطيع على أحسن تقدير سوى عرض وجهة النظر الإسلامية علي النحو التالى :

١ ـ الوضع الدولى الراهن لايتطلب من المسلمين التغلب علي عقدة الماضى فقط بل أيضا تغيير وتجاوز الوضع المأساوى الحالى وكذلك آفاق المستقبل غير المبشر بالخير والذى رسمت معالمه من الآن وقد ساعدت على ذلك الكتابات التى تنسب نفسها إلى العلم والإعلام الموجه والمضل إضافة إلي السياسات الاقتصادية المجحفة من جانب الغرب تجاه الدول الإسلامية على وجه الخصوص.

٢ ـ كثير من الباحثين والسياسيين والإعلاميين فى الغرب لم ينتبهوا بعد إلى أن كثيرا من الباحثين المسلمين الآن يستطيعون قراءة ما بين السطور وفهم ما

بين الكلمات، ويمكنهم الرد كتابة أو قولاً بذات الطريقة، إننا لا نزال نسمع ذات الشبهات والأحكام المغلوطة المتوارثة منذ العصور الوسطى المسيحية عن الإسلام رغم أنها أصبحت قديمة وتفتقد كل مبررو ثبت خطؤها فى كثير من الأبحاث العلمية المنصفة فى الشرق والغرب ويرجع ذلك فى نظرى إلى عقدة نفسية فالغرب إما أنه لا يدرك التغيرات الجذرية التى تحدث فى الجانب الإسلامى أو أنه يدركها إلا أنه سرعان ما يكبتها ويتخلص منها إلى اللا وعى فكأنه لم يدركها أصلاً.

٣ ـ الغرب لم يدرك بعد أن مرحلة انبهار المسلمين به قد انتهت إلى الأبد وحلت محلها القناعة والتصميم على ضرورة المساواة التامة فى التقدير بين طرفى الحوار الحضارى.

٤ ـ للمسلمين وجهة نظر فى تقييم الحضارة الغربية الحديثة فهم يرون فيها تقدماً يرى بعين واحدة. وهذا الحكم ينسحب على تعريف مفهوم التقدم حيث اقتصر علي المادة والعقل معياراً وحيداً من جانب.. وعلى هوية المستفيدين من هذا التقدم من جانب آخر حيث تظهر بوضوح حدود القومية والأنانية (مركزية الأنا فى الفهم الغربى للتقدم. EUROZENTRISMUS

٥ ـ إن الارتباط الحتمى فى الفكر الغربى بين التقدم والعصرية (العلمنة) يكشف أنانية فكرية في الفهم والتصور الثقافى إذا نظرنا إلى التطور التاريخى للسياسة فى الإسلام فسوف يتضح بالقطع أن قوة الحكم الإسلامى كانت تتلازم مع مدى تطبيق الشريعة الإسلامية بمعناها الواسع فى السياسة والإدارة وفى مقابل ذلك بدأ تصدع أركان الدولة الإسلامية عندما انحرف الحكم عن هذا الطريق وخضع للأهواء الشخصية وحب التسلط وبالطبع هناك تفسيرات أخرى وضعية لصعود وهبوط الدولة الإسلامية إلا أن هذه التفسيرات الوضعية لا تستند على حقائق موضوعية ثابتة.

٦ـ من المؤسف بحق أن الغرب ينظر إلى كل من يتجنى على الإسلام بغير وجه حق على أنه نصير الحرية والتقدم ويمنح أعلى الأوسمة والجوائز، بغض النظر عن المستوى الحقيقى لأعماله المنسوبة إلى الأدب أو العلم وفى المقابل لذلك يحكم على أعمال الباحث العلمى المتمسك بهويته الإسلامية فى أفضل الأحوال بأنها رجعية ومناقضة للتقدم وقد نتج عن ذلك اختفاء درجة الاعتدال من المعيار الغربى.

٧ ـ لقد أثبتت التطورات السياسية فى العقود الأخيرة أن حماس الغرب لتطبيق الديمقراطية وحقوق الإنسان له حدود جغرافية وثقافية، فبمجرد أن طبقت حكومة طالبان الجديدة تعليمات متشددة على السيدات فى أفغانستان قامت منظمات حقوق الإنسان والمرأة فى أوروبا بالمظاهرات التى نددت بأشد ما يمكن وطالبت الحكومة الأفغانية بالرجوع عن هذه القرارات (الظالمة) بينما كان رد فعل تلك المنظمات فى غاية التواضع عندما كانت الاعتداءات الصربية علي الآلاف من النساء والأطفال والرجال العزل من المسلمين فى البوسنة والهرسك تحدث على مرأى ومسمع العالم (المتحضر) وعلى مدي سنوات عديدة، وغنى عن الذكر ماسمى بالتطهير العرقى ضد المسلمين هناك.

٨ ـ إن تخوف الغرب من نظام الحكم الإسلامى قد يجد مبرراً فى النماذج السلبية الموجودة حاليا ببعض الدول الإسلامية إلا أن النظرة الموضوعية لنظام الحكم الإسلامى الصحيح سوف تقوض كل أساس لهذا التخوف.

فلا ينبغى تعميم الحكم السلبى علي الدين

الإسلامى بسبب وجود المتسلطين الطغاة فى بعض الدول الإسلامية.

وأكثر من ذلك خطورة أن ينظر إلى الإسلام علي أنه العدو الجديد للغرب بعد اختفاء العدو التقليدى الذى كان متمثلاً فى المعسكر الشيوعى.

٩ - سياسة الانفتاح الاقتصادى علي الغرب الذى طبقته بعض الدول الإسلامية مثل مصر منذ عام ١٩٧٩ أثناء حكم الرئيس الراحل أنور السادات أدت إلى زيادة التبعية السياسية والاقتصادية للغرب وازداد الفقراء فقراً والأغنياء غنى، وانقلبت الموازين الاجتماعية ونشأت بذلك هوة اجتماعية خطيرة أخفت بداخلها طاقة عالية للصراع والعنف وأعدت بذلك الأرض الخصبة للتطرف.

ولكن هل توجد رغم كل ماذكر نقاط التقاء بين الإسلام والحضارة الغربية الحديثة؟

سوف أعرض فى النقاط التالية باختصار نقاط التى أعتبرها نقاط إكمال وتحدٍ بناء للحضارة الغربية من جانب الإسلام.

١ - أولاً وقبل كل شئ أريد التأكيد على أن الإسلام لم يكن عدواً للغرب ولا الحضارة الغربية لا فى الماضى ولا فى الحاضر ثم إننا نحن المسلمين نرى وجود أسس قوية لعلاقات ثنائية متبادلة بناءة بين التصور الإسلامى والحضارة الغربية الحديثة.

٢ - كل من الإسلام والحضارة الغربية يشجع البحث العلمى إلا أن البحث العلمى ينبغى أن يظل فى خدمة الإنسانية وأن ينظر بعين الاعتبار لكل ما يترتب عليه من نتائج بالنسبة لكل من الإنسان والبيئة.

٣ - كل من الإسلام والحضارة الغربية يحترم ويحمى الملكية الفردية ويسعى إلى تحقيق استثمار اقتصادى إنسانى بشرط ألا يكون ذلك على حساب فئة معينة من البشر والإسلام يسعى إلى ذلك من خلال تحريم الربا.

٤ - الإسلام - ومثله الحضارة الغربية - يؤيد ويحمي الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأى، إلا أن ذلك لا ينبغى أن يصل إلى حد جرح الشعور الدينى والأخلاقى للأخرين، وللإسلام تصور خاص للديمقراطية يقوم على مجلس للشورى ويتكون هذا المجلس من وجهاء القبائل وعلماء الدولة ولا تتخذ قرارات مصيرية دون الرجوع إلى هذا المجلس وأخذ موافقته عليها وقد اختلفت الآراء حول صفة قرارات هذا المجلس بالنسبة للحاكم، هل هى ملزمة. أم أنها لا تزيد على كونها استشارية أو الرأى الغالب يرى أنها ملزمة، ولايزيد رأى الحاكم على كونه مرجحاً عند تعادل الآراء المؤيدة والمعارضة (انظر الأحكام السلطانية للماوردى ص ٥ . ٧)

٥ - اخترع الإسلام مؤسسة قانونية جديدة تعمل بالتعاون مع المؤسسات القانونية والأمنية المعروفة على حفظ النظام فى الأماكن العامة والأسواق، وتسمى «هيئة الحسبة» ومن أهم واجباتها القضاء على الأسباب التى تؤدى إلى وقوع الجريمة وذلك عن طريق الحفاظ على الآداب العامة ومنع محاولات الغش بجميع أنواعه التجارية والإدارية وغيرها.

٦ - يحرص الإسلام مثلما تنادى به الحضارة الغربية على مراعاة وتطبيق حقوق الإنسان علي أن يشمل ذلك كل البشر بقدر متساو، وتراعى هذه الحقوق فى حالات الحرب والسلم (انظر على سبيل المثال سورة البقرة / ١٩٠ المائدة / ٨٧، الأنفال/ ٩١، النحل/ ٩٦، الممتحنة٨ . ٩ وانظر أيضا وصايا الرسول صلي الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين إلي قواد الجيوش الإسلامية فى كتب السير والمغازى).

٧ - الإسلام يعتبر المحافظة علي سلامة البيئة

واجباً شرعياً لكل مكلف بموجب استخلاف الله للإنسان فى الأرض ليستعمرها وسوف يحاسب الإنسان على ذلك (انظر على سبيل المثال سورة البقرة/ ٦٠، الأعراف/ ٧٤، هود/ ٨٥ الشعراء/١٨٣، فاطر/٣٩. محمد/٢٢).

وقد روى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «إذا جاءت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليزرعها» (البخارى/ القيامة).

٨ ـ يقف الإسلام ضد كل أنواع الظلم الاجتماعى وينادى بالمساواة التامة بين البشر قال تعالى : **«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»** (سورة الحجرات /١٣).

٩ ـ يتضمن مبدأ المساواة بين البشر فى الإسلام تصوراً خاصاً لما يسمى بقضية المساواة بين الرجل والمرأة فلا شك أن وضع المرأة فى كثير من المجتمعات الإسلامية لا يزال فى حاجة إلي مراجعة عادلة تعيد إلى المرأة ما سلب من حقوقها إلا أن الوضع غير العادل لا يعود إلى أسباب دينية أو اصطلاحية بل إلى أسباب اجتماعية فقط نتجت عن نزعة استغلالية تقليدية أساءت فهم وتفسير بعض الآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة.

يتناول التصور الإسلامى هذه القضية من منطلق العدل فى توزيع الواجبات الاجتماعية حسبما يتفق مع طبيعة كل من الجنسين، ولا يضع المساواة التامة بين الجنسين هدفاً أسمى بغض النظر عن الفوارق الخلقية الطبيعية المختلفة لكل من الجنسين فالإسلام يسوى بين الجنسين فيما يخص الأصل المشترك (من نفس واحدة) كذلك بما يخص العبادات والمسئولية أمام الله يحتل دور الأمومة للمرأة المركز الأول فى التصور الإسلامى، يلى ذلك الأعمال التى تخص النساء والأطفال خاصة فى المجالات الطبية والتعليمية، ويحرص الإسلام علي ألا يترتب على ذلك أى نوع من الظلم الاجتماعى.

من حيث المبدأ لا يحرم الإسلام على المرأة ممارسة أية مهنة شريفة لاتخرج المرأة فيها عن حدود الشرع الأخلاقية كانت أم المؤمنين أولى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة رضى الله عنها، تعمل فى التجارة إلى أن توفيت بعد خمسة عشر عاماً عاشتها زوجاً وحيدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

لذلك كانت ولاتزال أبواب العمل الشريف فى كل المجالات حتى الفنية منها متاحة للمرأة المسلمة فى كل البلاد الإسلامية.

أما الآيات القرآنية الكريمة التى ترفع الرجال درجة على النساء (سورتى البقرة/٢٢٨ والنساء/٣٤) فلا تتضمنان أية إشارة إلى انحطاط فى قدر المرأة، أو مبرر يبيح للرجل التسلط واستعبادها، بل تؤكد مسئولية الرجل عن المرأة اجتماعيا وماليا أثناء الحياة الزوجية، وهذا المعني تؤكده الآية الأولى بقوله تعالى : **«ولهن مثل الذى عليهن»** (انظر أيضا تفسير ابن كثير للآية/ ٤ من سورة النساء).

١٠ ـ الإسلام يدعو إلى التسامح ويرفض الإكراه والتعصب قال تعالى (فى سورة البقر/٢٥٦) : **«لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى»**.

١١ ـ الإسلام يحث كل قادر على البحث العلمى بشرط تسخير نتائجه لخدمة الإنسان لا ضدها، وهذا يعنى ضروة أخذ كل ما يمكن أن يترتب علي نتائج البحث العلمى من أضرار محتملة للبشرية مثل البحث العلمى فى مجالات الطاقة النووية والجينات الوراثية.

١٢ ـ التصور الإسلامى يراعى التوازن العادل بين

جميع احتياجات ورغبات الإنسان المشروعة وتستوى فى ذلك الجوانب الروحانية والعقلية والمادية بحيث يحفظ للإنسان توازنه النفسى، وهنا أيضا يمكن للحضارة المعاصرة أن تتعلم من الإسلام فتعدل من اتجاه تطورها واهتمامها الذى ينحاز إلى الجانببين المادى والعقلى بوضوح علي حساب الجانب الروحى.

١٣ - يتضمن أول ركن من أركان الإسلام الذى يؤكد على إفراد الله عز وجل بالتوحيد والعبادة، تحرير الإنسان من عبودية الإنسان فلا يدين الإنسان بالعبودية المطلقة إلا لله عز وجل وهذا هو أقوى وأكرم معانى الحرية الإنسانية.

١٤ - يقوم نظام الحكم الإسلامى على مؤسسات تشريعية وتنفيذية وقضائية وتتمثل فيما يلى:

١ - القرآن الكريم وهو الدستور الإلهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ب - مجلس شورى يضم كبار علماء ووجهاء الأمة ممن عرفوا بالصلاح والتقوى، حيث يناقش أمر الأمة بكل حرية فى إبداء الرأى والمشورة فى الأمور السياسية وقد يسند إلى بعض الفقهاء منهم أمر القضاء.

ج - الحاكم الذى يلتزم بما جاء فى القرآن والسنة وما أجمع عليه العلماء ويأتى على رأس الجهاز التنفيذى للدولة ويقترب هذا النظام مما يسمى الديمقراطى وليس الثيوقراطى الغربى، ويتناقض تماماً مع النظام العصرانى (العلمانى) وإذا التزم الحاكم بالقرآن والسنة والإجماع وجبت على الناس طاعته ولو كان عبداً حبشياً كما أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف الذى رواه البخارى فى صحيحه (باب الإمارة).

١٥ - التكافل الاجتماعى يضمنه النظام الإسلامى عن طريق الزكاة والتبرعات الفردية والأوقاف والمؤسسات الخيرية الخاصة وتكافل الجيران والأسر وغير ذلك من أنواع الصدقات والمعونات ولا تقتصر شبكة التكافل الاجتماعى فى الإسلام على المسلمين دون غيرهم، بل تمتد إلى غيرهم ممن لا يحملون فى قلوبهم حقداً وعدواة للمسلمين.

قال تعالى فى سورة التوبة (الآية / ٦٠) : **«إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم».**

إن المأساة التى تعيش فيها البشرية الآن قد نتجت عن قدر وخيم العواقب تمثل فى تطور أحادى النظرة اتجه وجهة مادية صرفة، لقد أصبح إنسان اليوم من الناحية المادية أبعد ما يكون عن التفكير فى التنازل عن أى جزء مما يملك ومما وصل إليه من درجات الترف والرفاهية التى وصل إليها من أجل الآخرين عن مراجعة معاييره التقليدية فى الحكم على الأشياء بالحسن أو القبح.

عندما كانت السيادة الإسلامية فى أوج قوتها لم تنتبه للتغيرات الهامة التى حدثت على الجانب الآخر، وحدث الشئ نفسه فى تاريخ الدولة المغولية، ومن بعدها الدولة العثمانية، ثم دول الاحتلال الأوربية فى القرنين التاسع عشر والعشرين.

فى كل تلك الأحوال كان الانحطاط النتيجة المنطقية لغرور القوة والعظمة، فهل ستعتبر الحضارة الغربية المعاصرة بدروس التاريخ وتغير سلوكها الحالى حسب ما تتعلمه من هذه الدروس؟

إننى على ثقة تامة أن كلاً من المجتمعين الإسلامى والغربى يمكن أن يكمل أحدهما الأخر ويصلا يداً بيد إلى طريق النجاة من هذه المأساة.

رؤية حول الأصالة والمعاصرة

الدكتور/ جمال رجب سيدبى

ليس ثمة شك أن قضية «الأصالة» و«المعاصرة» من القضايا الهامة والشائكة عند المسلم المعاصر فمنذ بداية القرن الماضى ومازال يتردد فى الأوساط الثقافية والعلمية الحديثة عن هذه القضية، بل لا نبالغ إذا قلنا بأنها قضية المسلم المعاصر خاصة بعد أن تبلورت هذه القضية على بساط الفكر.

إن المتأمل فى هذا المفهوم «الأصالة» و«المعاصرة» سيتضح له أنهما إشكالية حضارية فى الفكر الإسلامى المعاصر وتتضح الإشكالية بصورة محددة كأطروحة فكرية إلى أى المفهومين نأخذ ونسير؟؟ هل ننحو اتجاه الأصالة أم المعاصرة؟؟ أم نمزج ما بين هذا وذاك، أم نترك الأصالة لنعيش بالمعاصرة لنواكب حضارة العصر؟ كل هذه الأسئلة طرحها مفكرو العالم الغربى والإسلامى ومازالت أطروحة فكرية ونعتقد أنها ستظل كذلك، كما يعود الاهتمام بطرح القضية لإيماننا أنها لم تحسم بعد ومازالت تشغل بال الشباب المسلم خاصة والمثقف بشكل عام.

لعل السؤال الذى يطرح نفسه على ساحة البحث .كيف السبيل إلى فكر أصيل ومعاصر؟

أولا: - بادىء ذى بدء - نقول إن الأصالة تمثل ما خلفه لنا الأقدمون من علم وفكر وفن وآداب نتاج الحضارة الإسلامية ممثلة فى عقيدتها فالحضارة الإسلامية تركت لنا تراثا كبيرا خلال تاريخها الطويل لا شك فى ذلك ولكن كيف يمكن الإفادة من هذا التراث الضخم؟؟ هل بتحقيق المخطوطات والمؤلفات فى مختلف العلوم والفنون أم أن هناك وسيلة أخرى.

إن تحقيق المخطوطات بالمناهج العلمية الحديثة ضرورة لا سبيل للحياد عنها لكى نخرج الكنوز من بطون المؤلفات التراثية القابعة فى المكتبات فى شتى أنحاء العالم شرقاً وغرباً.

على أنه بجانب ذلك لابد من تحديث التراث لغة وأسلوباً حتى يساير لغة العصر وإيقاعه وحتى يستطيع المتخصص المسلم استيعابه فضلا عن القارىء المثقف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن نأخذ من التراث ما يتفق مع منطق العصر وقضاياه ونترك القضايا والمفاهيم التى عفى عليها الزمن.

إن تراثنا ملىء بالدرر والكنوز كما أنه ملىء أيضا بالخرافات والأباطيل من هنا قلنا إنه يجب أن نأخذ بالمناهج العلمية لتحديث التراث وتنقيته من الشوائب والإفادة منه لمواكبة العصر، ولو ظل

هكذا حالنا نتغنى فقط بأمجاد الماضى دون تفاعل حركى ودفعة حضارية للأمام لبشر هذا بأفول قريب محقق.

إن بعض تجار التراث وسماسرة العلم يعتقد أن تحقيق التراث هو طبع المؤلفات من الورق الأصفر إلى الورق الأبيض، والتراث والعلم منهم براء، إنما لابد من منهج علمى يخدم الإحياء والتحقيق.

إننا لو نظرنا إلى الإسلام لوجدنا أنه منهج حياة متكامل ونظرة شمولية للحياة وعلى هذا انطلق المفكر المسلم السلفى فى رؤيته للحياة من تصور شمولى متكامل للكون والحياة والإنسان لم يعرف «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، فكانت جل أعمالهم معبرة عن هذه النظرة الشمولية فكان ابن رشد عالما وطبيبا وفقيها وفيلسوفاً وتراثه خير شاهد على ما نقول وكذا حجة الإسلام الإمام الغزالى كان فقيها ومتكلما ومتصوفا وأخلاقيا وابن سينا وابن الهيثم وغيرهم كثير..

كان العالم منهم دائرة معارف علمية ويغلب على ظننا أن هذه النظرة الشمولية للكون والحياة والإنسان التى طبقها المفكر المسلم فى مجال حياته مستوحاة من القرآن الكريم «وابتغ فى ما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» (سورة القصص آية ٧٧).

ثانيا: المعاصرة تكمن فى كل ما أبدعته المعاصرة فى التقنية العلمية وفى مختلف الاداب والفنون، وليس بخاف أن هناك من يفضل نبذ الحضارة الغربية المعاصرة حفاظا على أصالتنا وهويتنا المميزة وعدم الذوبان وتشتت الهوية وهذا الرأى يجانبه الصواب.

إن الحضارة الغربية بما أبدعته فى مجال التقنية العلمية يجب على المسلم المعاصر استيعاب كل ما أنتجته فى ميدان العلم فالعلم لا وطن له كما يقولون ولا يشك شاك فى أن ما أبدعته هذه الحضارة الآن إلا بفضل المناهج العلمية الإسلامية عند مفكرى السلف والتى استوعبتها هذه الحضارة من مناهج الإسلاميين فى الأندلس بينما تخلف المسلمون عن ركب الحضارة طوال عدة قرون هذا من جانب صرح هذه الحضارة العلمى على أنه هناك نغمة عند بعض المفكرين من أننا يجب أن نقلد هذه الحضارة فى كل ما ذهبت إليه، ربما يعود ذلك إلى انبهارهم بالتقنية المعاصرة.

نود أن نجيب أننا لا يصح أن ننبذ تراثنا وراء ظهورنا كالطفل اللقيط لا يعرف أبوة له ولا جذور، وأصبحنا مفقودى الهوية ولا أن نظل أسرى التغنى بالتراث فنتخلف عن الركب ونمشى فى ذيل القافلة؟ وأن نستفيد من التراث فى كل ما يتفق مع النظرة الإسلامية الشمولية ونوظف التراث لخدمة قضايانا المعاصرة وأن ننفتح على كل التيارات والثقافات العلمية لا بقصد محاكاتها وأن نرددها كالببغاوات لكن برؤية نقدية نأخذ ونستوعب ما يتفق مع قيمنا الإسلامية وروحنا الحضارية. إن القيم الإنسانية العالية لا تتناقض مع القيم الإسلامية بل الإسلام قيمة إنسانية رفيعة لذا فما المانع أن نستفيد من نتاج الآخرين وأن نترك ما لا يتفق مع حضارتنا الإسلامية فى الآداب والفنون وبعبارة أوضح قد نتفق مع تلك النظرة الجزئية فى هذا العمل الأدبى فلا مانع من أن نأخذ هذه النظرة أو تلك وأن نوظفها داخل النسق الإسلامى بما يتفق مع النظرة الإسلامية وتصورنا الإسلامى كما يقول الأستاذ سيد قطب

فى وضوح وجلاء فى كتابه «معالم فى الطريق» ولكن الإسلام يعتبر أن هناك - فيما وراء العلوم البحتة وتطبيقاتها العملية - نوعين اثنين من الثقافة: الثقافة الإسلامية القائمة على قواعد التصور الإسلامى، والثقافة الجاهلة القائمة أساسا على الفكر البشرى، والثقافة الإسلامية شاملة لكل حقول النشاط الفكرى والواقعى الإنسانى، وفيها من القواعد والمناهج والمناهج والخصائص ما يكفل نمو هذا النشاط.

إن اللحاق بركب الحضارة المعاصرة يتطلب جهداً من الشباب للوقوف على تراثهم الإسلامى أولاً: من أجل تنقيته من الشوائب والعمل على إحيائه، ثم الانفتاح على ما ابدعته الحضارة الغربية.

ثانيا: ثم إذا هم يبدعون من خلال التصور الشمولى للكون والحياة والإنسان فلا هم يتركون التراث كأجداث الموتى ولا هم يقلدون الغرب فيما يذهبون كالببغاوات.

إنما الأمر جد يحتاج إلى تعادلية متزنة، أن نستلهم التراث فى قضايانا وقيمنا الروحية وأن نحافظ على عقيدتنا الإسلامية، وعلى الجانب الآخر أن نستوعب التقنية العلمية لنلحق بحضارة العصر بهذا نستطيع أن نحقق تعادلية متزنة أو ما تعارف عليها «بالأصالة» و«المعاصرة».

مثل من مكارم أخلاقه صلى الله علية وسلم

دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأعراب فارتاع من هيبته، فقال عليه الصلاة والسلام: خفض عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة.

ولما وفد عليه وفد بنو عامر، قال أحدهم: أنت سيدنا، فقال صلى الله عليه وسلم: السيد الله تبارك وتعالى، فقالوا: أفضلنا وأعظمنا طولا، فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان.

ووفد وفد للنجاشى فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك، فقال: أنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإنى أحب أن أكافئهم وقال ابن الطفيل: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا غلام، إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه، فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التى أرضعته.

وقالت عائشة رضى الله عنها: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله: ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: لبيك.

من المكتبة الإسلامية

- **قراءة جديدة فى كتاب قديم.. كفاية المتحفظ فى اللغة لابن الأجدابى وأثره فى الدرس اللغوى**

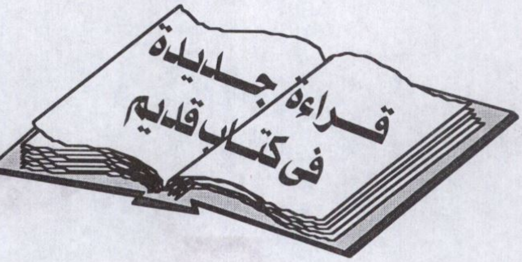

كفاية المتحفظ فى اللغة لابن الأجدابى وأثره فى الدرس اللغوى للعربية

الدكتور/ رمضان عبدالتواب

ابن الأجدابى هو أبو اسحاق إبراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبدالله االطرابلسى اللغوى الإفريقى[١] ويعرف بابن الأجدابى نسبة إلى «أجْدَابية» التى يقول عنها ياقوت انها «بلد بين برقة وطرابلس المغرب.. وهى اكثر بلاد المغرب نخلا وأجوده تمرا.. وهى من فتوح عمرو بن العاص، فتحها مع برقة صلحا على خمسة آلاف دينار وأسلم كثير من بربرها[٢]».

كما يقول عنه الحميرى: «أجدابية: مدينة فى حيز برقة، وهى آخر ديار لواتة.. وكان لها فيما سلف سور. ولم يبق منها الآن الا قصران فى الصحراء. والبحر منها على أربعة اميال، ولا شىء حولها من النبات، وفيها يهود ومسلمون، ويطيف بها خلق من البربر[٣]».

قال عنه ياقوت فى معجم الادباء: «له ادب وحفظ ولغة وتصانيف[٤]» كما قال فى معجم البلدان: «كان أديبا فاضلا له تصانيف حسنة[٥]». وقال القفطى: «من اهل اللغة، وممن تصدر فى بلده واشتهر بالعلم. وكانت له يد جيدة فى اللغة وتحقيقها وافادتها[٦]».

وقد ذكر بروكلمان ان ابن الاجدابى توفى قبل سنة ٦٠٠هـ[٧]. غير أن التيجانى يذكر أنه من علماء القرن الخامس الهجرى. ويذكر مجلسا اعترض فيه ابن الاجدابى على حكم للقاضى أبى عبدالله بن هانش الذى ولى القضاء بين سنتى ٤٤٤ ـ ٤٧٧هـ[٨].

وألف ابن الأجدابى الكتب التالية:

١ ـ الأزمنة والأنواء.
٢ ـ اختصار نسب قريش لأبى عبدالله بن الزبير.
٣ ـ الرد على أبى حفص بن مكى فى تثقيف اللسان.
٤ ـ رسالة فى الحَوَل.
٥ ـ شحذ القريحة.
٦ ـ شرح ما آخره ياء من الأسماء.
٧ ـ كتاب العروض.
٨ ـ كفاية المتحفظ فى اللغة.
٩ ـ مختصر فى علم الأنساب.

ولم يبق لنا على الزمن من هذه الكتب سوى كتابين هما: «الأزمنة والأنواء، وكفاية المتحفظ فى اللغة». أما الكتاب الأول فقد وصلت الينا قبله اربعة كتب فى موضوعه، وهى:

١ ـ الازمنة وتلبية الجاهلية، لأبى على محمد بن المستنير، المعروف بقطرب (المتوفى سنة ٢٠٦هـ) وقد نشره الدكتور حنا حداد فى عمان سنة ١٩٨٥م.

٢ ـ الأيام والليالى والشهور، لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى سنة ٢٠٧هـ) وقد نشره ابراهيم الإبيار بالقاهرة سنة ١٩٥٦م.

٣ ـ الأنواء، لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦هـ) نشر فى حيدر آبادر الدكن بالهند سنة ١٣٣٢هـ. ثم نشر فيها مرة أخرى سنة ١٣٧٥هـ.

٤ ـ الأزمنة والأمكنة، لأبى على احمد بن محمد المرزوقى (المتوفى سنة ٤٢١هـ) نشر فى حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٣٢.

أما كتاب «الأزمنة والأنواء» لابن الأجدابى، فقد نشره الدكتور عزة حسن فى دمشق سنة ١٩٦٤م. وفى مقدمة الكتاب يقول ابن الأجدابى: «هذا كتاب مختصر أودعناه أبوابا فى علم الازمنة واساساتها، والفصول وأوقاتها ومناظر النجوم وهيئاتها، بأوضح ما امكننا من التبيين، وبأسهل ما حضرنا من التقريب».

ويخبرنا ابن الاجدابى فى كتابه هذا ان بعض الشعوب تحسب اعوامها بالشهور القمرية، وهم العرب والعبريون واليونان، وبعض آخر يحسب الاعوام بالشهور الشمسية، وهم الروم والسريان والقبط (ص٢٩ ـ ٣٠).

ويذكر أن أيام السنة عند العرب عبارة عن ٣٥٤ يوما، تقسم على الشهور اعتبارا من المحرم حتى ذى الحجة، ويقدر أول الشهور بثلاثين يوما، والثانى بتسعة وعشرين يوما، والثالث بثلاثين يوما، حتى ذى الحجة الذى يقدر بتسعة وعشرين يوما لمدة سنتين، ثم يزاد فيه يوم فى السنة الثالثة، وهى السنة الكبيسة (ص ٣٤ ـ ٣٥).

غير أنه يعود فيذكر أن العرب لم تكن تعمل بذلك الحساب «وإنما كان اعتمادهم على الأهلة، فكانوا يفتحون الشهر إذا رأوا الهلال، ويجعلون ابتداءه من أول الليلة التى ظهر فيها الهلال. وكانوا يسمون تلك الليلة غرة الشهر، لكون الهلال فى أولها، كالغرة فى وجه الفرس. ثم لا ينقضى الشهر عندهم حتى يروا الهلال كرة أخرى، فيبتدأون حينئذ شهرا ثانيا.. ثم جاء الإسلام فثبت ذلك، وألزم به فى الصوم والفطر وغير ذلك» (ص٣٥ ـ ٣٦).

أما السنة الشمسية، فيذكر ابن الاجدابى انها ٣٦٥ يوما وربع يوم، و«أن الروم والسريان والقبط، بنوا حساب أزمنتهم على مسير الشمس.. وزادوا لمكان الربع الذى فى سنة الشمس يوما فى كل سنة رابعة، فاتفق حسابهم وحساب الشمس» (ص٤٥).

ثم أخذ ابن الاجدابى يعدد اسماء الشهور عند الروم والسريان. ومن كلامه نعرف ان الأسماء التى نتداولها اليوم كانت معروفة فى زمان ابن الاجدابى. مثل: «تشرين الاول» عند السريان الذى يقابل «اكتوبر» عند الروم» (ص٤٩).

ويذكر ابن الاجدابى ان اسماء الشهور السريانية والرومية كانت «مستعملة فى بلاد المسلمين بكلتا اللغتين، فأهل الشام والجزيرة يستعملونها بلغة السريان، وأهل الاندلس وصقلية وافريقية وما يتصل بها، يستعملونها بلغة الروم» (٤٧ ـ ٤٨).

وعلى الرغم من ان الكتاب مخصص للحديث عن الازمنة والأنواء وأنه يفيض بالحديث عن الكثير من الامور الفلكية، ومنازل الشمس والقمر والكواكب السيارة، وأوقات الليل والنهار، والرياح والأنواء وغيرها، فإنه لا يخلو كذلك من ذكر الكثير من قضايا اللغة وتراكيبها والفاظها؛ كقوله مثلا: «وللشمس عند العرب اسماء منها: ذُكاءُ، ممدود لا ينصرف؛ سميت بذلك لانها تذكو كما تذكو النار.. ومن اسمائها الغزالة، وبُوح وبَرَاح، والجَوْنة سميت جونة لشدة بياضها. والجون ايضا الاسود، وهو من الاضداد. ومن اسمائها: الإلاهة، ويقال ايضا: لاهة، بغير الف ولام» (ص٧٩).

ومثل ذلك ايضا حديثه عن اسماء ليالى الشهر العربى، حين يقول: «وكل ثلاث من ليالى الشهر مسماة باسم»، فأولها الغرر ثم النفل، ثم التُسع، ثم العُشر، ثم البيض، ثم الدُرع، ثم الظُلم، ثم الحَنادِس، ثم الدَّآدئ، ثم المحاق (ص٨٥ ـ ٨٦).

أما فصول السنة عند العرب، فتختلف عما نعرفه نحن الآن، وهى الربيع (الذى يسميه الناس الخريف) والشتاء، والصيف، والقيظ (ص٩٦ ـ ٩٧).

ويفيض الكتاب بالاسجاع الكثيرة المروية عن العرب، فى اوقات السنة مقسمة على الايام والشهور؛ كقوله مثلا: «قال ساجع العرب: اذا طلعت النعائم، طال الليل على النائم، وقصر النهار على الصائم، وخلص البرد الى كل ناسم» (ص ١٤٣).

وقوله كذلك: «قال ساجع العرب: إذا طلع سعد السعود، نَضَّر العود، ولانت الجلود، وكُرِه فى الشمس القعود» (ص١٤٧).

وقوله أيضا: إذا طلع الذراع، حَسَرت الشمسُ القناع، وأشعلت فى الأفق الشعاع، وترقرق السراب بكل بقاع» (ص١٦٨).

وإذا انتقلنا الى الكتاب الثانى: «كفاية المتحفظ»، الذى وصل الينا من مكتبة ابن الأجدابى، وجدنا هذا العالم الجليل لغويا من الطراز الأول فى كتابه هذا.

وهذا الكتاب معجم من المعاجم الموضوعية، التى ترتب ألفاظ اللغة بحسب المعانى والموضوعات وقد بدأ هذا النوع من المعاجم بالرسائل اللغوية الصغيرة المتخصصة فى موضوع واحد، كتلك الرسائل التى ألفها الرعيل الأول من علماء اللغة فى القرنين الثانى والثالث الهجريين، مثل أبى سعيد عبدالملك بن قريب الاصمعى (المتوفى سنة ٢١٦هـ) الذى ألف لنا مجموعة كبيرة من تلك الرسائل، بقى منها: الإبل، والخيل، والشاه، والوحوش، والرق، وخلق الانسان، والنبات والشجر.

فالرسالة الأولى مثلا تتحدث عن نتاج الإبل وحلبها، وأسماء أعضائها، وألوانها، وطريقة ورودها، وأدوائها، وسيرها، وغير ذلك؛ ففى نتاج الابل مثلا، يقول الأصمعى" «فإذا ألقت الناقة ولدها، فهو ساعة يقع (سليل)، فإذا وقع عليه اسم التذكير والتأنيث، فإن كان ذكرا فهو (سقْب)، وإن كان أنثى فهو (حائل)، فإذا قوى ومشى فهو (راشح)، فإذا ارتفع عن الرشح فهو (الجادل)، فإذا حمل فى سنامه شحما فهو (المُعْكر)، وهو فى هذا كله (حُوار)، فإذا فُطم فهو (فصيل).. الخ» (الإبل ص١٤٢).

وبعد فترة رأى بعض العلماء أن يضمنوا هذه الرسائل، فى مؤلفات تجمعها كلها على الترتيب الموضوعى كذلك. وقد بقى لنا بعض هذه المؤلفات، التى تنتهى بكتاب ابن الأجدابى على النحو التالى:

١ ـ الغريب المصنف، لأبى القاسم بن سلام الهروى (المتوفى سنة ٢٢٤هـ): وقد حققناه ونشرنا منه الجزء الأول قبل عامين.

٢ ـ الألفاظ الكتابية، لعبدالرحمن بن عيسى الهمذانى (المتوفى سنة ٣٢٠هـ): وقد طبع عدة طبعات مختلفة، إحداها بالمطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٩٢٢م.

٣ ـ جواهر الألفاظ، لقدامة بن جعفر (المتوفى) بالقاهرة سنة ٣٣٧هـ): وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٢م.

٤ ـ متخير الألفاظ، لأبى الحسين احمد بن فارس اللغوى (المتوفى سنة ٣٩٥هـ): وقد نشره الاستاذ هلال ناجى فى بغداد سنة ١٩٧٠م.

٥ ـ التلخيص فى معرفة اسماء الاشياء، لأبى هلال العسكرى (المتوفى سنة ٣٩٥): نشره الدكتور عزة حسن فى دمشق سنة ١٩٦٩م.

٦ ـ مبادئ اللغة، لأبى عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافى (المتوفى سنة ٢١هـ): وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٥هـ.

٧ ـ فقه اللغة وسر العربية، لأبى منصور عبدالملك ابن محمد بن اسماعيل الثعالبى (المتوفى سنة ٤٢٩): طبع فى القاهرة عدة طبعات كما حققه تلميذنا خالد فهمى.

٨ ـ المخصص فى اللغة، لأبى الحسن على بن

اسماعيل بن سيدة الاندلسى (المتوفى سنة ٤٥٨هـ): وقد طبع فى ١٧ سفرا بالقاهرة سنة ١٣١٦هـ ـ ١٣٢١هـ.

٩ ـ كفاية المتحفظ فى اللغة، لأبى اسحاق بن اسماعيل، المعروف بابن الأجدابى، موضوع هذا البحث: وقد طبع فى القاهرة سنة ١٢٨٧هـ، ثم سنة ١٣١٣هـ، كما طبع فى بيروت سنة ١٣٠٥هـ، وطبع بعد ذلك فى مجموعة لغوية، بتحقيق مصطفى الزرقا فى حلب سنة ١٣٤٥هـ. ثم حققه السائح على حسين، ونشره فى طرابلس بالجماهيرية الليبية سنة ١٩٨٩م. ويسمى بروكلمان (٣٤٨/٥): «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ من اللغة وغريب الكلام».

وهو كتاب صغير جدا، لم يذكر فيه مؤلفه شيئا عن مصادره، ولم يرد فيه ذكر عالم من علماء اللغة، ما عدا موضوعين ذكر فى الاول منهما: أبو زيد والأصمعى وأبو عبيدة، وهو قوله (ص١٠٤ ـ ١٠٥): «فأما الجانب الوحشى، فالأيمن في قول أبى زيد والإنسى الايسر. وقيل: الوحشى هو الأيسر، والإنسى هو الأيمن. هذا قول أبى عبيدة والأصمعى».

والموضوع الثانى ذكر فيه الخليل بن أحمد، فى قول ابن الأجدابى (ص١٤٩): «والخُلْد: فأرة عمياء. ويقال: هو الخِلْد بكسر الخاء. ذكر ذلك الخليل». وما ذكره ابن الأجدابى عن الخليل صحيح؛ فقد جاء فى كتاب العين (٢٣٢/٤): «والخلِد: ضرب من الجُرذان عُمْيٌ، لم يخلق لها عيون، واحدتها خلِدة. والجميع خلِدان».

وليس فى الكتاب إلا شاهدان شعريان فى موضع واحد، وهو قوله (ص١٢٦):

علينا البَيْضُ واليَلَبُ وأسيافٌ يقُمن وينحنينا[٩]

استشهد به على أن اليلب دروع كانت تعمل قديما من جلود. والشاهد الثانى قول الشاعر:

عليهم كلُّ سابغة دلاص وفى أيديهم اليَلَبُ المُدارُ[١٠]

استشهد ابن على أنّ اليَلَبَ الدَّرَق.

وقد قصد ابن الأجدابى الى هذا الاختصار قصدا، فهو يريد لكتابه ان يكون صغير الحجم، خاليا من التطويل والاستشهاد؛ ليسهل على طالب اللغة الانتفاع به وحفظه ان شاء الله.

والمؤلف نفسه يقول فى المقدمة: «هذا كتاب مختصر فى اللغة، وما يحتاج اليه من غريب الكلام، أودعناه كثيرا من الأسماء والصفات وجنبناه حوشى الالفاظ واللغات، وأعريناه من الشواهد؛ ليسهل حفظه، ويقرب تناوله، وجعلناه مغنيا لمن اقتصر فى هذا الفن، معينا لمن أراد الاتساع فيه» (ص٣٦).

ولم يبدأ كتاب ابن الأجدابى بالحديث عن خلق الانسان، كما يصنع مؤلفو المعاجم الموضوعية عادة، وإنما أخره بعض الشىء، وبدأ بصفات الرجال المحمودة والمذمومة، وصفات النساء الممدوحة والمذمومة، ثم تحدث عن أطوال العمر والحلى. وجاء بعد ذلك كله نعوت خلق الانسان.

ويأتى بعد هذا أبواب الإبل والخيل والحرب والسلاح والسباع والوحش والنعام، والطير والنحل والجراد والقفار والارضين، والرمال والمحال والابنية، والرياح والسحاب والمطر والسيول، والمياه والنبات، والنخيل والاطعمة والاشربة، واللبن والعسل والخمر، والآنية واللباس، والطيب والآلات وما شاكلها!

ورغم ان حجم الكتاب صغير، فإنه استغرق معظم الابواب التى حواها كتاب كبير، كالغريب المصنف لأبى عبيد.

وقد بلغ من أهمية كتاب ابن الاجدابى فى أوساط العلماء ان شرحه محمد بن الطيب الفاسى فى كتاب سماه: «تحرير الرواية فى تقرير الكفاية». وقد حققه الدكتور على حسين البواب، ونشره فى الرياض سنة ١٩٨٣م. كما نظمه جمال الدين محمد بن احمد بن عبدالله الطبرى (المتوفى سن ٦٩٤هـ)، بعنوان: «عمدة المتلفظ». وذكر له بروكلمان خمس نسخ مخطوطة فى فينا ٨٨ وبروسة خراجى زادة ١٠١ أدب وبرلين oct ٩٧٤ رقم ٧ وميونخ ثان ٥١ وآصفية ٣٠٢/١ رقم ١١.

كما اختصره أبو اسحاق بن احمد الطرابلسى.

وذكر له بروكلمان مخطوطة فى كبريللى ٥١٦١. وقد أثر كتاب ابن الاجدابى فى العلماء من بعده، فأفادوا منه، وذكروه فى مؤلفاتهم ومن هؤلاء العلماء:

١ ـ الزبيدى فى مقدمته لتاج العروس ١/٦: جعله من مصادره؛ فقال: «وكفاية المتحفظ لابن الأجدابى وشروحها».

٢ ـ الفيومى فى المصباح المنير (برجم) ١/٥٨ قال: «وقال فى الكفاية» (ص٦٦): البراجم رءوس السلاميات». (روح) ١/٣٣٣ قال: «وقال فى كفاية المتحفظ (ص١٧٧): يوم راحٌ وريحٌ، إذا كان شديد الريح». (قرى) ٢/٦٨٧ قال: «وقال فى كفاية المتحفظ (ص١٧٢): القرية كل مكان اتصلت فيه الابنية». ٢/٩٧٢ ـ ٩٧٣ قال: قال فى كفاية المتحفظ (ص١١٢): والمحفوظ عن العرب: السابق والمصلّى والسُّكيت. قال: وأما باقى الاسماء فأراها محدثة».

٣ ـ الدميرى فى حياة الحيوان ٢/٣٦٧ قال: «الهيثم: فرخ النسر ايضا. قال فى كفاية المتحفظ ١٣٧)». ١/٢٩٧ قال: «وفى كفاية المتحفظ (١٣٢): الحَسِيلة: البقرة، وجمعها: حسائل» ١/٤٩٧ قال: «السُرعوب: ابن عرس. ويقال له: النمس. قال فى كفاية المتحفظ (١٥٠).

ويتضح من مطالعة «كفاية المتحفظ» معرفة مدى الجهد الذى بذله ابن الاجدابى فى الدرس اللغوى للعربية.

فهو كثيرا ما يذكر مترادفات الكلمة التى يعرض لها فى كتابه؛ كقوله (ص٦٢): «العِرْنين: الانف. وهو المَعْطس، والمَخْطِم، والخرطوم».

وكقوله (٦٦): «والحَيْزُوم: الصدر، وهو الكَلْكَل، والبَرْك، والجَوْشَن، والجؤشوش».

وقوله (٦٤) كذلك: «والجِيد: العُنق. وهو التَّليل، والهادى، والطُّلْيَة، والجمع: طُلىً».

وقوله (٦٨) ايضا: «ومؤْخر الانسان أليتاه. وهو الكَفَل، والرِّدْف، والبُوص، والعَجُز، والعَجِيزة».

وأحيانا يذكر اللغات واللهجات التى تروى لنا عن العرب؛ كقوله (٦٣): «يقال: اتّعز واثّغر».

وكقوله (١٤١): «البَرْقَش طائر صغير يلمع. وهو الذى يسميه أهل الحجاز: «الشرُشور».

وقوله (٢١٥) ايضا: «ولا يقال: ماء مالح. وإنما يقال: مِلْح. وقد قيل: يقال: ماء مالح. وهى لغة شاذة».

ويهتم ابن الاجدابى كثيرا بإبراز الخلاف بين العلماء حول معانى كلمات اللغة؛ وذلك مثل قوله (٦٤): «النواشر والرواهش: عروق باطن الذراع. وقيل: النواشر عروق ظاهر الذراع، والرواهش عروق باطنها».

وقوله (١٣٢): «اللَّأى: الثور، والانثى لآة، مثل لَعاة. وقال بعض أهل اللغة: اللَّأى: البقرة، وكذلك اللآة. قال: ولا يقال للثور اللأى».

وقوله فى هذا النص: «مثل لعاة» فيه تمثيل للهمزة بالعين. ويحدث ذلك كثيرا عند اللغويين القدماء فى ضبط الكلمات المهموزة، فهم يبدلون الهمزة عينا، ويبقون على سائر الحروف. وعندئذ تصير تلك الكلمة الجديدة مثالا لضبط الكلمة المهموزة؛ كقول أبى عبيد فى الغريب المصنف (١/٢٨٥): «المؤَوَّم مثال المُعَوَّوم».

وهذه الطريقة من الضبط شائعة جدا فى التراث العربى؛ انظر مثلا: ديوان عبيد بن الأبرص ١٩/١١؛ ١٩/١٢؛ ٢٠/٥ والكامل للمبرد ١/٩ والنوادر لأبى زيد الانصارى ٨١ والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/٤٠١ وشرح المفضليات ٦/٢٩؛ ٤/٤٧١ والصحاح ٦/ ٢٢٥٠ ولسان العرب ١/١٩٨؛ ١١/٢٣٣ وغير ذلك كثير كثير.

وابن الاجدابى لا يفوته فى بعض الاحيان ان يذكر العبارات اللغوية، التى تستخدم فيها الكلمات المشروحة؛ كقوله مثلا (٦٨): «شَغاف القلب: حجابه. ومنه قيل: شُغِف فلان بكذا، أى وصل حبه الى شغاف قلبه».

ومن كلام ابن الاجدابى نعرف متى تكون العنوسة

فى الرجال والنساء عند القدماء ؛ فهو يقول (٧١) ان «الرجل اذا جاوز وقت النكاح ولم يتزوج فهو عانس». كما يقول (٧٤) ان «المرأة اذا بلغت العشرين ولم تتزوج فهى عانس»!

ونفيد من الكتاب بعض الفروق اللغوية ؛ كقوله مثلا (ص٧٩) : «اذا كان فى الشفة العليا شق، فهو اعلم، وان كان ذلك فى السفلى، فهو افلح». وقد عبرت اللغة الفارسية عن هاتين الحالتين بعبارة واحدة هى" «سهِ لَبْ» وهى مكونة من كلمتين : (سِه) بمعنى ثلاثة، و(لَبْ) بمعنى : شفة. ومعنى العبارة فى الفارسية : «ذو الشفاه الثلاث». وقد عبرت هذه العبارة بكلمة :

(سلِف) ونسب اليها بكلمة (سلِفى)، كما ورد فى اسم احد علماء العربية، وهو : احمد بن محمد السِّلفى (المتوفى سنة ٥٧٦هـ) وهو صاحب معجم السفر!

كما نفيد من كلام ابن الاجدابى ان النطق الباريسى للراء، كان معروفا لديه، وانه كان عنده من اللُّثغة ؛ يقول (٨٠) : «فإن كان يخرج الحرف من غير مخرجه، مثل ان يجعل الراء غينا، أو نحو ذلك فهو ألثغ».

ويروى بن الاجدابى قوله لبنى عبس، فيقول : «ما صبر معنا فى حربنا من النساء - الا بنات العم، ومن الإبل إلا الحُمر، ومن الخيل إلا الكُمْت».

وبعض هذه القولة معروف لدينا فى شىء من الرجز، الذى رواه لنا النحاة فى باب الفاعل، وهو قول الراجز :

فما برئتْ من ريبة وذَمِّ
فى حربنا إلا بناتُ العَمِّ

وأحيانا يعبر ابن الاجدابى عن رأيه فى بعض ما يروى، وقد سبق ان عرفنا انه بعد عدد عشرة اسماء فى سباق الخيل، قال (١١٢) : «والمحفوظ عن العرب : السابق، والمصلّى، والسُكَيت، الذى هو العاشر. فأما باقى الاسماء فأراها محدثة».

ومن كتاب ابن الاجدابى، نعرف ان اللغة تغيرت فى أيامنا هذه، فأصبحت دلالات بعض الالفاظ مختلفة، عما كان فى زمان ابن الاجدابى، فمن المعروف الآن ان «اليمام» يطلق على الطائر البرى، على العكس من «الحمام» الذى يطلق على الداجن فى البيوت. أما ما كان مستعملا فى أيام ابن الاجدابى، فيتضح من قوله (١٣٨) : «الحمام عند العرب هى البَرِّيَّة ذوات الاطواق كالفواخت والقُمارىّ، وغيرها. فأما الدواجن فى البيوت، فهى : اليمام»!

وعلى الرغم من ان بعض اللغويين العرب القدماء كانوا يعرفون شيئا من اللغات السامية، كما يعرفون علاقات القربى بينها وبين العربية، فإنهم قصروا فى الإفادة من هذه اللغات فى فهم الظواهر اللغوية فى العربية.

وقد وقع ابن الاجدابى فى شىء من الغلط، بسبب بعده عن الدرس اللغوى المقارن ؛ حين قال (١٩٣) : «الآبّ المرعى. وقيل : الأب للبهائم بمنزلة الفاكهة للناس».

ولم يكن ابن الأجدابى وحده فى هذا الوهم، فمعظم المفسرين العرب يقولون كما قال هو، تفسير قوله تعالى : «وفاكهة وأبًّا».

والحقيقة ان كلمة «الأبّ» معربة من السريانية خُل ebba بمعنى «ثمر». وهو أمر معروف لدى الدارسين للغة السريانية من بين اللغات السامية. والله أعلم.

الهوامش

(١) انظر ترجمته فى معجم الادباء ١/ ١٣٠ وإنباه الرواة ١/١٥٨ وبغية الوعاة ١/٤٠٨ والبلغة للفيروزابادى ٥ وتاريخ الادب العربى ٥/٣٤٨ وكشف الظنون ١٣٩٩ ؛ ١٥٠٠

(٢) معجم البلدان ١/ ١٣٢

(٣) الروض المعطار فى خبر الاقطار ص١١

(٤) معجم الادباء ١/ ١٣٠ وانظر بغية الوعاة ١/ ٤٠٨

(٥) معجم البلدان ١/ ١٣٢

(٦) إنباه الرواة ١/١٥٨
(٧) تاريخ الأدب العربى ٥/٣٤٨
(٨) رحلة التيجانى ٢٦٢
(٩) البيت لعمرو بن كلثوم فى شرح القصائد السبع ص٤١٤ والصحاح (يلب) ١/٢٤٠.
(١٠) البيت بلا نسبة فى الصحاح (يلب) ١/٢٤٠ ومقاييس اللغة ٦/١٥٨.

مراجع البحث

١ - الإبل، للأصمعى (ضمن الكنز اللغوى فى اللسن العربى) - تحقيق أوجست هفنر - ليبزج ١٩٠٥م.

٢ - الازمنة والأمكنة، للمرزوقى - حيدر آباد الركن بالهند - ١٣٣٢هـ.

٣ - الازمنة والانواء، لابن الاجدابى - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٤م.

٤ - انباه الرواة على انباه النحاة، للقفطى - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٧٣م.

٥ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطى - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥م.

٦ - البلغة فى تاريخ ائمة اللغة، للفيروزابادى - تحقيق محمد المصرى - دمشق ١٩٧٢م.

٧ - تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدى - تحقيق عبدالستار فراج - الكويت ١٩٦٦م.

٨ - تاريخ الادب العربى، لكارل بروكلمان - ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب - دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٥م.

٩ - حياة الحيوان الكبرى، للدميرى - القاهرة ١٩٥٧م.

١٠ - ديوان عبيد بن الابرص - تحقيق حسين نصار - القاهرة ١٩٦٥م.

١١ - رحلة التيجانى - تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب - المطبعة الرسمية بتونس ١٩٥٨م.

١٢ - الروض المعطار فى خبر الاقطار، لمحمد بن عبدالمنعم الحميرى - تحقيق احسان عباس - بيروت ١٩٨٠م.

١٣ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الانبارى - تحقيق عبدالسلام هارون - القاهرة ١٩٦٤م.

١٤ - شرح المفضليات، لأبى محمد القاسم بن بشار الانبارى - تحقيق لايل - بيروت ١٩٢٠م.

١٥ - الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهرى - تحقيق احمد عبدالغفور عطار - القاهرة ١٩٥٦م.

١٦ - العين، للخليل بن احمد الفراهيدى - تحقيق مهدى المخزومى وابراهيم السامرائى - بغداد ١٩٨٠ - ١٩٨٥م.

١٧ - الكامل فى اللغة والادب، للمبرد - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة - القاهرة ١٩٥٦م.

١٨ - كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون، لحاجى خليفة - استانبول١٩٤٣م.

١٩ - كفاية المتحفظ فى اللغة لابن الاجدابى - تحقيق السائح على حسين - طرابلس ليبيا سنة ١٩٨٩م.

٢٠ - لسان العرب، لابن منظور الافريقى - بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧هـ.

٢١ - المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، للفيومى - القاهرة ١٣١٠هـ.

٢٢ - معجم الادباء، لياقوت الحموى - نشر احمد فريد رفاعى - القاهرة ١٩٣٦م.

٢٣ - معجم البلدان، لياقوت الحموى - تحقيق فستنفلد - ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠م.

٢٤ - مقاييس اللغة، لابن فارس اللغوى - تحقيق عبدالسلام هارون - القاهرة ١٣٦٦ - ١٣٧١هـ.

٢٥ - النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى - نشر على محمد الضباع - القاهرة (بلا تاريخ).

٢٦ - النوادر فى اللغة، لابى زيد الانصارى - نشر سعيد الشرتونى - بيروت ١٨٩٤م.

شخصيات إسلامية

● محمد بن فتح الله بدران

« محمد بن فتح الله بدران »

أ. د. محمود حمدى زقزوق

١ ـ حياته :

ولد فى ١٩١٠/٦/٩ فى بلدة قصور الأمراء بالمنوفية. التحق بالأزهر، وتخرج فى كلية أصول الدين بحصوله على الشهادة العالية عام ١٩٣٧، ثم حصل على شهادة العالمية من درجة أستاذ فى العقيدة والفلسفة عام ١٩٤٦، وعين فى العام نفسه مدرسا فى كلية أصول الدين، وتدرج فى سلك التدريس حتى أصبح أستاذا ورئيساً لقسم الدعوة عام ١٩٦٨. وقد توفى فى ١٩٧٠/١١/٨. وكان له نشاط ملحوظ بمحاضراته الدينية العديدة فى المحافل العامة ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

٢ ـ مؤلفاته :

أول إنتاج علمى للشيخ بدران كان تحقيقه لكتاب « الملل والنحل » للشهرستانى. وقد كان هذا الكتاب هو الرسالة العلمية التى تقدم بها للحصول على درجة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه). وجاء على صفحة الغلاف أنه « خرجه، وحقق نصوصه، وعرض أصوله، وابتكر فهارسه، وانفرد بتقسيمه، ومهد لتخريجه، وعلق عليه، وألف له ولمؤلفه » .. وقد طبع هذا الكتاب فى مجلدين على نفقة الأزهر. ولكن ما طبع لم يشتمل على المدخل إلى هذا الكتاب، والذى ألفه الشيخ بدران تحت عنوان : « المدخل الى كتاب الملل والنحل » . وقد تناول موضوعاته ـ كما يقول ـ فى قسمين كبيرين : أولهما : عالج فيه الأبحاث التالية :

واجباتنا العلمية، التخريج العلمى، تقرير قواعده نظريا وعمليا، تخريج كتاب « الملل والنحل » ، التعريف بأصول الكتاب وبخاصة المخطوطة منها، تقسيم الكتاب.

أما القسم الثانى فقد تحدث فيه بالتفصيل عن عصر الشهرستانى وعن الشهرستانى نفسه وعن كتابه : الملل والنحل.

أما بقية مؤلفات الشيخ بدران فأهمها ما يأتى :

١ ـ العقيدة والفطرة.

٢ ـ تاريخ الأديان المقارن.

٣ ـ المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب.

٤ ـ الفلسفة الحديثة فى الميزان وتأسيس القواعد من القرآن.

ويقع هذا الكتاب الأخير فى طبعته الثانية فى حوالى سبعمائة صفحة. وأسلوب الكتاب تغلب عليه النزعة الخطابية والعبارات الأدبية الحماسية.

٣ ـ آراؤه واتجاهاته الفكرية:

أهم آراء الشيخ بدران يجدها المرء فى ثنايا كتابه « الفلسفة الحديثة فى الميزان وتأسيس القواعد من القرآن » . وفى هذا الكتاب يرى الشيخ بدران أن العالم الآن يعانى أزمات أخلاقية شاملة، وأن أشد هذه

الأزمات تعقيدا هى الأزمة الأخلاقية فى التفكير، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب يتمثل أولها : فى الغرور بما أنجزه العلم. وثانيها : فى الفردية والأنانية والآلية، أو العلمانية والسطحية والفوضوية. وثالثها : فى الاستعمار الفكرى (ص ١٩ ، ٢٠) الذى يرمى إلى تقويض ديننا وأخلاقنا وأفكارنا ولغتنا ومثلنا وأمجادنا وفلسفتنا (ص ٣٨).

ويركز الشيخ بدران على نقد الفلسفة الحديثة مبينا ـ من وجهة نظره ـ تهافتها. ويأخذ على عاتقه وبخاصة فى كتابه : (الفلسفة الحديثة فى الميزان) القيام بتأسيس القواعد التى يجب أن تقوم عليها الفلسفة الحديثة من القرآن، لأن القرآن وحده هو المجدد لشباب الأمم والشعوب فى كل زمان ومكان. (ص٢٢). ويفرق بين التطور العلمى فى مجال الظواهر المادية وبين الفلسفة ويقول : «أنا لا أنتقص من شأن العلم والعلماء هناك، الذين كشفوا عن الظواهر المادية، وإنما أتربص بالفلسفة والفلاسفة هنا وهناك، الذين خدعوا عن السرائر الإنسانية» (ص ٣٨).

ويجادل فى استحقاق الفلسفة الحديثة لوصف (حديثة) ويرفض إطلاق هذا الوصف عليها ؛ لأن لفظ حديثة ـ كما يقول ـ (ص ١٠٢) يحمل فى طياته معنى أنها غير مسبوقة، فهو حكم بالأولية، وهذا ادعاء ينقصه الدليل المبنى على الاستقراء التام. ولكن رفضه للفلسفة الحديثة لا يعنى الجمود ولا رفض إنتاج العقل العالمى، فهو يدعو كل مفكر وذى ثقافة «أن يعمق تفكيره بمعرفة تفكير الآخرين. فمن لا يعرف ثقافة غيره لا يمكن أن تكمل ثقافته. وإنما أحتم أن نقرأ لجميع الناس، من جميع الأجناس، ولكن على منهج وأساس، أريد أن نقرأ للجميع، لنضع كل واحد فى مكانه اللائق به من تراثنا وتراث الإنسانية» (ص ١٠٦/١٠٧).

ويعود للتأكيد على أن الحكمة أو الفلسفة لا ينبغى أن تؤخذ إلا من القرآن «وإن كانت الفلسفة شيئا فلا يكون تبيانها إلا بالقرآن، ومن القرآن، وإن لم تكن شيئا فلا حاجة لنا بها، بل ولا طريق لنا إليها» (ص ١١٤).

ويربط بين التفكير كله والأخلاق الفاضلة، ويرى أن أصحاب التفكير الصحيح الصادق هم أولوا الألباب، وهؤلاء هم أصحاب الأخلاق الفاضلة (٢٧٧ ، ٢٧٨). والمعرفة يجب أن تصدر عن الأخلاق، فالأخلاق أولا، ثم المعرفة ثانيا، ثم التفكيو ثالثا، ثم الإنتاج رابعا.

والإنسانية اليوم متخمة بالتفكير ولكنها فى مجاعة خلقية، ويرجع سبب ذلك إلى العقليين الذين أخضعوا الأخلاق لعقلهم وتفكيرهم، فى حين أن عقلهم محدود بالبيئة والثقافة والميول والاتجاهات والصحة والمرض والاحتياج والاستغناء (ص ٢٦٦ ، ٢٦٧).

ويرى أن ركائز الحضارة الإنسانية تنحصر فى أربعة أمور هى : «أن يكتشف الإنسان حقيقته ويؤكد إنسانيته، ويحقق خلافته (لله على الأرض)، ويخلص لربه عبادته» (ص٣٥١).

٤ ـ مراجع :

١ ـ سجلات كلية أصول الدين بالقاهرة.

٢ ـ من مؤلفات الشيخ محمد بن فتح الله بدران :

أ ـ الفلسفة الحديثة فى الميزان وتأسيس القواعد من القرآن.

مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٩ .

ب ـ كتاب الملل والنحل للشهرستانى ـ بتحقيق محمد بن فتح الله بدران القسم الأول ١٩٥١ ، القسم الثانى ١٩٥٥ . الطبعة الأولى ـ مطبعة الأزهر.

ج ـ المدخل إلى كتاب «الملل والنحل» ـ مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين ـ ١٩٤٦ .

الأقصى

محمد التهامى

أراه بِعـــينى مِلءَ البـــصـرْ
وأ لمس لَمس البنانِ الحــجـرْ
فـمـا عـادَ أقصى ولكن هفـا
وعــذَّبهُ الشـوقُ حتى حـضـرْ
وعــا نَقنى وهو طيفُ الجـهـادِ
فذابَ الجمــاد وذابَ البـشـرْ
جرى فى دمى نبضُـهُ المستغيثُ
فـــعـــذَّبنى منه وخــز الإبَر
تعلّق بى يحتـمى من أساهُ
وغطى على الدمع حتى انفجـرْ
بكينا سـويًا وفـيض الدمـوعِ
يضاعفُ من جـمـرنا المُستـعَـرْ
فـيـالخـيـالٍ تخطىّ الضلوعَ
وداسَ على القلبِ حــتى انفطرْ
وصـوّر لى عـالَمـاً فى مـداهُ
تضجُ الحكَايا وتبكى الصُـورَ
وحـدّثنى عن جدارٍ عـتـيدٍ
ومـئـذنةٍ عـاش فـيـهـا القمـرْ
وعن قُـبَّـة تغلبُ الراسـيـاتِ
إذا الأرض دارت بـهـــا لم تَـدُرْ
وعن رجع صـوتٍ أقـام الصـلاةَ
فـجلجل فـيـه الهُدَى وانتـشـرْ
وسـاءلنى أين يمضى المسـيـرُ
وكـيف يجيءُ الغـد المُنتَظَرْ؟
وهل يسـتـقـرّ الجـدارُ الرفـيعُ
ويبـقى الشـمـوخُ له والكبـرْ؟
وهل يسـتـريح بظلِّ القـبـابِ
جـلالٌ على جانبـيـهـا حُـفِـرْ؟
أقـام طويلاً بمحـرابهـا
وليس له رغبـةٌ فى السـفـرْ

أحبَّ المكانَ وأهل المكانِ

فهل يا تُرى يكسِرُ الغاصبونَ

وهل يا تُرى تستقيمُ الصلاةُ

وهل ينحنى الحقُّ فى قدسهِ

وهل تركعُ الروحُ فى طُهرها

وهل يرجع النورُ عن سيرهِ

وهل هذه خاتمات الحياةْ

يلم بقاياهُ تاريخُنا

وتبكى على (قدسنا) الذكرياتُ

فتخفى ويغفلها الذاكرون

تقول: تملكَها الوارثونَ

ولم يَخرجُوا من دُوارِ الصراع

بقايا نواحهم فى الفضاء

فمن نام فى غفلة عن حماهُ

فيصحو وقد كَبَّلتهُ القيودُ

وحط على أرضه واستقر

قواعدَ للحقِّ لا تنكَسِرْ؟

بأقداسنا لعبادٍ أُخَرْ؟

لزورٍ علا نجمُه وانتَصرْ؟

لِبَغْيٍ على رجسهِ ما طَهُرْ؟

ويثنيه عن مبتغاهُ القَدَرْ؟

تسوق لنا قاسياتِ النُّذُرْ؟

ويمضى إلى وَهْدَةِ المنحَدرْ

ويغرقها دمُعها المنهمرْ

وتبقى سطوراً بماضى السِّيَرْ

فلم يعرفوا قدر غالى الدرَرْ

بغير البكاءِ على ما اندثرْ

تُعَلِّمُ فى الناس من يعتبرْ

أحاطَ به فى حماه الخطرْ

وليس له يومها من مَفَرْ

أخبار العالم الإسلامى

إعداد / منير بيومى

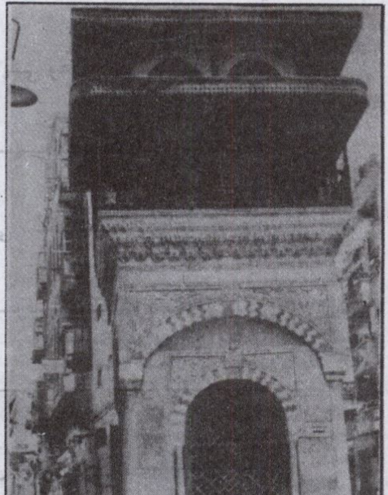

سبيل عبدالرحمن كتخدا نموذج للعمارة الإسلامية

تطوير الآثار الإسلامية بالأزهر والحسين

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ضرورة القضاء على المشكلات التى تتعلق بالعشوائية والتعدى على الآثار، وأنه سيتم إلغاء عقود المحال التجارية التى أجرتها هيئة الأوقاف داخل الآثار الإسلامية ومنح أصحابها بدائل لها . وأنه تم التنسيق بين الوزارة ومحافظة القاهرة وهيئتى الأوقاف والآثار للانتهاء من التصور الكامل لتطوير المنطقة الذى تسهم فيه منظمات عالمية وهيئات دولية ومحلية ورجال أعمال مصريون .

جاء ذلك خلال جولة تفقد فيها وزير الأوقاف والدكتور عبد الرحيم شحاته محافظ القاهرة والدكتور على حسن الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار مناطق الأزهر والحسين وباب الفتوح وشارع المعز حيث تقرر حصر الأنشطة الملوثة التى تقع فى نطاق المناطق الأثرية تمهيدا لتغييرها حفاظا على الآثار بهذه المناطق من الملوثات المضرة .

وصرح الدكتور عبد الرحيم شحاته بأنه سيتم إلغاء مخزن الكتب التابع لإدارة التعليم بمسجد سليمان أغا السلحدار مشيرا إلى أنه لا استثناء فى حماية الآثار .

وقال الدكتور على حسن إن القاهرة تضم ٧٥٠ أثرا إسلاميا منها ٢٧ أثرا بشارع المعز الذى تم اختياره ليكون متحفا عالميا مفتوحا بناء على اقتراح الاتحاد الأوروبى وتتم حاليا دراسة لإعادة تأهيل المنطقة حضاريا .

مآذن وقباب وبوابات تم ترميمها بأيد مصرية

جدير بالذكر أن شارع المعز لدين الله الفاطمى يوجد به ٩٠ مبنى أثريا منها ٢٧ أثرا إسلاميا أكسبت الشارع تلك الأهمية الإسلامية السياحية التاريخية فقد كان هذا الشارع مقرا لحكم مصر طوال العهد الفاطمى، فحين بنى جوهر الصقلى القاهرة كان شارع المعز أهم شوارع القاهرة على الإطلاق لأنه أنشىء على يمينه القصر الشرقى وعلى يساره القصر الغربى والذى اتخذه المعز لدين الله الفاطمى مقرا لحكمه حين دخل القاهرة لأول مرة فى شهر رمضان من عام ٣٦٢ هـ . وظل الشارع مقرا للخلافة الفاطمية حتى عام ١١٧٠ حين انتهت الدولة الفاطمية وقامت

مئذنة مسجد الناصر قلاوون نموذج معمارى فريد ..

الدولة المملوكية فانتقل مقر الحكم للقلعة واستمر هناك حتى عهد الخديوى إسماعيل .

وتتجسد الأهمية المعمارية للشارع فى أن شارع المعز لدين الله الوحيد فى العالم الذى ظل محتفظا بتخطيطه منذ إنشائه وحتى الآن، ولأكثر من ألف سنة وذلك بفضل الآثار التى انتشرت على جانبيه والتى يحتضنها الشارع .

خطة الترميم

بدأت خطة ترميم الآثار بشارع المعز لدين الله فى النصف الثانى من عام ١٩٩٥ بعشرة مشروعات يجرى تنفيذها من أجل الحفاظ على القيمة الأثرية لهذا الشارع وقد رصدت مبالغ كبيرة لهذه العمليات، فمجموعة الغورى وحدها تم رصد ٩ ملايين جنيه لترميمها على مدى عامين منذ بدأها باستثناء المرحلة الثالثة من مجموعة قلاوون والمرحلة الثانية من مسجد الشيخ المؤيد .

جدير بالذكر أن كل الترميمات تجرى بأيدى فنيين مصريين وبالتعاون مع الهيئات العلمية مثل الجامعات المصرية وكليات الهندسة وكلية الآثار والمركز القومى للبحوث، كما يتم الاستعانة ببعض الخبرات الأجنبية فى المجالات التى لا يوجد لها نظير فى مصر مثل الخبرة الإيطالية التى استعنا بها فى ترميم مسجد الغورى . هذا بالإضافة إلى محافظة القاهرة ووزارة الثقافة وهيئة الأوقاف المصرية .

وبهذا سيصبح شارع المعز نموذجا لكل الشوارع الأثرية فى مصر .

منابر المساجد تتصدى لظاهرة البلطجة

التصدى لظاهرة البلطجة التى تعد إحدى السلوكيات المنحرفة والتأخر الحضارى يتناولها العلماء والأئمة ورجال الدعوة فى خطبة الجمعة والندوات والمحاضرات للتأكيد على موقف الإسلام ورفضه لهذه الظاهرة التى تهدد أمن وسلامة المجتمع، هذا ما دعا إليه الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف حيث طالب الأئمة بضرورة تفاعلهم مع مشكلات الجماهير عن طريق التوعية الدينية لتحقيق الأمن والطمأنينة باعتبارهما الدعامة الأساسية للتنمية الشاملة .

وأصدر وزير الأوقاف منشورا بذلك تم توزيعه على جميع الأئمة فى المحافظات وناشدهم العمل على تنقية المجتمع من الظواهر المدموغة بصفات التطرف والتى انتشرت مظاهرها أخيرا من بعض الذين خرجوا على تعاليم الدين والقانون وتقودهم غرائزهم ونوازعهم الهابطة إلى السلوك الإجرامى المرفوض دينيا وقانونيا .

كما طالب الوزير قيادات الدعوة فى جميع المديريات بالتوجيه المستمر للأئمة فى هذا الشأن وعرض النتائج عليه أولا بأول .

٢٠٠ مدرس من الأزهر لدول العالم

لأول مرة يتم هذا العام ابتعاث عدد كبير من مدرسى الأزهر فى مختلف التخصصات لكل دول العالم وخاصة فى المراكز الإسلامية بالغرب حيث اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر نتيجة امتحان المسابقة العامة للبعثات للعام الدراسى ١٩٩٧ - ١٩٩٨ .

وقد روعى فى اختيارهم أن يكونوا ذوى كفاءة علمية وحافظين للقرآن، كما سيتم تزويدهم بمعلومات شاملة عن الدول التى سيوفدون إليها وقد بلغ عددهم ٢٠٠ مبعوث .

لأول مرة

إنشاء مسجد ومركز إسلامى فى جبل طارق

افتتح الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مسجد جبل طارق الذى أنشىء فى هذه المنطقة لعدة اعتبارات حيث إن جزيرة جبل طارق لها فى نفوس المسلمين مكانة خاصة ومنها انطلقت الدعوة الإسلامية إلى أوروبا فى القرن الأول الهجرى وكانت نقطة بداية لتعرف أوروبا على الإسلام بالإضافة إلى موقعها الجغرافى الذى يجعلها أقرب نقطة فى أوروبا إلى أفريقيا كما أنه يوجد بها حاليا حوالى ثلاثة آلاف مسلم .

وبهذا تتحقق أمنية الجالية الإسلامية فى بناء المسجد والمركز الإسلامى الذى بلغت تكاليفه ثمانية ملايين دولار وتبلغ مساحة أرض الجامع ٥٢٠٠ متر مربع وتضم مسجدا للرجال ومصلى للنساء ومدرسة إسلامية ومكتبة وقاعة محاضرات ومسكنا للإمام .

وقد روعى فى التصميم المعمارى له أن يكون ذا طابع متميز يجمع بين العمارة الإسلامية والتناسق مع البيئة المعمارية لمنطقة الأندلس بمنارته التى ترتفع ٦٢ مترا عن سطح الأرض وقبته التى ترتفع ٢٥ مترا من الخارج و ١٧.٥ مترا داخل المسجد وبقطر ٨ أمتار .

وثيقة تكشف زيف الادعاءات الإسرائيلية بحق اليهود فى الحرم الإبراهيمى

أكدت وثيقة رسمية صادرة عن جامعة الدول العربية زيف الادعاءات الإسرائيلية بحق اليهود فى الحرم الإبراهيمى فى مدينة الخليل وغيرها من المواقع الإسلامية .

وجاء فى المذكرة التى بعثتها الأمانة العامة للجامعة العربية إلى منظمة اليونيسكو العالمية أن الحرم الإبراهيمى فى مدينة الخليل مسجد إسلامى وليس لليهود أى علاقة بهذا المسجد من قريب أو بعيد لأن الحرم الإبراهيمى لا يدخل فى صميم الديانة اليهودية على اعتبار أن اليهود هم أتباع يعقوب وليسوا من أتباع إبراهيم عليه السلام .

وأكدت المذكرة أن قبر يوسف الموجود فى مدينة نابلس فى الضفة الغربية هو قبر لأحد علماء المسلمين، كما أن الموقع المسمى «قبر راحيل» الموجود فى مدينة بيت لحم هو مسجد إسلامى يحمل اسم «مسجد بلال» ولا صلة لليهودية به .

وجاء فى المذكرة أن آلية الدعاية المتطرفة التابعة لليهود المتطرفين تحاول بل تعمل جاهدة ومنذ سنوات لصنع تاريخ مزور عن طريق الكذب والدعاية الإعلامية المضللة بهدف إقناع الرأى العام العالمى بأحقية اليهود فى هذه الأماكن الإسلامية المقدسة .

وطالبت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية منظمة اليونيسكو العالمية التدخل لرفع اليد الإسرائيلية عن الأماكن المقدسة الإسلامية فى الأراضى الفلسطينية على اعتبار أنه ليس للديانة اليهودية أية علاقة بهذه الأماكن وأن المواقف الإسرائيلية لا تستند إلى حقائق صحيحة وهى فى الحقيقة تستند إلى مجموعة أكاذيب ذات أهداف سياسية معروفة سلفا .

مركز إسلامى فى أوكسفورد

تم الانتهاء مؤخرا من إعداد التصميمات الأولية لمسجد ومركز إسلامى كبير يقام فى مدينة أوكسفورد الجامعية فقد انتهى المعمارى المصرى عبد الواحد الوكيل ـ أحد أهم ممثلى تيار المعمار التقليدى الإسلامى ـ من إعداد التصميم الأساسى للمسجد الذى سيكون المقر الرئيسى لمركز الدراسات الإسلامية فى أوكسفورد . وسيساهم فى إنشائه كل من السعودية وماليزيا وسلطنة بروناى والكويت .

ويعبر المسجد فى تصميمه عن ولادة شكل جديد من المعمار يلتقى فيه الشرق والغرب، أو يبدأ به ما يمكن أن يسمى «المعمار الإسلامى البريطانى» . حيث جمع التصميم بين تقاليد المعمار الإسلامى وتقاليد المعمار الأوكسفوردى، فقد أخذ التصميم أفضل ما فى المعمار الأوكسفوردى، ومزجه بالتقاليد الإسلامية المعمارية .

ويظهر التصميم الذى عرض فى موقع المركز الحالى فى أوكسفورد الإطار الهيكلى العام الذى سيبدو المسجد والمركز على هيئته بعد الانتهاء من إنشائه والذى يؤكد على وجود الباحات والمساحات المفتوحة والمداخل المزخرفة والأقواس والحدائق المغلقة والجدران والسقوف ذات الطابع الزخرفى، ومنارة وقاعات صلاة وقناطر وسقوف وأقواس عربية، وسيكون فى قلب هذه الأشكال قاعات رئيسية للدراسة والمحاضرات إضافة إلى سكن للطلاب .

ويرتكز تصميم المركز على قاعدة أساسية تمزج وتوازن بين المعمار القوطى والإسلامى الذى يعبر عن غايات المركز وأهدافه التى يعمل على نشرها

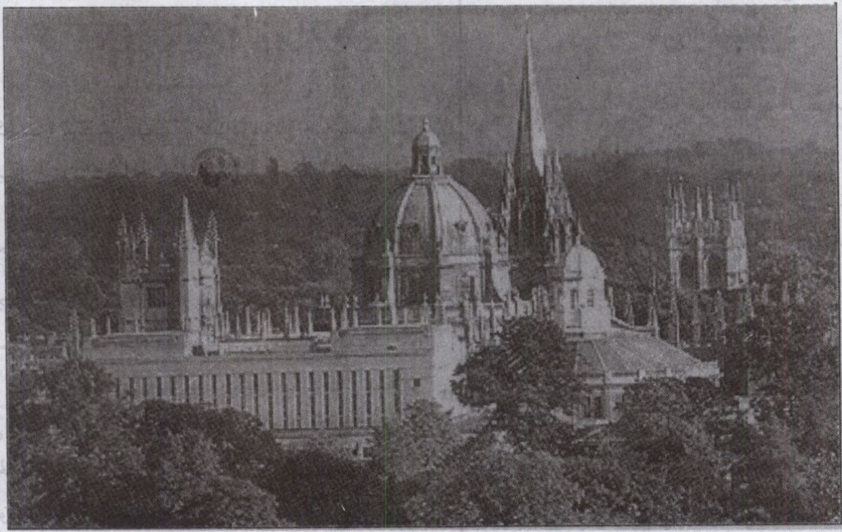

مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية

والتعريف بها وسينضم مسجد أوكسفورد إلى سلسلة المساجد الكبيرة فى بريطانيا التى يعتبر المسجد المركزى فى العاصمة لندن أكبرها وأفخمها .

وعلى الرغم من أن المسجد الإسلامى أصبح جزءا لا يتجزأ من المشهد البريطانى إلا أن المشهد الخارجى للكثير من المساجد التى بنيت أو المبانى التى حولت لأغراض الصلاة والعبادة احتفظت بقدرتها على تقديم صورة عن البساطة المتساوقة مع بساطة الإسلام الذى يؤكد على أن الأرض كلها مسجد المسلم .

كما تعبر المساجد فى بريطانيا عن بساطة الإمكانيات التى تعتمد عليها والتى تأتى غالبا من رواد المسجد والمحسنين إلا أن الزائر إلى بريطانيا يشاهد قباب ومنارات مزينة بهلال ذهبى وزخارف تنبىء عن وجود مسلمين فى بريطانيا لهم تاريخ .

مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم بأمريكا

احتفلت المؤسسة الإسلامية فى أمريكا بانتقالها لمبناها الجديد بواشنطن الذى يضم مشروع الخدمات الاجتماعية ومشروع الدعوة وتيسير الفتوى بالإضافة إلى مشروع تحفيظ القرآن الكريم . وقد تبرع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بإنشاء مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بقيمة تسعة ملايين ريال.

جدير بالذكر أن المؤسسة الإسلامية فى أمريكا التى تأسست عام ١٤١٣ هـ اتخذت من واشنطن مقرا لها وذلك لإبراز حقيقة الإسلام وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام والمسلمين، وتأكيد وسطية الإسلام واعتدال منهجه وبعده عن الغلو أو التفريط لنشر العلم الشرعى المستمد من الكتاب والسنة وللمساهمة فى تعليم النشء القرآن الكريم واللغة العربية، كما تهدف إلى الإسهام فى حل بعض مشكلات المسلمين فى مجال الافتاء . ويخدم مشروع تحفيظ القرآن الكريم أكثر من ١٥٠٠ طالب وطالبة .

الدعوة والدعاة

- الدعوة بأسلوب العصر
- البلطجة وحد الحرابة
- من أحداث شهر جمادى الأولى
- من أخلاق القرآن ـ خلق الشكر
- علامات إرشاد فى تربية الأبناء

الدعـــوة.. بأسلوب العـــصـــر

د. محمود محمد عمارة

وقف المهندس الزراعى الشاب يخطب فى جمهور من الغلمان غفير.. وكان استشهاده بالآيات والأحاديث والنصوص وفيرا.. وحاضرا ..

غير أنه كان يمر على النصوص كالنسمة العليلة.. لاتمتص من الزهرة الجميلة رحيقها ..

وقلت فى نفسى : ما أحوج هذا الفتى إلى وقفات يكتشف فيها بعقله ما فى هذه النصوص من فصوص الحكم.. وحبذا لو جنح به عقله إلى مجال تخصصه إذن.. لأفاد الدعوة كثيرا ..

وكانت لنا جلسة بعد الحفل.. كان من الضرورى أن تكون فرصة يعلق فيها الشيخ على ما رأى.. وما سمع.. فكان هذا الحديث:

روى أنه : بينما كانت امرأة عجوز تمشى الهوينا.. إذ مر بها أعرابى شاب. يقود بعيرا محملا.. فقالت : إلى من تحمل الهدية ؟ فقال : ليست هذه هدية.. وإنما هى هدى !!

قالت : وما هُداك ؟ قال :

كتاب فى الدليل على وجود الله. فضحكت العجوز. فاستغرب الأعرابى الشاب قائلاً لها : ألم أنبئك بالصريح؟ فما هذا الضحك يا أماه؟! قالت : يا بنى :

أنا لست أضحك منك. وإنما أضحك ممن لا يقرّ بوجود مولاه. بعد مشاهدة هذا الكون وما فيه من الآيات.. ثم هو يقنع بحمل بعير ؟؟!

فقال لها : أما علمت : أنه إذا عميت البصائر فلتقرأ النواظر؟! قالت : صدقت!

وهذا موقف من مواقف الحوار بين الأجيال.. هذا الحوار المنتهى بالحق فى موضوع النزاع.. ليظل تواصل الأجيال قائما تدعيما لهذا الحق.. فالشاب هنا مشغول بالعلم وتحصيله.. ثم هو مشغول من العلم بأشرف قضاياه وهو وجود الله تعالى ووحدانيته.. إلى الحد الذى جمع فيه حمل بعير بيانا لذلك وتأكيدا ..

وكانت نقطة الخلاف بين الجيل السابق والجيل اللاحق هنا هو أن العلم النظرى - على أهميته - ليس هو لغة التخاطب الوحيدة فى هذا العصر.. وإنما وسيلة الدعوة الأخرى هى :

النظر فى الكون العريض.. وكم فى هذا الكون من آيات.. قادرات على الاقناع.. وإن وقف العناد أحيانا حجابا حاجزا دون الاعتبار.. وإذا كان ولابد من مواصلة الجهد.. فعلى صعيد الكون المبسوط والذى يعطينا بالتأمل كل يوم جديدا ..

ولم يسلم الفتى بوجهة نظر العجوز.. لافتا نظرها إلى أنه إذا طمست البصائر فلم توجه طاقتها إلى الأعماق.. فلا أقل من أن نقرأ.. ونؤلف.. وإن كان المجهود نظريا ..

ولم تشأ المرأة إلا التسليم.. بعدما تبين له الحق قائلة له :

صدقت ..

ولكنك تلاحظ أن هذا الخلاف محكوم بأدب

الإسلام العالى :

فالفتى لاينفعل غاضبا من مجرد الاختلاف بين وجهتى النظر.. ولكنه يتساءل فى أدب عن السبب.. ثم يستشعر العجوز أمه قائلاً : يا أماه..

ولايفوت العجوز أن تعتذر إليه بأنها لم تضحك منه.. وإنما تضحك له.. لاتبكى منه.. وإنما تبكى على زمان صار وجود الله تعالى محتاجا إلى كتب تدل عليه.. وكل ما فى الكون دليل عليه !

وينتهى الموقف.. لكن يظل فى وعينا قبس منه هو : أن هذا الكون على اتساعه مازال حقلا بكرا.. يمكن أن تستغل آياته لتعرض على البصائر.. سبيلاً إلى الهداية..

ذلك بأنه نظر فى صنع الله :

فى قوانين الحركة مثلا وكيف كان هذا القانون واحدا فى السماء والأرض.. ثم.. كيف تركيب الذرة التائهة.. هو هو تركيب المجموعة الشمسيةأى أن العجوز هنا توجه النظر إلى تأمل صنع الله :

أى : مساحة أوسع من الدلائل..

وهى من صنع الله تعالى القادر!

عامة للكل.. ولغة العصر فى نفس الوقت..

إنها امرأة «عجوز» أتصورها ممثلة اليوم للجيل القديم.. يقدم تجربته للجيل الجديد لعله يتذكر أو يخشى.. هذا الجيل الذى قيل عنه إنهم لم يفرطوا فى شبابهم. عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

(خذ من شبابك لهرمك)

كما أن عطاءهم لم يتوقف. مع تقدمهم فى السن.

فالمخ شأنه شأن بقية الأعضاء فى الجسم يخضع للقاعدة المعروفة:

(العضو العامل ينمو والعضو العاطل يضمر)

ومع أن المخ يفقد بعض خلاياه مع تقدم السن - إلا أن الخلايا الباقية. تزيد من تفرعاتها. وتشابكها. ومواصلاتها العصبية عند نهاياتها. حتى تعوض وظيفيا كَمَّ الخلايا التى يفقدها الإنسان مع السن والشيخوخة.

وذلك فى حالة تشغيل الذهن واكتساب الخبرات المختلفة. ومحاولة التعليم والتعلم فى السن الكبير كى يحافظ الشيخ على ذاكرته ..

تماماً مثل فريق الكرة :

إنه عندما يطرد أحد لاعبيه خارج الملعب.. فإن الباقين يضاعفون مجهودهم فى أداء بطولى يكسبون به المباراة.. على الرغم من نقصانهم لاعب أ.هـ

ونقول هنا :

إن الدعوة كما هى فى حاجة إلى الذاكرة الحافظة الواعية.. لتمد الداعية بما تتطلبه المواقف من معلومات.. فإنها أحوج إلى العقل المتوقد.. القادر على الاستنباط وإن قل رصيد صاحبه من العلم ..

ومادام ذلك العقل حاضرا.. جاهزا للغوص وراء اللآلىء فى الأعماق فإن فرص النجاح قائمة.. وإن قلَّت كمية المعلومات : ونذكر فى ذلك تلك الليلة التى التقى فيها «عالم النحو : الخليل بن أحمد.. ورائد الأدب : ابن المقفع»..

لقد التقيا فى «قمة ثنائية» وسهرا حتى الفجر. يتجاذبون أطراف العلم.. وفى الصباح سأل طالب علم الخليل ماذا رأيت فى ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلاً : علمه أكبر من عقله ..

ولما سئل ابن المقفع عن الخليل بن أحمد قال : رأيت رجلاً : عقله أكبر من علمه ! وإذا يحقق العالمان مقاصد الدعوة بتكاملهما.. فإن ذلك يحملنا مسئولية التقاء التخصصات على صعيد الدعوة.. فى تكامل يحقق الله به آمالنا ..

وحين نحتاج إلى العقل الكبير : يستنبط.. ويوازن.. ويختار.. فحبذا لو كان ذلك الجهد فى تخصص الراغب فى الدعوة ومنهم مهندسنا الزراعى

موضوع حديثنا !

كان عليه أن يخدم الدعوة لا بما يحفظ من معلومات هى أكبر من عقله.. وإنما بما يملك من استعداد فى تخصصه :

وجميل أن يستمع الجمهور منه هذه الموعظة :

أيها الإنسان .. لماذا الغرور : وأجمل ما تلبس من حشرة.. دودة القز.. وأجمل ما تزدان به من حيوان بحرى دقيق.. يمنحك اللؤلؤ والمرجان.. وأكمل ما تطعم من حشرة هى : النحلة.

«يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس» «سورة النحل الآية ٦٩».

لقد كان العسل معروفا قبل ظهور الإسلام.. وبعد الإسلام اكتشف الطب الحديث أهميته القصوى بالنسبة للقلب.. والأعصاب وتوفير الطاقة ..

فأين الإنسان المعتبر.. المعتمد على نفسه فى تحصيل قوته.. ومساعدة الآخرين أسوة بهذا الخلق من خلق الله تعالى ؟

وهكذا يكون الداعية.. المتخصص فى الزراعة.. وهكذا تحدث المجربون من علمائنا فى حنوها معركة مع الملحدين منطلقين من مشاهد الطبيعة فقالوا :

أيها المعاندون الطالبون الآيات كى تؤمنوا.. فهل خرق السنن بهذه الآيات.. هل إذا تأخر غروب الشمس دقائق.. وهل إذا انشق القمر ثوان.. هل هذا أدل على قدرة الله تعالى من انتظام الكون.. واطراد نظامه **«لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون»**.

ألا إن هذا النظام أدل على وجوده تعالى من بضع دقائق يختل فيها الكون ..

إن هذا النظام نفسه.. أدل عليه من خرق النظام!!

ومازلت بهذا المهندس الزراعى المشغول بالدعوة عن طريق نصوص لايفهمها :

أولاً : لاحظ أن الإمام أحمد رحمه الله لم يجلس للدرس إلا بعد الأربعين !!

وثانياً : هلا ذهبت إلى والدك الفلاح.. هناك فى الحقل فقلت له :

يقول تعالى : **«كمثل جنة بربوة»**.. بمرتفع من الأرض :

لماذا آتت أكلها مرتين ؟ هل لأنها فى علو.. فالجذور ضاربة تمتص غذاء أكثر .. أم هل لأن الوابل نازل من أعلى.. فهو يغسل الأوراق ؟ وهل لغسيل الأوراق صلة بالثمر كما وكيفا؟

وهل ينوب «الطل» عن الوابل الصيب لو لم يسقط؟

وإذ تنص آيات القرآن الكريم على ألوان من الفاكهة بعد اندراجها فى العام قبلها : مثل **(جنة من نخيل وأعناب)**.. فيها فاكهة ونخل ورمان.. هل لهذه الفواكه فوائد خاصة بمعنى أن تخصيصها بالذكر تحريض على بحثها وتحليلها وصولا إلى هذه الفوائد ؟

أما بعد : فقد قلت للمهندس الزراعى.. لاتلمنى فيما وجهتك إليه وابدأ من جديد فليس بداعية من يغضب قائلاً : ماذا عملت حتى يصبنى من غضب الشيخ رذاذ. ولكن الداعية هو الذى يطور السؤال ليكون : ماذا على أن أعمل من الآن لأستأنف الرحلة من جديد!.. كن فى موقعك كهذا المخترع الكبير.. والذى فكّ كل ما فى الدار من آلات.. ثم أعاد تركيبها من جديد.. وعليك أن تعيد تركيب الدنيا : تقرأ.. وتفهم.. وتحلل ثم تقدم شيئا جديدا.

كلمة للدعاة

البلطجة وحد الحرابة

الدكتور / محمد بهى الدين سالم

البلطجة إفساد فى الأرض، وخروج على القانون، وإشاعة للفوضى، وترويع للأمن، وجملة القول أنها شر عام يثيره فرد أو مجموعة أفراد ينطوى على خلل اجتماعى خطير، يجب التضامن لدفعه، وقمع مرتكبيه، وعدم التهاون فى أمرهم، والضرب بيد قوية ومؤثرة على كل من تحدثه نفسه بارتكاب مثل هذه الشرور، أو التستر على مرتكبيها اتقاء لما تسببه من أضرار مادية ومعنوية، وقلق يتسع ليشمل الكثيرين من أبناء الوطن.

مقاصد الأديان السماوية

ومن المتفق عليه أن مقاصد الأديان السماوية ـ جميعاً ـ تحض على حفظ الكليات الخمس : ـ الدين ـ النفس ـ النسب والعرض ـ العقل ـ المال ـ لأنه لا يصح المجتمع البشرى مالم يحافظ على هذه الأمور الخمس.

والإسلام خاتم الأديان يرى أن من أشاع فى الناس فتنة أو حمل عليهم السلاح أو أفسد فى الأرض فهو خارج على الدين لاينتسب إليه. يقول الحق تبارك وتعالى فى علاه : **«واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب»** (سورة الأنفال الآية ٢٥).

ويقول : **«لقد ابتغوا الفتنة من قبل، وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون»**

(سورة التوبة الآية ٤٨).

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً **« والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور»**

(سورة فاطر الآية ١٠).

ويدعو الإسلام ـ دوماً ـ إلى تأليف القلوب والعمل على وحدة الصف حتى لاتكون هناك ثغرة من الثغرات ينفث منها شرير يكون وبالاً على المتضررين من المواطنين، وصدق الله العظيم إذ يقول : ـ **«وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»** (سورة المائدة الآية ٢).

ورسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحض على الأخوة ويبغض الظلم والظالمين يقول **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه**

ولايهضمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته».

وإذا ما تأملنا التعاليم السامية التي جاء بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ـ لوجدنا أنها كلها ـ تأمر بالتعاون ، والبر ، والسماحة، والحفاظ علي ممتلكات الغير، وعدم إيذاء الآخرين، أوظلمهم ، كل هذا من أجل رفعة الدين، والوطن، يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **«من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا».**

وليتنا نتدبر قول أحد الحكماء لتلاميذه : **«كونوا كالنحل فى الخلايا قالوا: وكيف يكون النحل فى الخلايا ؟ قال : إنها لاتترك عندها بطالا إلا نفته، وأبعدته، وأقصته عن الخلية لأنه يضيق المكان، ويفنى العسل، ويعلم النشيط الكسل».**

ولما كان لكل جريمة عقابها المادى والمعنوى، وهذه الجرائم حددت الشريعة الإسلامية معالمها بمصدريها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، يقول سبحانه وتعالى : **«الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد»** (سورة الفجر الآية ١٠ ـ ١٢)

ويقول ... **«والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون فى الأرض، أولئك لهم اللعنة، ولهم سوء الدار»** (سورة الرعد الآية ٢٥).

وأيضا يقول الحق تبارك وتعالى.. **«وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد»** (سورة البقرة الآية ٢٠٥).

ويقول : **«ولاتبخسوا الناس أشياءهم، ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها»** (سورة الأعراف الآية ٨٥).

ويقول : .. **«والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»**

(سورة الأنفال الآية ٧٣).

ويقول سبحانه وتعالي :.. **«والى مدين أخاهم شعيبا فقال : ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر، ولا تعثوا فى الأرض مفسدين»**

(سورة العنكبوت الاية ٣٦).

البلطجة إفساد فى الأرض

ولما كانت البلطجة إفساد فى الأرض، وجريمة عامة فيها تحد للنظام العام المعمول به، تنطوى على قطع الطريق، وترويع المارين ومغالبتهم بالقوة لأخذ أموالهم عنوة، أو إجبارهم على مايريد الجانى، أو الاعتداء على الأعراض كان الحكم الشرعى هو إقامة (حد الحرابة) على الجانى أو الجناة كعقاب رادع، وعبرة لمن تسول له نفسه القيام بمثل هذه الأفعال.

ولعلك عزيزى القارئ تسأل . . . .

ما هو الحد؟... وماهى الحرابة؟

* أما الحد فى اللغة فهو الفصل والمنع، وفى لسان العرب مادة (حد) الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر أو لئلا يعتدى أحد على الآخر وجمعه حدود.

* أما الحد فى لسان الشرع، فقد ورد بمعنى التشريعات التى شرعها الله سبحانه وتعالى للعباد من الحلال والحرام، وسميت حدوداً لأنها فصلت وميزت مايجوز ومالايجوز . وما يحل وما يحرم.

وحكمة الشارع فى الحد هى التربية والزجر، وتطهير المجتمع من الفاحشة والخلل الذى يصيبه من الأشرار الذين إذا ماتركوا دون الردع والتربية الحازمة لانتشرت أمراضهم شأنهم شأن أى عضو فاسد فى الجسم حينما يترك يكون مصير جميع أجزاء الجسم التلف والتحلل والفساد.

والجنايات التى يعاقب عليها الشرع تنقسم إلى أربعة أقسام يرتكبها البلطجى كلها أو بعضها وهى:

١ ـ جنايات فى حق الله « مثل الزنا »

٢ ـ جنايات فى حق العبد « مثل القصاص »

٣ ـ جنايات مشتركة وحق الله فيها غالب « مثل السرقة ».

٤ ـ جنايات مشتركة وحق العبد فيها غالب « مثل القذف ».

أما الحرابة فهى جريمة مغلظة فى الشريعة الإسلامية لما فيها من عدوان على الأموال والأنفس، وما فيها من زعزعة للأمن، وتقويض لمقومات المجتمع الصالح، جاء بالدر المختار ج٢ ص ٢١٨ فى معنى الحرابة لغويا : حربه حرباً، كطلبه طلباً : سلب ماله فهو محروب وحريب.

* وأما الحرابة فى الشرع فالمراد بها قطع الطريق على الناس، وهو أن يقوم جماعة لهم قوة ومنعة، أو واحد له قوة ومنعة بإخافة الناس والتعدى على دمائهم وأموالهم وأعراضهم سواء أكان ذلك فى الصحراء أم فى القرى أو الأمصار مع كون القاطع والمقطوع عليه معصوم الدم.

عن قتادة عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنهما ـ قال : **«إن ناساً من عطل وعرينة قدموا على النبى ـ صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام فاستوخوا المدينة ـ وفى رواية ـ فاجتوا المدينة ـ** (أى أصابهم داء الجوى، وهو داء يصيب البطن) **فأمرهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم بزود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فليشربوا من ألبانها فأنطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستاقوا الزود** (قطيع من الأبل ما بين الثلاثة والعشرة، وكانت إبل الصدقة) فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى آثارهم

فأمر بهم فسملوا أعينهم، وقطعوا أيديهم. وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم» (رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى) حقاً هؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم،. وحاربوا الله ورسوله ألاً يستحقون العقاب وفق شرع الله ومنهاجه؟.

مصر مهد الحضارة الإنسانية

أرض الكنانة مصرنا الغالية مهد الحضارات الإنسانية، ومهبط رسالات السماء هى أحوج ما تكون إلى الأمن والأمان، كما أنها أحوج ما تكون إلى استثمار طاقاتها الطبيعية والبشرية مع الزيادة الواضحة فى عدد السكان، ولا يتأتى ذلك إلا بالقضاء على هذه الشرذمة الباغية. بل والحاقدة التى تبعث الفتن بين المواطنين بما تقوم به من أعمال البلطجة والفوضى، والاعتداء على حقوق الأبرياء، إن إسلامنا القويم يحفظ لكل ذى حق حقه، ويستنكر كل ما يخالف الشريعة ومقاصدها، وإنه ليحزن كل مصرى أن يوجد أمثال هؤلاء وتحت أى مسمى فهم مفسدون يبتغون الفتنة بين أبناء الوطن بأعمالهم وأقوالهم.

ومن منطلق الدعوة والدعاة أهيب بأبناء الوطن مسلمين ومسيحيين الحرص كل الحرص على مساعدة (الأجهزة الأمنية) في الضرب بقوة على أيدى هؤلاء العابثين حتى يقضى على فتنهم، وتآمرهم وشرورهم فلايمكن أن يسير المجتمع بالغدر والبلطجة وبفرض الإرهاب، والعنف.

كلمة أخيرة

وكلمة أخيرة أود أن أسجلها بأمانة المسلم وشجاعة الداعية، لقد فاض الكيل من أفعال هؤلاء المارقين، ولا بد من وضع حد لكل بلطجى أثيم.

فليس من المعقول أو المقبول دينيا أو وطنيا أن يكون هناك فى الوادى الجديد (توشكى) سواعد فتية تتحمل المشاق بإيمان وعزم فى سبيل خير مصر، ومستقبل شبابها.

وهنا فى الوادى القديم (الدلتا) مفسدون ينعمون بما يسلبونه قرا من ضحاياهم، وبما يقومون به من ترويع لو جدانهم.

** ولنا فى شريعتنا الغراء ما يوقفهم عند حدهم، ويحكم عليهم بالحكم الإلهى العادل.. وهو **«حد الحرابة»** لا ما يضعه البشر من عقوبات. يقول سبحانه وتعالى : .. **«إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فساداً، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، وذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم»** صدق الله العظيم

(سورة المائدة الآية ٣٣)

من أحداث شهر جمادى الأولى

الدكتور أحمد شلبى

نواصل دراساتنا عن بيان أهم الأحداث فى الشهور العربية من شهر إلى شهر، ونحن الآن مع شهر جمادى الأولى، ويقال إن جمادى الأولى والآخرة سميا بذلك لتجمد المياه فيهما من شدة البرودة، أيام كانت الشهور العربية ترتبط بفصول السنة، حيث كان البرد يشتد فى هذين الشهرين وقد حدثت أحداث مهمة فى شهور جمادى الأولى عبر التاريخ نسرد فيما يلى أهمها :

١ - مولد الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولد الإمام علىّ سنة ٢٣ قبل الهجرة وسمتّه أمه حيدرة، والحيدرة هو الأسد، ولكن أباه سمّاه علياً، وهو الاسم الذى عُرِف به، وإن بقىَ حيدرة وصفا له لشجاعته وبطولته.

وكان لأبى طالب أبناء أربعة هم : جعفر وعُقيل وطالب وعلى، وكان علىُّ أصغرهم سناً، وعندما أصاب القحطُ الجزيرة العربية ذهب العباس وحمزة ومحمد (قبل بعثته) إلى أبى طالب يعرضون استعدادهم للتعاون معه فى تربية أولاده فأخذ العباس طالبا، وأخذ حمزة جعفراً، وكان علىٌّ من نصيب محمد، وكان علىّ آنذاك فى مطلع الصبا فى حوالى السادسة من العمر، فتربى مع الرسول عليه الصلاة والسلام وتشرب خُلقه واتجاهاته التى كانت حافلة بالسداد.

ومن ثمّ فإن علياً لم يسجد لصنم قط، لأن الأصنام لم تجد لها مكاناً فى حياة محمد، وبالتالى لم تجد لها مكانا فى حياة علىّ الذى كان يحذو حذو ابن عمه، ويتابع سلوكه، ويعدُّه فى منزلة الأب أو الأخ الأكبر.

ولما جاء الإسلام وعلىّ فى سن مبكرة يراها المؤرخون حوالى العاشرة من العمر، أعلن علىّ دخوله الإسلام، ويروى أنس بن مالك أن الرسالة بدأت يوم الأثنين، وأن علياً اعتنق الإسلام يوم الثلاثاء التالى :

وذهب علىّ إلى والده أبى طالب يقول له: يا أبت لقد آمنت بالله وبأن محمداً رسول الله وصدقت ما جاء به.

قال أبو طالب: يا بنى إنه لايدعوك إلا إلى خير فالزمه.

ومن أجل إسلام علىّ المبكر يتجه بعض المؤرخين إلى القول بأن علياً كاد أن يولد مسلما.

ودخول علىّ الإسلام مبكرا جعله لايعرف لهو الصبيان ولاصخب الشبان ولا أسمارهم وعبثهم حتى يمكن القول إنه تخطى مرحلة الصبا والشباب، فاكتسى بهيبة الإسلام وجلاله فى مطلع العمر وتبعاً لذلك عاصر علىّ نزول القرآن الكريم آية إثر

آية، وكان يقول سلونى ما شئتم عن كتاب الله، فوالله ما من آية من آياته إلا وأنا أعلم أنَزَلت فى ليل أو فى نهار والكلام من الإمام علىّ بن أبى طالب طويل، وقد دوّناه فى مصادره، ونكتفى هنا بهذه السطور التى ترتبط بمولده ونشأته .

٢ ـ غزوة مؤته :

عقب صلح الحديبية سنة ٦ هجرية أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم كتبه للملوك والرؤساء فى الجزيرة العربية وحولها، وكانت غزوة مؤته نتيجة لهذه الكتب، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث كتابه إلى الغساسنة مع الحارث بن عمير الأزدى، وكان الغساسنة خاضعين لملك الروم، ويرون أنفسهم أقوياء بسلطان الروم، فقتلوا حامل كتاب الرسول، وسخروا بمن أرسله، وكان ذلك عدوانا يستحق التأديب من جانب، ومن جانب آخر فإن الأوان كان قد آن لتطهير الجزيرة العربية من الأعداء المناهضين للإسلام .

وأعد الرسول صلى الله عليه وسلم لحرب الغساسنة جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، ولأول مرة لم يُعين الرسول قائداً واحداً للجيش بل عيّن زيد بن حارثة أميراً للجيش وقال : فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب يُصبح أمير الجيش، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، وكان هذا إحساسا من الرسول صلى الله عليه وسلم بصعوبة المعركة كما ترك هذا التصرف إحساسا لدى المسلمين بخطورة الأمر .

مفاجأة :

وسار جيش المسلمين إلى الشمال، وما إن وصل إلى قرب مؤتة حتى فوجىء المسلمون بأنهم يواجهون جيشاً قوامه حوالى مائة ألف بعضهم من الروم وبعضهم من الغساسنة، وممن حضر لمساعدتهم من العرب المحيطين بهم الذين كانوا لايزالون على الشرك .

وجلس المسلمون للمشورة، واتجه بعضهم إلى الكتابة للرسول بالأمر ليرشدهم إلى ما يجب أن يفعلوا أو ليرسل لهم مدداً من الرجال والسلاح، ولكن عبد الله بن رواحة صاح فى الناس قائلاً : أيها المسلمون، والله إن التى خرجتم لطلبها هى الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، فانطلقوا إلى إحدى الحسنين، النصر أو الشهادة.

فقال الناس : صدق والله ابن رواحة.

وتقدم المسلمون وبدأت المعركة وسرعان ما ظهر فيها عدم التكافؤ، فقتل القادة الثلاثة الواحد بعد الآخر، ثم آلت الراية إلى خالد بن الوليد الذى سرعان ما أدرك أن الاستمرار فى المعركة سيؤدى إلى فناء جيش المسلمين دون طائل، فرأى أن ينسحب بجيش المسلمين ليضمن النجاة لجيشه حتى تكون عُدَّة المسلمين أوفر للقاء الروم ومن معهم .

وعندما أضمر خالد هذا الرأى ومال له أصحابه واجه جيش الروم فى أول أيام قيادته بتنظيم جديد أوحى إلى الروم بأن وجوها جديدة انضمَّت لجيش المسلمين، كما أمر بعض أتباعه أن يثيروا الغبار خلف الجيش ليوهم الروم أن مزيدا من المساعدات ينهال على جيش المسلمين من المدينة وفى ظل هذا التصرف انسحب خالد بالجيش .

تعليقات على غزوة مؤته :

غزوة مؤتة جديرة ببعض التعليقات المهمة :

أولاً : إن هول المعركة لم يكن بكثرة الشهداء، وإنما بالجيوش الصاخبة التى أعدها الروم وعرب الشمال لها، أما الشهداء فهم أربعة عشر شهيدا فقط فيهم القادة الثلاثة، ويبدو أن حامل الراية فى هذه المعركة، كان يتقدم الجموع، ولا يقتصر على

إدارة المعركة، ومن هنا سقط حاملو الراية مع قلة من سقطوا من المسلمين، ويروى أن جيش الأعداء سقط منه نفس العدد أيضا .

ثانياً : يبدو للناظر فى هذه الغزوة أن الهيبة المشتركة هى التى منعت الاستمرار فى المعركة، وجعلت كلا من الجيشين يقنع بالمناورة والمناوشة، فجيش الروم كان يعرف ما حققه المسلمون من انتصارات فى الغزوات ضد قريش وضد اليهود، والمسلمون كانوا يعرفون قدرات الجيوش الرومية التى كانت قد حققت حديثاً نصرا ضد الفرس، وفى جو هذه الهيبة المشتركة وقفت المعركة عند هذا الحدّ .

ثالثاً : لم يقبل المسلمون بالمدينة أن ينسحب خالد بالجيش وعدوا ذلك فراراً، ولذلك جعل الناس يصيحون ضد أفراد الجيش المنسحب ويصفونهم بأنهم فُرَّارْ، ويهزءون بهم فيقولون : فررتم فى سبيل الله، ولذلك خجل كثير من هؤلاء المنسحبين فتوقفوا عن الظهور أمام الناس مخافة هذا الهجوم، فقد رَوَى ابن هشام أن أم سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم سألت زوجة سلمة بن هشام بن العاصى قائلة : مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله؟ فأجابت : والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس : يا فرّار فررتم فى سبيل الله، حتى قعد فى البيت فما يخرج.

ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قدّر الموقف وسماهم «الكُرَّار» مدركا الأسباب التى جعلتهم ينسحبون .

وقد ثأر المسلمون بقيادة خالد بن الوليد من الروم إبان فتح الشام فى عهد أبى بكر وعمر بن الخطاب، فشتتوا جيش الروم وانتصروا عليهم .

٣ ـ معركة أجنادين :

وقعت معركة أجنادين فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣ هجرية وكانت بين المسلمين والروم، وكان خالد بن الوليد قائداً لجيوش المسلمين التى بلغت حوالى ثلاثين ألفا، وكان تيودور أخو هرقل قائداً لجيوش الروم التى أربت على مائة ألف وكان جيش الروم كثير الأسلحة والعتاد، أما جيش المسلمين فكان قليل الأسلحة اللهم إلا الروح المعنوية القوية والثقة الهائلة فى نصر مبين، ودارت رحى الحرب فخرَّ من جيش الروم أكثر من نصفه، وأسرع الباقون يولون الأدبار، وكانت هزيمتهم صاعقة على هرقل الذى لم يتوقع مثل هذه الهزيمة الساحقة، ولذلك ترك حمص وهرب إلى أنطاكية.

وهناك بيت من الشعر يجدر بى أن اقتبسه من البلاذرى فهو قوى الدلالة على الرعب الذى ملأ نفوس الروم من بطش المسلمين، وهذا البيت كان يردده جند الروم من العرب وهم يشربون ويتغنون وهو :

ألا علّلانى قبل جيش أبى بكر
لعل منايانا قريب ولا ندرى

٤ ـ وفاة عبد العزيز بن مروان :

ومن أحداث شهر جمادى الأولى وفاة عبد العزيز بن مروان بن الحكم الذى آلت له الخلافة بعد نهاية عبد الله بن الزبير الذى ادعى الخلافة فى الحجاز وتمسك بها بضع سنوات حتى سقط فى المعارك التى دارت بينه وبين مروان بن الحكم، وقد آلت خلافة المسلمين لعبد الملك بن مروان بعد أبيه مروان بن الحكم، وعُيّن عبد العزيز ولياً للعهد بعد عبد الملك وحاكماً لمصر طعمة له (أى لايدفع شيئا من خراجها لدمشق) وقد ظل عبد العزيز حاكماً لمصر حتى وفاته فى ١٣ جمادى الأولى سنة ٨٦هـ.

وقد أحسن عبد العزيز القيام بالأمر فى مصر وهو الذى بنى مدينة «حلوان» وانتقل لها من

الفسطاط بعد انتشار وباء فى الشرق الأدنى، ومن أعماله العمرانية مقياس الروضة، وتوسيع مسجد عمرو بن العاص.

وعبد العزيز بن مروان هو والد الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الذى يُعد خامس الخلفاء الراشدين.

٥ - وفاة الإمام السيوطى فى جمادى الأولى سنة ٩١١هـ:

الإمام عبد الرحمن السيوطى عالم ذائع الصيت غزير الإنتاج متنوع الفكر، وقد ولد السيوطى فى شهر رجب سنة ٨٤٩هـ، وكانت ولادته فى القاهرة التى نزح لها أبوه من أسيوط، وكانت أسيوط مقرّ الأسرة التى نزحت من بغداد فى عهد الدولة الأيوبية.

وأسرة السيوطى كان فيها عدد من النابهين الذين شغلوا مناصب مهمة فى الدولة، فكان منهم القاضى والمحتسب والتاجر الثرى الخيّر، وكانت والدته تركية أنجبته بعد أن تقدمت بها السن، وتقدمت سن أبيه كذلك، ويقال إنه من أجل هذا كان السيوطى بالغ النضج لأنه جاء من أبوين بالغى النضج.

وحفظ السيوطى القرآن الكريم وهو دون الثامنة ثم أخذ يطلب العلم، فلم يصعب عليه فرع منه إلا الحساب والمنطق حيث ثقلا عليه كما يقول السيوطى، أما ما عداهما من العلوم فقد استهوته فأجادها كالتفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والبديع وأصول الفقه والجدل والإنشاء والترسل والفرائض والقراءات والطب، ويقول السيوطى أنه بلغ فيها الكمال وإنه رزق التبحر فى السبعة الأولى منها.

قام الإمام السيوطى بأسفار كثيرة إلى مراكز العلم بمصر فزار الإسكندرية ودمياط والفيوم والمحلة الكبرى، ثم زار عدة أقطار منها مكة المكرمة والمدينة المنورة والشام واليمن والمغرب وبلاد التكرور.

وتولى السيوطى عدة مناصب من أهمها الإفتاء وإملاء الحديث بجامع ابن طولون ووظيفة الإسماع بالخانقاه الشيخونية ومشيخة التصوف، ثم عُيّن شيخا لمشيخة الخانقاه البيرسية، وهى أكبر خوانق القاهرة.

وأخيراً انقطع عن الإفتاء والأعمال ليتفرغ للعبادة والتدوين، ويقولون إن السيوطى أهتم بالكمِّ دون الكيف وأ لهاه التكاثر عن الاتقان، وكان مصدر هذا القول أن السيوطى يقول إن مؤلفاته أربت على الخمسمائة وكان يقول: لو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفاً تاماً لفعلت وكان السيوطى يرى أنه المبعوث على رأس المائة التاسعة وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام خمسين مرة، وهذه الأقوال أثارت عليه المنافسين والقرناء.

ومن أهم مؤلفات السيوطى ماكتبه فى التاريخ ومن ذلك كتاب « حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة » ويقع فى جزأين، و« طبقات العلماء والأصلاء والصوفية فى مصر » وكتاب « تاريخ أسيوط »، وكتب أخرى كثيرة فى علوم القرآن الكريم مثل: « الاتقان فى علوم القرآن » « وبغية الدعاة فى طبقات النحاة » وغيرها.

وبسبب رحلات السيوطى لكثير من دول العالم ذاعت كتبه فى عدة أقطار ممالم يحظ بمثله غيره من العلماء.

وقد توفى هذا العالم الجليل فى شهر جمادى الأولى سنة ٩١١ هجرية، أحسن الله ثوابه.

من أخلاق القرآن ومكارم أخلاق الإسلام

خلق الشكر

الدكتور / عبدالغفار عبدالرحيم محمد

من أخلاق القرآن ومكارم أخلاق الإسلام خلق الشكر وهو فى أعلى المراتب والمنازل الدالة علي صدق الإيمان والاعتراف بحق الرحمن واظهار نعمه للعيان. وقد أمر الله تعالى به ونهى عن ضده وهو كفر النعمة وأثنى على أهله أحسن الثناء ووصف به خواص خلقه ووعد أهله أحسن الجزاء وجعله سببا للمزيد وحارسا وحافظا لنعمه. يقول الراغب الأصفهاني:

الشكر تصور النعمة وإظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسرتها ودابة شكور مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها. فالشكر على هذ ا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه.

والشكر ثلاثة أضرب : شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان رهو الثناء على المنعم وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه : اعملوا آل داود شكرا فقد قيل **«شكرا انتصب على التمييز. ومعناه : اعملوا ما تعملونه شكرا لله،، وقيل شكرا مفعول لقوله اعملوا وذكر اعملوا ولم يقل اشكروا لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان والجوارح. ولم يثن سبحانه بالشكر من أوليائه إلا على اثنين قال فى إبراهيم عليه السلام : شاكرا لأنعمه»** وقال فى نوح عليه السلام : **«انه كان عبدا شكورا »** هذا من كلام الاصفهاني.

ولما كان هذا الخلق بهذه المنزلة استحق أن يأخذ من اهتمام العلماء ماهو به جدير. من أجل ذلك وضع ابن القيم خمس قواعد يقدم لها بقوله :

وحقيقته فى العبودية ظهور اثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافا وعلى قلبه شهودا ومحبة وعلى جوارحه انقيادا وطاعة. ثم قال في كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

والشكر مبنى على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور وحبه له واعترافه بنعمته وثنائه عليه بها وأن لايستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس هى أساس الشكر وبناؤه عليها فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة. ثم يقول ابن القيم أيضا :

جاء فى أثر الهى يقول الله عز وجل : أهل ذكرى أهل مجالستى وأهل شكرى أهل زيادتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ابتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب .. الخ.

وقال أهل العلم الشكر مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه فأنت تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه ولا تشكره إلا على

معروفه دون صفاته.

والشكر يتضمن الرضا وزيادة. وعند بعضهم أنه فوق منزلة الرضا.

لعل من أبرز مايجلى لنا حقيقة وفضيلة ماأنعم الله به على عباده اقتران الشكر بالذكر بل تقديمه علي الإيمان فى آية كريمة يقول الله تعالى :

«فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون» (١٥٢ البقرة) ويقول جل وعلا : **«ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما»** (١٤٧ النساء) ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين إبليس فى الخلق فقال : **«ولا تجد أكثرهم شاكرين»** (١٧ الأعراف).

لقد أحسن أبو حامد الغزالى عندما فهم فهما عميقا فى القطع بالمزيد من الله تعالى مع الشكر دون استثناء وذلك قوله تعالى : **«لئن شكرتم لأزيدنكم»** (٧ابراهيم) واستثنى سبحانه وتعالى فى خمسة أشياء فى آيات.

أما الأشياء فهى الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة.

وأما الآيات فى قوله تعالى : **«فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء»** وقوله تعالى **«فسيكشف ماتدعون اليه ان شاء»** وقوله جل وعلا **«يرزق من يشاء بغير حساب»** وقوله سبحانه وتعالى **«ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»** وقوله تعالى : **« ويتوب الله على من يشاء »** فهذه خمسة أشياء فى آيات استثنى فيها سبحانه وتعالى وهو صاحب الأمر وبيده فعل كل شئ لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه.

أما مع التخلق بخلق وعمل الشكر فإنه سبحانه يعطى المزيد دون استثناء ألا ما أوسع هذا العطاء وأعظم هذا السخاء والفضل دون ابطاء وما أحوجنا إلي التعرف علي هذه الأعمال والأخلاق التى تقربنا إلى رب الأرض والسماء.

الحق أن هذا الخلق يحمل من جوانب التربية الأخلاقية مايعد به من أعيان مكارم الأخلاق ذلك أن الشكر معرفة النعمة ومعرفة المنعم بها ومعرفة القيام بحقها.

والعمل بموجب هذه المعرفة يقتضى أن يتعلق الشكر بالقلب واللسان والجوارح بحيث يستخدم جميعها فى طاعة الله عز وجل فلا يجد الشاكر فى قلبه غلا لأحد من الناس ولا على لسانه إلا مايرضى صاحب النعم ولا فى جوارحه إلا مايكون فى طاعة ربه جل وعلا.

فيكون بهذا معترفا لصاحب النعم بنعمه وهذا الاعتراف فى حد ذاته شكر لله لما جاء. أن موسى عليه السلام قال يارب كيف أشكرك وأنا لاأستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك أو أن شكرى لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه : إذا عرفت هذا فقد شكرتنى. وفى رواية أخرى : إذا عرفت أن النعمة منى رضيت منك بذلك شكرا. (فى أكثر كتب الرقائق).

ونعم الله تعالى أكثر من أن يحصيها عد أو يحيط بها حد لقوله تعالى : **« وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم»** (١٨ النحل). فهذا تنبيه ربانى إلى أن كثرة النعم تستوجب شكر المنعم. ولو طالبنا بشكر جميع نعمه لعجزنا عن القيام بذلك ولو أمرنا لضعفنا ولو عذبنا على ترك شكره لما ظلمنا، ولكنه سبحانه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازى عن اليسير. وهذا أيضا من نعمه التى تستحق الشكر.

وعدم شكر النعمة كفر بها ووقوع فى مهاوى إبطال الأعمال وفساد الأحوال وذلك قوله تعالى : **«واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون »**(١١٤ النحل).

وبالمثال يتضح المقال : خلق الله تعالى الإنسان فى أحسن تقويم وأكمل عليه نعمه ظاهرة وباطنة. فوجب على الإنسان أن ينظر فى هذه النعم نظرة تأمل واعتبار وصولا بذلك إلى شكر صاحبها وقياما بحق واهبها فهو سبحانه القائل : **«فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب»** (٥ , ٦ الطارق).

وقوله سبحانه وتعالى : **«وفى أنفسكم أفلا تبصرون »**(٢١ الذاريات).

وقوله سبحانه : **«يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى»**. الآية (٥ الحج).

وهذا كثير فى القرآن بشكل يدعو إلى النظر والتدبر والفهم لأصل الخلقة وكيفية النشأة وإبداع الصنعة.

عندئذ يرى المرء ويحسن جلال النعمة وجلال المنعم فإذا به يقول :**« تبارك الله أحسن الخالقين»**. وإذا هو تجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة يدقق فيها ويتعمق ليعرف كيفية خلق عضو واحد من أعضاء الجسد فإذا به يعلن فهم شئ كما يصرح بالعجز عن فهم أشياء وهذا وذاك يستوجب ذكر النعمة وشكرها.

وإن من نعم الله تعالى على العبد أن يكون مأمونا على ماجاء به .

من ذلك قول الشاعر

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة

على وفى أمثالها يجب الشكر

كيف وقوع الشكر إلا بفضله

وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها

وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

ولا منهما إلا له فيه منه

تضيق بها الأوهام والبر والبحر

وإن من أبرز مايدعو إلى تقدير النعم ودوام شكرها ماتفضل به سبحانه على عباده من تكرار دعائهم فى صلواتهم «**اهدانا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم**» فهذا التوفيق لهذا الدعاء المبارك نعمة أخرى تستحق الشكر عليها إذ المنعم عليهم هم الذين تعنيهم الآية الكريمة.

ويقول سبحانه، «**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**» (٦٩ النساء).

إن نبى الله داود عليه وآله السلام كان نموذجا رائعا فى شكر النعم والعمل على ذلك إذ المعلوم أن الله تعالى قد من عليهم بنعم وفضل وملك عظيم قوله تعالى : **«ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد.. إلى أن قال جل وعلا: اعملوا آل داود شكرا »** (١٠ ـ ١٣ سبأ).

أى وقلنا لهم اعملوا شكرا على ما أنعم الله به عليكم فى الدين والدنيا.

وكان داود عليه السلام قد جزأ علي أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لاتأتى ساعة عليهم من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى فغمرتهم هذه الآية.

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : **«إن أحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه.وأحب الصيام إلي الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى »**

وجاء فى هذه الآية أيضا: أن داود عليه السلام

قال يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك قال الآن شكرتنى حين علمت أن النعمة منى.

ويقول أهل العلم فى ختام الآية : «**وقليل من عبادى الشكور** »: هذا هو الواقع أى واقع حال الناس مع النعم ومع المنعم بها .

وهذا مشهد آخر من مشاهد الشكر للنعمة من واحد من آل داود. هو سليمان عليه السلام الذى آتاه الله تعالى ملكا لاينبغى لأحد من بعده.. علم منطق الطير وسخر الله له الريح والجن. فكان يعرف النعمة ويعرف لها قدرها ويسأل الله تعالى من فضله أن يوفقه إلى القيام بحقها.

ذلك أنه عندما تحرك موكبه يجمع بين الإنس والجن والطير فى مهابة كبيرة وأبهة عظيمة فإذا به يمر بوادى النمل . وإذا بنملة تنادى علي أمتها وتتحدث إليهم بحديث لايفهمه إلا من علمه الله تعالى ذلك : قالت نملة «**ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون. فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علي وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين**» (١٨ ، ١٩ النمل).

عرف سليمان منطق النملة لأنه علم منطق الطير وعرف هدفها من هذا التحذير لأمتها فتوجه فوراً إلى الله تعالى بالدعاء والرجاء أن يوفقه إلى حمده وشكره وتقدير نعمه. كذلك ينجى الله الصادقين والصالحين الشاكرين من عذابه الأليم لقوله تعالى : «**كذلك نجزى من شكر**». من أجل ذلك كان التذكير الكثير بالنعمة بالمنعم وبوجوب الشكر والذكر. حيث يبين القرآن حال الكافرين والمنكرين والجاحدين ومن هؤلاء بنو إسرائيل يقول الله تعالى : «**يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين**» (البقرة ٤٧).

فكان منهم الكفر والعناد والكذب والبهتان فأنزل الله عليهم غضبه وعذابه ولعنهم وطردهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت. وضرب لهم مثلا بالكلب تارة وبالحمار تارة أخرى.

أما المؤمنون الصادقون فإنه يذكرهم بالنعمة فيذكرونها ويقومون بواجب الشكر لها وذلك قوله تعالى : «**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**» (١٠٣ آل عمران)

يقول أهل العلم : نزلت فى شأن الأوس والخزرج وكيف هموا بالاقتتال وتواعدوا على ذلك فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم فأتاهم فجعل يسكتهم ويقول أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم وتلا الآيات . فندموا على ماكان منهم واصطلحوا وتعاونوا وألقوا السلاح (١).

وهكذا يكون ذكر النعمة وهكذا يكون العمل بها والشكر للمنعم بها وهكذا تكون مكارم أخلاق أهل الإسلام لقوله تعالى :« **واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون**» (١١٤ النحل).

أما الذين يكفرون بالنعمة ولايعرفون للمنعم حقه فيها. فيضرب الله للناس أمثالهم ويبين أحوالهم وأعمالهم ليكونوا عبرة وعظة لغيرهم.

وذلك قوله تعالى : «**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**» (١١٢النحل) وقوله تعالى :«**ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار**» (٢٨ إبراهيم).

(١) تفسير ابن كثير المختصر ٣٠٦/١

علامات إرشاد فى تربية الأبناء

اللواء/ محمد جمال الدين محفوظ

إذا صح الأساس صلح البناء

● اتفق العلماء على أنه يمكن تقسيم حياة الفرد إلى المراحل الآتية:

من يوم الولادة إلى سن سنتين	...	مرحلة المهد
من سن سنتين إلى سن ٦ سنوات	...	مرحلة الطفولة المبكرة
من سن ٦ سنوات إلى سن ١٢ سنة	...	مرحلة الطفولة المتأخرة
من سن ١٢ سنة إلى سن ١٥ سنة	...	مرحلة بداية المراهقة
من سن ١٥ سنة إلى سن ١٨ سنة	...	مرحلة وسط المراهقة
من سن ١٨ سنة إلى سن ٢٢ سنة	...	مرحلة المراهقة المتأخرة
من سن ٢٢ سنة إلى سن ٣٠ سنة	...	مرحلة النضج والشباب
من سن ٣٠ سنة إلى سن ٦٠ سنة	...	مرحلة وسط العمر أو الرجولة
من سن ٦٠ سنة فما فوق	...	مرحلة الشيخوخة

● يتضح من ذلك أن مرحلتى الطفولة والمراهقة هما أخطر مراحل العمر فى مجال «تكوين الشخصية وبناء الإنسان»، فإذا اجتاز النشء تلك المرحلة بسلام، فسوف يمضى فى حياته صحيح النفس، سَوِىَّ الشخصية، أما إذا لم يخرج منها سليما؛ فإن ذلك يؤذن بأوخم العواقب على تكوينه النفسى وسلوكه الاجتماعى فى المستقبل.

● وإذا دخل الفرد مرحلة الشباب دون أن تتم «تربيته» خلال هاتين المرحلتين فقد «فات الأوان»، ويصبح المطلوب حينئذ هو «العلاج» وليس التربية، وصدق قول الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الخشب
رب بنيك على الأخلاق فى صغر
فليس ينفع بعد الكبر الأدب

● ويتضح أيضا أن «البيت والمدرسة» شركاء فى مسئولية «تربية النشء» خلال هاتين المرحلتين، وذلك ما أبرزته دراسة حديثة صدرت للمراكز القومية المتخصصة حول: «تربية المواطن السوى ومواجهة الانحراف والتطرف» جاء فيها ما يلى:

(١) إذا لم تتوافر للفرد «مقومات التنشئة السوية»، فإنه يتعذر عليه تحقيق التكامل فى

شخصيته، فتتقاذفه الاتجاهات المتضاربة، ويستعصى عليه الاختيار السليم».

(٢) هناك عوامل تتعلق بالأسرة وأجهزة المجتمع من أهمها: تضاؤل دور الأسرة فى تنشئة الأبناء بسبب انشغال الأب فى تدبير مستلزمات الحياة سواء بالسعى وراء أعمال إضافية أو العمل خارج البلاد، وفى الوقت نفسه خروج الأمهات للعمل..

(٣) انكماش دور المدرسة فى التنشئة بسبب التوسع الهائل فى التعليم بدون توفير الإمكانات الكافية.

● وقد قدم الدكتور سيد صبحى رئيس قسم الصحة النفسية ومدير العيادة النفسية بكلية التربية جامعة عين شمس بحثا عن: «المراهقة بين المسئولية والرعاية» يوضح إلى أى مدى ترتبط المراهقة بالعنف وما مدى إسهام الأسرة فى ذلك، وإلى أى حد يمثل عقوق الوالدين خطراً داهما يعترض دعائم النمو السليم لتلك المرحلة المهمة من عمر الإنسان، كما يؤكد ضرورة الاهتمام بفترة المراهقة التى تعد بحق مرحلة التطبيع الاجتماعى حيث يتم فيها التعلّم وغرس القيم والمعايير الاجتماعية من الأشخاص المؤيدين فى حياة الأبناء مثل الوالدين والمعلمين وجماعة الأصدقاء والإطار الثقافى الذى يعيش فيه المراهق.

المناخ الدينى فى البيت

● إن الأسرة هى الموقع الأول لبناء الإنسان، من أجل ذلك فإن منهج الإسلام فى التربية السلوكية يبدأ مبكرا جدا، إذ يعود إلى «بناء الأسرة» أصلا باعتبارها الأساس الذى لا يصلح البناء بدونه، فأحاطها بضمانات قوية منذ نشأتها حتى يضمن إيجاد الأسرة الإسلامية القوية المتحابة المتضامنة السعيدة، ويضمن بالتالى بناء الإنسان صحيح الجسم والعقل والنفس، ويضمن بالتالى بناء المجتمع القوى السعيد، والله تعالى يقول: «**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا.**» (الأعراف ٥٨).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.**» (رواه البخارى ومسلم).

● ومن هنا يجئ الاهتمام بالروح الدينى الذى يجب أن يسود البيت ممثلا فى صلاح الوالدين والكبار من الأسرة، وقيامهم بفرائض الدين، وبعدهم عن المنكرات والآثام، والتزامهم حدود الفضيلة والأدب، وتوفيرهم الطمأنينة والرعاية والحنان للصغار، وتعهدهم بالتعليم وتلقينهم مبادئ الدين فى القالب المناسب لنموهم، وغرس بذور الاعتقاد والإيمان فى نفوسهم.

وأذكر أنه وُلدت لصديق لى طفلة سماها: «آمنة»، وذهبت لزيارته يوما، فمرت بنا المربية الصغيرة تحمل الطفلة، وكانت فى شهورها الأولى، وما كادت الطفلة تلمح أباها حتى مالت بجسمها نحوه فحملها.. وهنا رأيت صورة نادرة تسحر الألباب، فلقد أخذ صديقى يهدهد طفلته بذكر «لا إله إلا الله»، والطفلة تهتز طربا ونشوة، ثم حملتها المربيةإلى داخل البيت، وعدنا نحن إلى حديثنا، وفى لحظة من لحظات السكون ترامى إلى سمعى صوت المربية وهى تردد على مسامع الطفلة «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله» إلى آخر الذكر الذى نردده فى العيدين. إنها حقا صورة رائعة للبيت المسلم الذى يسوده المناخ الدينى الصالح لتنشئة الطفل منذ ولادته، فقد «أحسن الأب» اسم طفلته فى عصر غابت عنا فيه مثل تلك الأسماء، كما استخدم فى هدهدة طفلته ذكر الله الذى تطمئن به القلوب ولم يجنح إلى ما شاع بيننا مما لا معنى له ولا أثر فى مجال التنشئة القويمة.

إن من الثابت عمليا أن الطفل الذى ينشأ فى بيت كهذا البيت يبدأ حياته محصنا من كثير من الأمراض السلوكية والفكرية، ويتميز فى « مرحلة المراهقة والشباب» بمجاهدة النفس وعدم الاستسلام لشهواتها ونوازعها الضارة، وعلى هذا المعنى اتفقت الدراسات الإسلامية والتربوية والأخلاقية، وممن نبه لهذا من

علماء المسلمين وجعله ركنا فى بناء منهجه التربوى الإمام الغزالى رحمه الله فى مختلف كتبه وبخاصة «إحياء علوم الدين»، إذ عقد بابا لرياضة الصبيان فى أول نشوئهم قرر فيه:

«إن الصبى أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، وهو قابل لكل ما يُنقش، ومائل إلى كل ما يحال به إليه، فإن عوده الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة.. وإذا بلغ سن التمييز فينبغى ألا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان. فإذا وقع نشوؤه كذلك فى الصبا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجحا، يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر، وإن وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبى اللعب والفحش وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبو الحائط عن التراب اليابس».

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول» (رواه أحمد ومسلم) وتضييعه يكون بالإهمال فى تربيته تربية دينية أو بعدم الإنفاق عليه. ومدح الله إسماعيل عليه السلام بأنه كما يقول: «**وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا.**» (مريم آية ٥٥).

كما مدح من قال: «**رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين**» (الأحقاف آية ١٥) فقال تعالى: «**أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون**» (الأحقاف آية ١٦).

غرس العقيدة السليمة

والحق أن الإسلام يوجه إلى غرس العقيدة السليمة من لحظة ميلاد الطفل، عن أبى رافع رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أَذَّن فى أذن الحسن بن على رضى الله عنهما حين ولدته فاطمة رضى الله عنها بالصلاة (أى أذانا كأذان الصلاة)» (رواه الترمذى - والأذان يكون فى الأذن اليمنى، وإقامة الصلاة فى الأذن اليسرى.)

والحكمة من الأذان فى أذن المولود مع أنه لا يدرك ما يسمع، أن يكون «أول» ما يطرق سمع المولود: تكبير الله وشهادة الإسلام، كما أن للأذان أثرا أقوى وأكبر قصدا فى نفس الوالدين، فإنهما إذا أحسا أن هذا الأذان من سنن الإسلام، علما أن تقويم الوليد بالمبادئ القويمة وتعليمه الصلاة عندما يدرك، أمر لازم تتحقق به سعادة المولود والوالدين فى الدنيا والآخرة.

وقد ضرب القرآن مثلا لغرس العقيدة السليمة فى وصية لقمان ، قال تعالى: «**وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم.**» (لقمان آية ١٣).

«**يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير.**» (لقمان آية ١٧ - ١٩).

التدريب على العبادة

وإذا كانت الصلاة - وهى عماد الدين - لا تلزم الصغير لعدم تكليفه فإن الإسلام يوجب على الأب أن يدربه عليها ويأمره بها، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع**» (رواه أحمد وأبو داوود والحاكم).. وقد طلب إلى المسلمين أن يأمروا أولادهم بالصلاة وهم بنو

سبع ليسكنوا إليها ويألفوها ويتطبعوا بها، حتى إذا تأصلت فيهم العبادة، انطبعت شخصيتهم بها، فأصبح المحور الذى تدور حوله الشخصية، ومنه تستمد حياتها وكيانها هو المحور الدينى، هذا بالإضافة إلى أن تعليم الصبيان الوضوء والصلاة وتأديتها فى وقتها يلقنهم - فى الوقت نفسه - الطاعة والنظام والعفة والطهارة..

كذلك يجب تعويد الغلمان على الصيام حتى يعتادوا الصبر على العبادة وتكاليف الحياة، عن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينة: «من أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه»، (رواه الشيخان)، فكنا بعد ذلك نصومه ونُصَوِّمُه صبياننا الصغار منهم ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم من الطعام (أى من أجل الطعام) أعطيناه إياه حتى يكون عند الإفطار (رواه الشيخان).

التنبيه إلى الحلال والحرام

كذلك ينبغى تفهيم الصغار حدود الحلال والحرام، عن عبد الله بن زيد رضى الله عنه قال: كنا عند عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، فجاء ابن له عليه قميص من حرير قال: من كساك؟ قال: أمى، فشقّه وقال: قل لأمك تكسوك غير هذا. (أخرجه الطبرانى).

فيحرم على والد الصغير ذكرا كان أو أنثى «تمكينه مما لا يحل للكبير»، عن زيد بن أرقم ووائلة بن الأسفع رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «الذهب والحرير حل لإناث أمتى وحرام على ذكورها.» (أخرجه الطبرانى وأبو داود والنسائى).

وهكذا يحرص الإسلام على أن يشب الصغار بعيدا عن تيارات الميوعة والتخنث وحياة الترف، ليصيروا رجالا يمكن الاعتماد عليهم.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة جمادى الأولى ١٤١٨ هـ

السؤال: ومن هنا حرم الإسلام أن يكون المال وسيلة لاستغلال الضعيف، وصاحب الحاجة، فحرم الربا تحريما قاطعا.

عنوان المقال: .... اسم الكاتب ....

العنوان: ....

العمل: ....

اسم المتسابق: .... رقم التليفون ....

رقم البطاقة: .... شخصية/عائلية .... جهة الصدور: ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة.

الأقليات الإسلامية

- واجب المسلمين نحو تحرير القدس
- المسلمون فى الصين

واجب المسلمين نحو تحرير القدس

أ. د/ محمد إبراهيم الجيوشى

إن واجب المسلمين نحو القدس واجب قديم، استند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ورحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى صاحب الرسالة الخاتمة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كل ذلك ألقى تبعات على عاتق المسلمين نحو القدس، وهكذا برزت مسئولية المسلمين نحو القدس منذ بدء الرسالة حينما وقعت رحلة الإسراء والمعراج من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى، وتسجيل القرآن الكريم لهذه الرحلة المباركة تسجيلا ربط مشاعر المسلمين بهذه الأرض التى بارك الله من حولها، وجعلهم يستشعرون منذ اللحظة الأولى واجبهم نحو بيت المقدس حينما نزل قول الله تعالى: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير». «سورة الإسراء الآية ١».

ولئن كانت الآية الكريمة نزلت لتسجيل حدث هام ذى دلالة فى حياة الدعوة الإسلامية، ويعتبر فى ذات الوقت معلما من معالم الدعوة التى كانت لاتزال ناشئة فيه فى سنواتها الأولى، وكانت تواجه باصرار شديد من الإنكار والجحود وتحد سافر من أهل مكة لصاحب الدعوة ومن تبعه من القلة المؤمنة فى ذلك الوقت المبكر، فإنها كانت أيضاً هادياً وموجهاً للأجيال المسلمة التى جاءت فيما بعد لتنبههم إلى التزامهم الدينى بحماية هذه البقعة والتضحية فى سبيلها، والسعى الدؤوب فى الحفاظ عليها ورد العدوان عنها، وتخليصها ممن استباحوا قدسيتها وعاثوا فساداً فى جوانبها

ولعل نص القرآن الكريم على أن هذه الرحلة المباركة بدأت من المسجد الحرام وانتهت إلى المسجد الأقصى، لعل ذلك النص يشير إلى أن واجب المسلمين نحو بيت المقدس بالقدس يلى فى الأهمية واجبهم نحو المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وقد جاءت السنة المطهرة تؤكد هذا المعنى وتثبته فى قلوب المسلمين وفى عقولهم حتى يظل حياً متجدداً على مدى التاريخ فإن غفلوا أو وهنوا فى فترة من الفترات فلا يلبثون أن يعودوا إلى مايجب عليهم القيام به ومايدعوهم إليه دينهم من حماية المقدسات والتضحية فى سبيلها والسهر على رعايتها حتى تظل معلماً من معالم الحق والعدل والسلام.

وفى تأكيد هذا المعنى جعل الله بيت المقدس القبلة الأولى للمسلمين يتوجهون إليها فى صلاتهم منذ بدء الرسالة حتى بعد الهجرة بأكثر من ستة عشر شهراً، ليكون ذلك أيضاً باعثاً يؤكد الباعث الأول ويقويه، ويمده بالحيوية والتجدد كلما قرأ المسلمون كتاب ربهم ووقفوا على سنة نبيهم ودرسوا سيرته، فهم يعلمون من السيرة ومن السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتجه بصلاته إلى بيت المقدس وهو بمكة وكان من السهل عليه أن يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس وهو بمكة، وهكذا كان يفعل لأن مكة فى الجنوب والقدس فى الشمال، فلما هاجر إلى المدينة المنورة بعد ثلاثة عشر عاماً من الرسالة والمدينة تقع فى وسط

الطريق بين مكة والقدس فهى إلى الشمال من مكة وإلى الجنوب من القدس فلم يكن من الممكن أن يتجه إلى الأثنين معا، فكانت صلاته إلى بيت المقدس طوال أكثر من ستة عشر شهراً لأنه لم يؤمر بالاتجاه إلى مكة وإن كان يتطلع إلى ذلك، ولكنه لايفعل ذلك من تلقاء نفسه ولابد من أمر إلهى يتنزل عليه حتى كان ذلك فى منتصف شعبان من السنة الثانية من الهجرة، حينما نزل قول الله تعالى من سورة البقرة: **«سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلاّ لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلاّ على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم، قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم، وما الله بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم ومابعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين، ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ماتكونوا يات بكم الله جميعا إن الله على كل شىء قدير، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام، وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون».**

«البقرة الآيات من ١٤٢ - ١٥٠».

ولسنا بصدد ماتشير إليه الآيات الكريمات من مواقف السفهاء من اليهود والمشركين ومحاولتهم التشنيع والتشويش على النبى ورسالته وعلى المسلمين وعقيدتهم فإن ذلك أمر تكفل به المفسرون إلى جانب القضايا الأخرى التى تناولتها الآيات ولكن الذى يعنينا فى بحثنا هنا من استشهادنا بالآيات أن المسجد الأقصى بالقدس كان قبلة المسلمين الأولى بضع عشرة سنة، ولذلك كان المسجد الأقصى ثالث المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال فى الإسلام بمقتضى حديث رسول الله صلى الله عليه سلم الذى يقول: **«لاتشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى» (١).**

قدسية المسجد الأقصى وحرمته

ومعنى شد الرحال إليه أن التعبد فيه متميز عن التعبد فى غيره من المساجد العادية فالصلاة فيه كما جاء فى السنة النبوية تعدل خمسمائة صلاة فى غيره من المساجد إلاّ المسجد الحرام والمسجد النبوى، من كل هذه النصوص اكتسب المسجد الأقصى حرمة وقدسية فى نفوس المسلمين تفرض عليهم حمايته وبذل النفس والنفيس فى سبيل تحريره ممن دنسوا حرمته وتحكموا فى مصيره.

وقد استمرت هذه القدسية للمسجد الأقصى حية فى قلوب المسلمين على مدى التاريخ منذ الفتح الإسلامى للقدس فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى صلاح الدين ومن جاء بعده من حكام المسلمين.

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٢٠٦.

وفى الظروف التى تم فيها الفتح والشروط التى اتفق عليها مجال للوقوف والنظر والاستنتاج، فقد ذكرت كتب التاريخ أن عمرو بن العاص قد عرف مما وصل إليه من أخبار الروم والنصارى المقيمين بالقدس أن عندهم معرفة توارثوها عن سابقيهم بصفة الرجل الذى تفتح القدس على يديه وأن هذه الأوصاف التى يتحدثون عنها لاتنطبق على عمرو وإنما تنطبق على عمر بن الخطاب فبعث إليه، وتذهب هذه الروايات أن عمرا لما طال به المقام بعث إلى القائد الرومانى بكتاب مع رجل يتكلم الرومية وأوصاه أن يتنبه لكل مايقوله أرطبون القائد الرومانى وينقله إليه بعد أن يعود وكان فى كتاب عمرو الذى بعث به رداً على كتاب أرطبون قوله «جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتى، قد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد، وأستعدى عليك فلانا وفلانا وفلانا - أعوان ووزراء... لأرطبون - فأقرئهم كتابى ولينظروا فيما بينى وبينك».

فلما قرأ أرطبون الكتاب ضحك وضحك من معه وقال كلاما فهموا منه أنه يعلم أن الفتح لن يتم على يد عمرو، فعجبوا من ذلك وأقبلوا عليه يسألونه قائلين: من أين علمت أنه ليس بصاحبها؟

فأجاب: صاحبها رجل اسمه عمر ثلاثة أحرف، فعاد الرسول إلى عمرو وقص عليه مادار فى مجلس أرطبون فعرف أن الفتح لن يتم إلا على يد عمر رضى الله عنه فكتب إلى أمير المؤمنين يقول: انى أعالج حربا كئوداً صدوماً وبلاداً ادخرت لك، فرأيك.

ولما تلقى عمر كتاب عمرو أدرك أن عمرا لم يقل ما قال من عند نفسه، ولابد أن هناك مايدعوه إلى قول هذه المقالة، فخرج إلى بيت المقدس وكانوا يسمونها إيلياء، وانتهى الأمر بعقد صلح اشترط فيه النصارى أن لايسكن معهم إيلياء (القدس) أحد من اليهود.

احترام الإسلام لعقيدة غيره

ولنا وقفة مع هذا الشرط بعد أن نأتى بنص عقد الصلح لنقف على مافيه من تسامح واحترام لعقائد المخالفين لاتجدها إلا فى الإسلام، تلك السنة التى تميز بها المسلمون على مر العصور، وفيما يلى نص ميثاق الصلح الذى يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ماأعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ولامن حيزها، ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم، ولايكرهون على دينهم، لايضار أحد منهم، ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطلوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل «فلان» فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ماعلى أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لايؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم.

وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة (٢).

وفى قراءة متأنية لهذا العهد نجد بوضوح أن عمر

---

(٢) راجع تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٦٠٩.

رضى الله عنه قد أعطى للنصارى ما أعطاه الإسلام من حرية العقيدة والعبادة واحترام أماكنها والمحافظة عليها وحرمة الأنفس والأموال، وهذا أمر يتبعه الإسلام مع كل المخالفين، ويضاف هنا شرط خاص بأهل القدس هو أنهم اشترطوا أن لايسكن معهم فى مدينتهم أحد من اليهود هذا الشرط وضعه النصارى والتزم به عمر وكان مقتضى هذا الشرط أن يلتزم به المسلمون على مدى التاريخ وقد ظل حكام المسلمين محافظين على هذا الشرط فلما تهاونوا فيه كانت النتيجة مانرى الآن ومايعانيه أهل القدس وسكان فلسطين بأسرها مما تعلم الدنيا جميعها مايجرى هناك من بطش واضطهاد وتعذيب وقتل ومصادرة ونفى.

كيف تعاد القدس؟

واعادة القدس إلى سلطان المسلمين مسئولية كل مسلم، وقد رأوا ماحل بهم وبديارهم حينما توزعتهم الأهواء وتحكمت فيهم الرغبات الشخصية، ويوم أن تجتمع كلمتهم ويتوحد صفهم فستكون الطريق ممهدة إلى التحرير واستنقاذ القدس من الهوان والأسر اللذين تعانى منهما ويعانى منهما كذلك أهلوها وسكانها.

وقد استشعر المسلمون على مدى التاريخ مسئوليتهم نحو بيت المقدس، ولم يهدأ لهم بال كلما تعرضت لعدوان حتى يخلصوها مما تعرضت له، وقد كانت القدس وماحولها من أرض فلسطين مطمعا للفرنج وساقوا لها الجيوش باسم الصليب واستمر الصراع طوال القرن السادس الهجرى وفى فترات الصراع كانت جيوش الفرنجة قد تمكنت من الاستيلاء على المدينة المقدسة وأعملوا فى أهلها القتل حتى كانت مذبحة رهيبة لم يشهد التاريخ لها مثيلا إلاَّ على أيدى أمثالهم من المتعصبين الذين أقاموا محاكم التفتيش فى بلاد الأندلس والفرنسيين فى الجزائر التى ضحت بمليون شهيد، ولو استعرضنا ما أقدم عليه من جاء بعدهم فى بلاد الإسلام لاقشعرت الأبدان من هول ماوقع وامتلأت القلوب بالحقد والضغينة من بشاعة ماحدث فى ليبيا على أيدى الايطاليين وفى المغرب على أيدى الفرنسيين وفى الهند على أيدى الانجليز وأخيراً تلك الملحمة التى تتابع حلقتها على أرض فلسطين منذ أربعين عاماً يسجل أبناؤها بطولات وتضحيات لاتتوقف أمام الصلف الصهيونى وغطرسته واستعماله كل وسائل الإبادة والإهلاك ضد هؤلاء الصامدين من أبناء الأرض المقدسة.

وقد أقدم الصهاينة على أبشع ماعرفت البشرية من الوحشية لتخمد تلك الجذوة التى لاتهدأ من هنا الا لتنطلق من هناك وستستمر حتى يحقق الله لها النصر يوم أن ينبذ المسلمون خلافاتهم وتتوحد كلمتهم ولهم فى التاريخ عبرة ودرس وعظة، فإن الصليبيين قد امتد الصراع معهم على أرض فلسطين على مدى قرنين من الزمان تمكنوا من إقامة ممالك لهم ودولا هناك منتهزين تفرق المسلمين وتنازع بعضهم مع بعض حتى هيأ الله لأمة الإسلام صلاح الدين فوحد الجهود وجمع الكلمة واستعان بالله وتمثل عظمة الإسلام فى سلوكه وأخلاقه ومبادئه حتى حقق الله له النصر وفتح على يديه القدس واستنقذها من أيدى الصليبيين عام ٥٨٣ هجرية، وارتفع الأذان مدويا بعد أن تعطل **ووقف القاضى محيى الدين بن الزكى خطيباً يوم الجمعة التى اعقبت تحرير القدس فقال:**

«فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» ثم تابع يقول: الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بامره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذى قدر الأيام دولا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وافاض على العباد من طله وهطله، الذى اظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلايمانع والظاهر على خليقته فلاينازع، والآمر بما يشاء فلايراجع، والحاكم بمايريد فلايدافع احمده على اظفاره واظهاره، واعزازه لأوليائه ونصرة انصاره، ومطهر

بيته المقدس من ادناس الشرك واوضاره، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره.

وأشهد أن لا اله إلاَّ الله وحده لاشريك له الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك، ورافض الإفك، الذى أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، مازاغ البصر وماطغى صلى الله عليه وسلم وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب مزلزل الشرك ومكسر الأصنام، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان. أيها الناس أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها فى أيدى المشركين قريبا من مائة عام وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه واماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستعمر فيها رسمه ورفع قواعده بالتوحيد فإنه بنى عليه وبالتقوى فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام وقبلتكم التى كنتم تصلون إليها فى ابتداء الإسلام وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ومقر الرسل ومهبط الوحى ومنزل تنزل الأمر والنهى وهو فى أرض المحشر وصعيد المنشر وهو فى الأرض المقدسة التى ذكرها الله فى كتابه المبين وهو المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين وهو البلد الذى بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذى شرفه الله برسالته وكرمه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى: **«لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله»** وقال: **«لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم»** وهو أول القبلتين وثانى المسجدين وثالث الحرمين لاتشد الرحال بعد المسجدين إلاَّ إليه ولاتعتقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ولولا إنكم ممن أختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لايجاريكم فيها مجار ولايباريكم فى شرفها مبار فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوح العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية جددتم للإسلام أيام القادسية والوقعات اليرموكية والمنازلات الخيرية والهجمات الخالدية فجازاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء وشكراً لكم مابذلتموه من مهجكم فى مقارعة الأعداء وتقبل منكم ماتقربتم به إليه من مهراق الدماء وأثابكم الجنة فهى دار السعداء فأقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله تعالى بواجب شكرها فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة فهذا هو الفتح الذى فتحت له أبواب السماء وتبلجت بانواره وجوه الظلماء وابتهج به الملائكة المقربون وقربه عينا الأنبياء والمرسلون فإذا عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذى يفتح عليه البيت المقدس فى آخر الزمان والجند الذى تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان فيوشك أن تكون التهانى به بين أهل الخضراء أكثر من التهانى به بين أهل الغبراء أليس هو البيت الذى ذكره الله فى كتابه ونص عليه فى خطابه فقال تعالى: **«سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله»** الآية أليس هو البيت الذى عظمته الملوك وأثنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من إلهكم عز وجل أليس هو البيت الذى أمسك الله عز وجل الشمس

على يوشع لاجله أن تغرب وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب، أليس هو البيت الذى أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلاّ رجلان وغضب عليهم لأجله فألقاهم فى التيه عقوبة للعصيان فاحمدوا الله الذى أمضى عزائمكم لماقعد عنه بنو إسرائيل وقد فضلهم على العالمين ووفقكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى فليهنكم ان الله قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعد ان كنتم جنودا لاهويتكم جنده وشكركم الملائكة المنزلون على ماأهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث فالآن يستغفر لكم أملاك السموات وتصلى عليكم الصلوات المباركات فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التى من تمسك بها سلم ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم واحذروا من اتباع الهوى وموافقة الردى ورجوع القهقرى والنكول عن العدا وخذوا فى انتهاز الفرصة وازالة مابقى من الغصة وجاهدوا فى الله حق جهاده وبيعوا عباد الله أنفسكم فى رضاه اذ جعلكم من خير عباده وايا ان يستزلكم الشيطان وان يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد وبخيولكم الجياد وبجلادكم فى مواطن الجلاد لا والله ما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم واحذروا عباد الله بعد ان شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخصكم بهذا الفتح المبين وأعلق أيديكم بحبله المتين أن تقترفوا كبيرا من مناهيه وان تأتوا عظيما من معاصيه فتكونوا كالتى نقضت غزلهامن بعد قوة أنكاثا والذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم انصروا الله ينصركم اذكروا أيام الله يذكركم اشكروا الله يزدكم ويشكركم جدوا فى حسم الداء وقطع شأفة الأعداء وتطهير بقية الأرض التى أغضبت الله ورسوله واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية والملة المحمدية الله أكبر فتح الله ونصر غلب الله وقهر أذل الله من كفروا واعلموا رحكمم الله إن هذه فرصة فانتهزوها وفريسة فناجزوها ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها وسيروا إليها عزماتكم وجهزوها فالأمور باواخرها والمكاسب بذخائرها فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول وهم مثلكم أو يزيدون فكيف وقد أضحى فى قبالة الواحد منهم منكم عشرون وقد قال الله تعالى: **«إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين»** أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره والازدجار بزواجره وأيدنا معشر المسلمين بنصر من عنده إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده.

وإننا لنرقب فى أيامنا هذه من بعيد سيرة صلاح الدين ويقود المسلمين على كلمة الله تحت راية الإسلام لينقذ القدس مما تعانيه ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، يوم يعود الحق إلى أصحابه ويسود السلام أرض السلام، ويقف الخطيب على منبر الأقصى يعيد إلى الأذهان ماقاله القاضى محيى الدين بن الزكى، وما ذلك على الله بعزيز ولكن لله سننا فى الكون لاتتغير، لأن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

مسلمون فى كل مكان

فى الصين ٢٨ مليون مسلم

* ٣٤ ألف مسجد تنتشر فى أقاليم الصين
* ٦ آلاف حاج صينى لبيت الله الحرام هذا العام
* وزير ونائب لرئيس الوزراء ونائب لرئيس مجلس النواب .. مسلمون
* المستوى الاقتصادى والتعليمى للمسلمين الصينيين متواضع
* مسلمو شنغهاى متفوقون تعليميا

لقمان ما شاى يى

حوار

بدرالدين السيد

تعداد مسلمى الصين، قضية لاتكاد تثبت على رقم محدد .. فتارة يقال : إنهم جاوزوا حد الخمسين مليونا، وأخرى يزعم أنهم أكثر من مائة مليون مسلم. وثالثة توضع أمامهم علامة استفهام هائلة تؤكد على أن تعدادهم مازال مجهولاً.

ولعل من أبرز أسباب الجهل بعدد مسلمى الصين، ذلك السياج الثقيل من الغموض الذى لفلفت به حكومات الصين المتعاقبة. شئونها الداخلية، وعلى الأخص ما يتصل بإحصاءات السكان المعدة على أسس عقيدية، فى الوقت الذى لم تكن تمانع من إبراز الإحصاءات المعدة على أسس عرقية، على الأخص فى سنوات ما بعد الثورة الثقافية، حيث ظهر بقوة الاتجاه إلى إبراز السمات الثقافية والفولكلورية للأقليات القومية المختلفة فى أرجاء الصين المترامية بعيداً عن الجانب العقائدى وتداعياته التى تعرضت لمجابهة شرسة من قبل السلطات الصينية من قبل.

كما يساعد على غموض أخبار مسلمى الصين. أنهم ليسوا جالية وافدة وإنما أكثرهم من صلب الشعب الصينى. يعيشون بأعدادهم المحدودة بين كثافات ملايينه التى جاوزت مؤخراً المليار نسمة.

ولذلك ظل التساؤل عن أعدادهم، وأحوالهم معلقا وظلت الإجابات حوله مجرد تكهنات.

فى المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية والذى عقد مؤخراً بالقاهرة. التقينا بالسيد : لقمان ماشان يى.

نائب الأمين العام للجمعية الإسلامية الصينية. وهو أحد أبناء قومية «خُوِى» المسلمة، والتى يُذكر أن جذورها تمتد للعرب الأوائل الذين وفدوا للصين

أعضاء وفد
الحج الصينى
مع الحجاج
فى عرفات

لأسباب مختلفة. فبعضهم جاء هذه البلاد تاجراً وآخرون جاءوا إلى بلاط أباطرة الصين فى ذلك الوقت المبكر وفى الحالتين كان من يقدم لهذه الأصقاع، داعية للدين الحنيف، إن لم يكن بقوله فبسلوكه وقيمه وأسلوب حياته.

وعلى الرغم من أنه لاتوجد براهين تأريخية حاسمة فى هذا الصدد. تشير إلى أن هذه الجماعة أو تلك من الجماعات العرقية فى بلاد الصين. تنتمى للمسلمين الأوائل.. إلا أن أحداً لاينكر أن التجار والبحارة المسلمين منذ زمان بعيد، قد جابوا أرجاء شرق آسيا حاملين معهم خير الدين والدنيا.

كان أول ما طرحناه على السيد لقمان ماشان يى تساؤلنا عن عدد مسلمى الصين الآن؟.

فقال:

عدد مسلمى الصين بلغ فى السنوات الأخيرة حوالى عشرين مليون نسمة، وذلك فيما عدا سكان إقليم سيكيانج والذين يتراوح تعدادهم ما بين ثمانية إلى عشرة ملايين نسمة، والمسلمون الصينيون ينتمون لعشر قوميات عرقية من أبرزها قوميات: خُوِى، الإيغور، الأوزبك، الطاجيك، التتار، القرغيز،

● وهم ينتشرون أكثر فى الشمال الغربى للصين.

- وما هو نشاطهم العملى وأحوالهم الاقتصادية؟.

أكثر مسلمى الصين يعملون فى قطاع الزراعة، وكحرفيين وفى مجال الصناعة على الأخص فى إقليم شنغهاى وغيرها، كما أن منهم من يعملون فى أنشطة تجارية صغيرة مثل أنشطة بيع لحوم البقر.. والملاحظ أنهم فى مناطق كثافتهم لاتلقى مسألة التكنولوجيا اهتماماً منهم فتتركز أعمالهم كما ذكرت فى المجالات الأخرى كالزراعة، والحرف الصغيرة، والبيع.

● هذا معناه أن مستواهم الاقتصادى متواضع جدا؟

- نعم

● وماذا عن المستوى التعليمى؟

يعتبر المسلمون فى الصين متأخرون فى المستوى التعليمى عن غيرهم من أبناء الصين، وذلك فيما عدا أبناء المسلمين فى مدينة شنغهاى إذ يلاحظ تفوقهم على من سواهم فى المستوى التعليمى.

● وما هى فرص انتشار الإسلام فى الصين؟ هل هى متاحة أم تواجه ضغوطا اجتماعية أو سياسية مضادة؟

- نعم .. نعم فخلال تلك الثورة الثقافية، لم يكن ذلك سهلا .. لعنة الله عليها.

● هل تتلقون دعماً من دول أوجهات إسلامية؟

هذا صحيح. فالمملكة العربية السعودية، وكذلك البنك الإسلامى يقدمان لنا المساعدة. ولايزالا يساعداننا كثيرا .. أيضا مصر دائماً تعطى لنا منحاً

فى الحقيقة، يحدث كثيراً أن نجد أفرادا من المواطنين الصينيين يأتون للمراكز الإسلامية ليدخلوا فى الدين الإسلامى، وفى الحقيقة أيضا أن الدعاة والأئمة فى المساجد يقومون بدورهم فى تبليغ الدعوة وتوضيح مبادئ ديننا.

● هل يعنى ذلك أنكم تمارسون شعائر الدين فى حرية؟

- نعم .. الآن نفعل ذلك

● هل فى إجابتك إشارة إلى ارتباط تلك الحرية بانتهاء عهد ما سمى بالثورة الثقافية؟

دراسية، وأحيانا ليبيا تقدم لنا معونات لتأثيث وترميم المساجد.

● هل تساهم الحكومة الصينية فى بناء المساجد الآن؟

بعض المساجد تساهم الحكومة بها. خصوصا فى حالات المساجد الكبيرة القديمة، حيث تسهم الدولة فى ترميمها وصيانتها.

● إلى أى مدى يتمسك المسلمون الصينيون بدينهم؟

يتمسك المسلمون فى الصين بدينهم كثيرا. وهم يهتمون بتأدية فريضة الحج لمن يستطيع ذلك.. وسيبلغ

لادعائهم أنهم من ذرية يعقوب - عليه السلام - ثم عاثوا فى الأرض فسادا ومارسوا ضروبا كثيرة من الوحشية، ولكنهم لم يفلحوا فى طرد سكانها الأصليين، وقد تسلل اليهود مرة أخرى إلى فلسطين فى عهد الفرس وبنوا معبدا (جوبتير) مكان هيكل سيدنا سليمان - عليه السلام - ولكن الإمبراطور الرومانى فى عهد الرومان دمر المعبد وأضاع معالمه وفر اليهود من فلسطين إلى أقطار الأرض، ومازال المسجد الأقصى بالقدس العربية الإسلامية رهين قيد ثقيل حتى الآن حيث قام رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو بفتح نفق تحت المسجد الأقصى وبناء مستوطنات إسرائيلية داخل الأراضى الفلسطينية نسأل الله - تعالى - أن يحرر بيت المقدس ويرده إلى الإسلام والعروبة.

• • •

للأسف الشديد لم يفطن المسلمون والعرب إلى محاولات اليهود وإسرائيل الخبيثة والمستمرة فى الإستيلاء على هذه المنطقة وإصرارهم الدائم على العودة إليها واستيطانها وقد كان لهم ما أرادوا رغم طردهم منها أكثر من مرة وتحطيم معبدهم من الرومان، وأعتقد أن المفاوضات الجارية والمهادنات القائمة لن تجدى نفعا الآن مع هؤلاء الشرذمة اللئيمة طالما أن هناك أيادى تساعدهم وعيونا تغمض الجفون عن فسادهم وإفسادهم ومخالفاتهم لجميع القوانين.

بين التربية والحياء

للقارىء / إبراهيم الحفناوى - القرين - الشرقية

لاشك أن نتاج الأسرة والمجتمع هى التربية والتربية السليمة والفعالة بكل مشتملاتها ومحتوياتها التى تصل الفرد بسلوكه وتؤثر على علاقاته المختلفة مع أجيال ربيع عمره، وفى السلطة العليا - فى نظره - وهى الوالدين، بما يشكل طريقة انفعالاته وقيمه واتجاهاته، ويتم ذلك فى إطار ومنظومه بيئية وأسرية سليمة تقوم على الحب والتشجيع وليس التهديد والعقاب، يقول - سبحانه : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)** فهذا ميعاد محدد للرضاعة مثلا لتقوم طفولة فتية شامخة ناضجة، أما الحال فى التربية فإنها تتصل لتشمل باقى مراحل العمر التالية وتمتد إلى الأبناء والأحفاد وهكذا، وما نراه اليوم من ذيغ وانحراف وتقاليد متخلفة، ليس وراءها إلا المفاخرة والتباهى الفارغ وشباب منحلين فى أخلاقهم وتصرفاتهم، وقد سمعت بنفسى فى إحدى الإذاعات المسمومة فى برنامج عن الخطبة للآنسات، وتسأل المذيعة عن آراء الفتيات فى المتقدمين للفتاة، فقالت إحدى المستمعات: إنها قد تقدم إليها الكثير ومنهم نوع يظل جالسا فى الدكان خافض الرأس يكاد يهوى على الأرض من خجله يتصبب منه العرق بكثرة لا يعرف أن يركب كلمتين فى حديثه، وأنها لا تفضل عريسا لها بهذه الشاكلة لأنها تحب الجرىء المندفع المرتدى لتقاليد الهيبز والجينز، وربما تكون هذه هى الحقيقة.

• • •

وماذا تنتظر من أبناء هذا الجيل بعد أن ضاعت القيم وتاهت المفاهيم، وباتت المعايير كلها مادية فى كل شىء ؟ ولعل ما نقرأه أو نسمع عنه أو نشاهده من انحلالات خلقية وجرائم فظيعة يندى لها الجبين بين الرجل وزوجته والإبن وأمه أو أخته والأب وأولاده، كل هذا يدعو للأسى والأسف والحزن وربما كان هذا يرجع إلى الفراغ والبطالة والتسيب فى التربية والنشأة.

الإسلام دين الجماعة

للقارىء / إبراهيم على إبراهيم الجندى - طالب بكلية الشريعة والقانون - بجامعة الأزهر - فرع دمنهور.

الإسلام دين جماعة وتوحد لا دين تشتت وتفرق، وهؤلاء الجماعات التى تدعى أو تزعم الإسلام والتى فى ظاهرها التمسك به والحفاظ عليه ولكنها تخفى فى باطنها نوايا أخرى، أهمها الوصول إلى كرسى الحكم والسيطرة والتحكم فى خلق الله، وليس لإصلاحهم وتوجيههم للخير والهدى وإنما لسيادتهم واستعبادهم، هؤلاء الذين يزعمون أنفسهم أنهم أخوة أو سلف صالح أو غير ذلك من المسميات التى يتخذونها ستارا لهم، كل هذا لا يؤيده الدين ولا يقره الإسلام، ولقد صدق الصادق المصدوق- صلي الله عليه وسلم - حينما قال: (افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة والنصارى اثنتا وسبعين فرقة وستفترق أمتى ثلاث وسبعين فرقة وكلهم فى النار إلا واحدة) وهؤلاء الذين يدعون أنهم يدافعون عن الإسلام وتعليمه ولم شتات المسلمين قام بعضهم بالإفطار سرا فى الأيام الأخيرة من رمضان فهل هؤلاء هن أنصار الإسلام

• • •

نحن كمسلمين لنا الظاهر والله - سبحانه - يتولى السرائر، ولا نستطيع أن نفتش قلوبهم أو نعرف ما بداخلها من خبايا ولكن نستطيع أن نحكم عليهم من خلال تصرفاتهم وأعمالهم، لأن ديننا الإسلامى الكريم دين البينة والبرهان والدليل، فإذا اجتمعت هذه العوامل وجب أخذهم بها بشدة وعدم إهمالهم أو التغاضى عنهم حتى لا يفسدوا فى الأرض.

سورة الضحى

للقارئ / يحيى السيد النجار - دمياط - شارع الحزاوى

سورة الضحى وآياتها إحدى عشرة آية، وهى تتحدث عن حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم، وفى السورة الكريمة بشارات بأن أحوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - خيرا بما عجل له من الكرامة فى الدنيا، فالله - سبحانه - أعطاه غاية ما يتمناه ويرتضيه فى الدنيا، وأن دين الإسلام خير رسالات السماء، وقد أقسم الله بالضحى، والضحى صدر النهار حين ترتفع الشمس، كما أقسم - جل جلاله - بالليل حين تشتد الظلمة حيث قال: **(والضحى والليل إذا سجى)** وكان جبريل - عليه السلام - قد أبطأ على الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال المشركون: قلاه الله وودعه فنزل قوله - تعالى: **(ما ودعك ربك وما قلى)** الضحى/ ٣، والله - عز وجل - أعطى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى الدنيا النصر علي الأعداء وكثرة الأتباع وإعلاء كلمة الله، وجعل أمته خير الأمم فقال - تعالى: **(كنتم خير أمة أخرجت للناس)** آل عمران/ ١١٠، وأعطاه الله - عز وجل - الشفاعة العامة والمقام المحمود فقال - سبحانه: **(فعسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)** الإسراء/٧٩، وارضاء للرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنسبة لأمته فقد يحصل العفو فى حق البعض منهم ويدخل البعض منهم النار، ولكن الله - عز وجل - ينجى الجميع والله أعلم، والرسول - صلى الله عليه وسلم - قد نصح الأمة وبلغ الرسالة وأدى الأمانة، يقول - تعالى: **(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** الحشر/٧، وأخبر الله - عز وجل - أن مخالفة الرسول- صلى الله عليه وسلم - كفر فقال - سبحانه -: **(قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين)** آل عمران/ ٣٢

• • •

لا يخفى علينا أن من أطاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد أطاع الله - جل جلاله، لأن الرسول- عليه الصلاة والسلام - أرسله ربه ليبلغ الرسالة ويؤدى الأمانة وينصح الأمة، فهو يتلقى تعاليمه من السماء ولازيغ فيها ولا افتراء، **(وما ينطق عن الهوى)** وقد لاقى الرسول - صلى الله عليه وسلم - كثيرا من الصعاب والمتاعب فى تبليغ الرسالة فجازاه

الله - تعالى - خير الجزاء وأكرمه كل الكرامة ولم يودعه أو يهجره كما زعم المشركون والكفار وأعد له فى الآخرة الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وخيرات أخرى كثيرة.

أوصيكم بتقوى الله

للقارئة / السيدة .. سوسن سعيد عبد القادر - شارع التورى - الورديان - الاسكندرية

أوصيكم ونفسى بتقوى الله، فالتقوى تهدى إلى طريق الحق، والله - سبحانه - دلنا عليها بقراءة القرآن، فتدبروا آياته واقرأوا قوله - تعالى - فى ندائه للمؤمنين: **(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم)** وهذا نداء الله، وهو نداء صادق يدلنا على تجارة رابحة ليس بها خسارة، وهي تجارة من الله ولن تبور كتجارتنا فى الحياة تحتمل الكسب والخسارة والبوار، ولكنها مع الله مكسب فى الدنيا والآخرة والنجاة من عذاب النار، والإيمان بالله ورسوله ليس قولا فقط؛ ولكنه قول وتصديق وعمل، والإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره، بل ونتوكل على الله مع الكد والكدح والأخذ بالأسباب وعدم التواكل، وهكذا يكون الإيمان مع التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فالله - سبحانه - هو الذى أدب رسوله وعلمه وأدبه ووصفه بأحسن الصفات حيث يقول - تعالى: **(وإنك لعلى خلق عظيم)** والرسول - صلى الله عليه وسلم - يعترف بهذا ويشيد به فيقول: (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) وهذا هو قمة الحب والعطاء من الله - سبحانه - لحبيبه ومصطفاه - صلى الله عليه وسلم، فإذا تمسكتم بهذا ستجدون دائما المعلم والمبشر والمنذر والصادق الأمين كما سماه الله - تعالى - وكما يخبرنا الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا، كتاب الله وسنتى) فهو يحب لأمته الفلاح فاتبعوه، ويدلنا العزيز القدير على الجهاد، وليس الجهاد هو أن نحارب ونموت، ولكن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ومحاربة الأهواء والشهوات، وعندما تنتصر النفس يكون النصر والفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة.

● ● ●

تقوى الله هى ركاز الخير كله وجماع الفضائل بأسرها وسنام الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة، لأن تقوى الله تنأى بالإنسان عن الأضرار والشرور وتحيد به عن المآثم والشهوات ولا تدله إلا على الخير المطلق والصفات الحيمدة والمآثر الكريمة، فينشد الخير لكل الناس كما ينشده لنفسه ويحب الصلاح والفلاح للأهل والأصدقاء والمسمين جميعا، لأن نفسه قد طبعت على الخير فارتضته مركبا يصل بصاحبها وبالناس إلى يد الطمأنينة والأمان والأمن والسلام.

زهد عمر بن عبد العزيز

للقارىء / سعد سعيد عبده تشقوش - مفتش بمساجد إدارة أوقاف شمال القاهرة

دخل على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فى داره يوما أحد خاصته المقربين وذلك بعد أن تولى الخلافة فوجده بركن منها تغطيه الشمس وقد لف جسده كله فى إزار فحسبه الزائر مريضا فسأله ما باله؟ فقال أمير المؤمنين: (لا شىء غير أنى أنتظر ثيابى حتى تجف، قال زائره: وما ثيابك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: قميص ورداء وأزار، قال: ألا تتخذ قميصا آخر ورداء وإزارا؟ قال أمير المؤمنين: كان لى ثم بليت، قال الزائر: ألا تتخذ سواها؟ فأجهش أمير المؤمنين بالبكاء مسندا جبهته على راحتيه وأخذ يردد (قول الله - تعالى: **(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين)** وقد دخلت عليه عمته (أم عمرو) بنت مروان بعد أن تولى الخلافة فوجدته يتناول طعام عشائه وهو عبارة عن خبز جاف وطبق عدس وملح فقالت مستعجبة:

أهذا هو عمر الذى كان يخوض فى النعيم خوضا الآن وهو أمير المؤمنين يصير هذا طعامه؟ ثم أجهشت بالبكاء، وقالت: لقد جئتك فى حاجة لى ولكنى لم أكد أراك حتى رأيت أن أبدأ بك قبل نفسى، ثم قالت: لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا؟ قال عمر: (لا أملك غيره ياعمة ولو كان عندى لفعلت) قالت: إن عمك عبد الملك كان يجرى من العطاء ما تعلم ثم كان أخوك الوليد فزادنى ثم كان سليمان فزادنى ثم وليت أنت فقطعته عنى فأجابها: (يا عمه: إن عمى عبد الملك وأخى الوليد وأخى سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين وليس ذلك المال فاعطيه لك ولكنى أعطيك مالى إن شئت، قالت: وما مالك يا أمير المؤمنين؟ قال: عطائى مائتا دينار فى العام، قالت وما يبلغ عطاؤك هذا ثم انصرفت يائسة بائسة)؟ ولقد كانت زوجته فاطمة بنت عبد الملك تحس بألم الجوع وترتعد أوصالها من الصقيع وهى زوجة الخليفة الذى يملك الأرض ويزهد فيها، فلا تملك إلا أن تصبر وتقول: يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين والله ما رأينا سرورا منذ دخلت علينا.

● ● ●

زهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فى كل شىء من أمور الدنيا بعد أن وصلت إليه الخلافة مع أنه كان يتمتع بالقسامة والوسامة وخفة الروح والمرح ويرغب فى الملبس الرقيق الأنيق والعطور الثمينة والطعام الفاخر قبل أن يتولى أمر المسلمين فألقى بهذا كله وراء ظهره وترك الذاتية وتفرغ للباقية فى الدار الآخرة فالتزم بالزهد والعدل وإحقاق الحق ورد المظالم فكان عهده من أزهى عصور بنى أمية ولهذا لقب بخامس الخلفاء الراشدين.

الجديد فى عالم التجميل

للقارىء / السعيد فريد الشال - بنى بكار - مطوبس - كفر الشيخ

لكى تكونى أكثر جمالا وجاذبية يا أختاه، أنصحك بالآتى: اجعلى غض البصر كحلا لعينيك تزداد صفاء وبريقا وضعى إكسير الصدق على شفتيك تصبحان أكثر جمالا، وأما أحمر الشفاه فاستعمليه من خليط الحياء الذى يباع فى مركز الإيمان، واستخدمى صابون الإستغفار لإزالة أى ذنوب أو خطايا، أما شعرك فاحميه من التقصف بالحجاب الإسلامى الذى يحفظه من النظرات المسمومة، وأنصحك أن تضعى فى أذنيك قرط الأدب وتزينى يديك بسوار التواضع وإصبعك بخاتم التسامح وقلادة العفة خير ما تطوقين به عنقك، كل هذه المقدمات الثمينة الغالية لا توجد إلا فى روضة الإسلام المثمرة المزهرة فاغتنمى الفرصة وبادرى بالحجز والشراء.

● ● ●

العلماء ثلاثة

عالم بالله غير عالم بأمر الله، وعالم بأمر الله غير عالم بالله، وعالم بالله وبأمر الله فالأول عبد قد استولت المعرفة الإلهية على قلبه، والثانى: هو الذى يكون عالما بأمر الله وغير عالم بالله وهو الذى عرف الحلال والحرام، والثالث: هو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات.

رمضان إبراهيم إبراهيم

إخناواى - طنطا

إنى أخاف الله

قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - لزياد بن أبى زياد: (يا زياد إنى أخاف الله مما دخلت فيه!! قال: لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك ألا تخاف.

أحمد فرج الله الشاذلى

كلية اللغة العربية - إيتاى البارود

بريد التعارف

أهلاً

الاسم : عماد عبد الصادق محمد
الهواية : تلاوة القرآن الكريم
العنوان : محافظة اسوان أدفو الكلح شرق

الاسم : أحمد أحمد على دفشر
الهواية : الاطلاع والوعى الإسلامى
العنوان : ١١ شارع دكتور خليل إبراهيم خلف سينما الزيتون

الاسم : محمد مصطفى عبد الله
الهواية : القصص الدينى
العنوان : أسيوط ـ القوصية
المهنة : طالب أزهرى

الاسم : سعودى أحمد حسن
الهواية : حفظ القرآن الكريم
العنوان : قناة نجع حمادى – الحلفاية

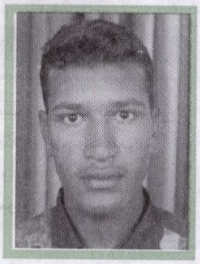

الاسم : أيمن سلطان حمدالله
الهواية : الرياضة البدنية
العنوان : سوهاج – قرية إدفا

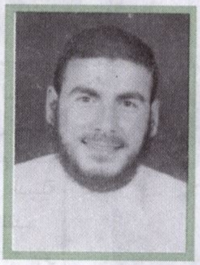

الاسم : هشام زكريا محمد الدرينى
الهواية : سماع القرآن
العنوان : الدواخلية مركز المحلة الكبرى / غربية

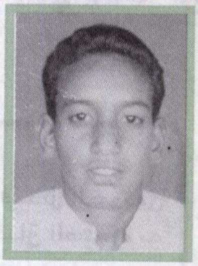

الاسم : محمد أحمد سعدى محمد
الهواية : حفظ القرآن الكريم
العنوان : الأقصر الاقالته الجبل الشرقى

الاسم : مصطفى هداية عبد العظيم ابراهيم
الهواية : الخطابة والشعر الدينى
المهنة : مدرس
العنوان : ميت العز – ميت غمر دقهلية

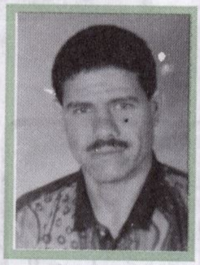

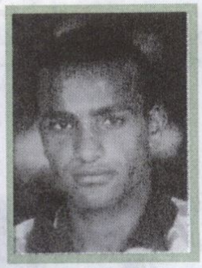

الاسم : عبد الفتاح محمد على دقديق
المهنة : طالب بكلية الدراسات العربية – المنيا
العنوان : اسيوط القوصية– نزالى جانوب شارع على دقديق

الاسم : أحمد حمدان على
الهواية : القراءات الدينية
العنوان : أسوان الحصايا

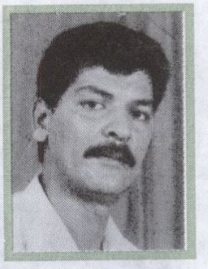

الاسم : سمير محمد أمين ابو طالب
الهواية : قراءة القرآن والثقافة الدينية
العنوان : ابو حماد شرقية

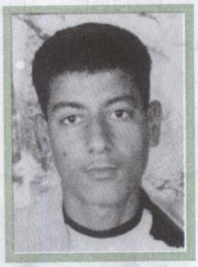

الاسم : أحمد عبد الجواد كامل
الهواية : الشعر والثقافة
العنوان : منشأة رضوان امبابة جيزة

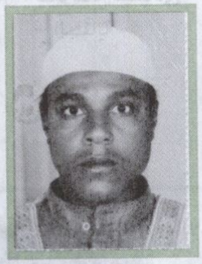

الاسم : اسامة نصر أمير
المهنة : امام وخطيب
الهواية : الاطلاع الدينى
العنوان : اسوان مركز ادفو إدفـو الكلح شرق

الاسم : على عبد الجواد عبد الباسط
الهواية : القراءة والاطلاع
المهنة : طالب بكلية اللغة العربية
العنوان : المنيا بنى مزار ش الجمهورية

الاسم : عبد الناصر عبد الرحمن عبد الرحيم قاسم
الهواية : الكتب الدينية وكرة القدم
العنوان : قنا – ابو تشت – الرفشة – نجع القاضى

الاسم : محمد على سيد عبد العال
المهنة : طالب بالازهر الشريف
العنوان : عطف حيدر – العدوة محافظة المنيا

الاسم : السيد محمد أحمد منصور
المهنة : طالب بالأزهر الشريف
العنوان : محافظة الشرقية – فاقوس قرية عرب درويش

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

● كلمة التحرير		١
● حديث الشهر	بقلم رئيس التحرير	٢
■ القرآن الكريم وعلومه		٧
● تفسير سورة الحجرات	فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى	٨
● التفسير البيانى للقرآن الكريم	د. عبد الغفار حامد هلال	١١
● من أسرار الإعجاز فى الاسلوب القرآنى	د. محمد أبو الانوار	١٥
● الصحابة فى القرآن الكريم	د. مصطفى رجب	١٩
● الإنسان فى القرآن الكريم	الشيخ منصور الرفاعى عبيد	٢٣
■ دراسات فى السنة المطهرة		٢٧
● أحباء الله والناس	الشيخ إبراهيم الدسوقى	٢٨
● نقد الجامع الصحيح للإمام البخارى	د. أحمد عمر هاشم	٣٦
■ الفقه والتشريع الإسلامى		٤١
● دعائم المجتمع الإسلامى	د. إسماعيل أحمد الطحان	٤٢
● جرائم الاعتداء على ذوى القربى	المستشار حسن حسن منصور	٤٩
■ الحضارة الإسلامية		٥٣
● ترشيد البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم	د.أحمد فؤاد باشا	٥٤
● الحضارات الإنسانية بين القطيعة .. والتقليد	د. محمد عمارة	٥٩
● الإسلام والحفاظ على الإنسان والبيئة	د. إبراهيم بدران	٦٣
● إسلامية العلم والمعرفة	د. منصور محمد حسب النبى	٦٧
● الإسلام إضافة ضرورية للحضارة الإنسانية	د. السيد محمد الشاهد	٧٢
● رؤية حول الأصالة والمعاصرة	د. جمال رجب سيدبى	٨٠
■ من المكتبة الإسلامية		٨٣
● قراءة جديدة فى كتاب قديم	د. رمضان عبد التواب	٨٤
■ شخصيات إسلامية		٩١
● محمد بن فتح الله بدران	د. محمود حمدى زقزوق	٩٢
● الأقصى (شعر)	المستشار محمد التهامى	٩٤
■ أخبار العالم الإسلامى	إعداد منير بيومى	٩٦
■ الدعوة والدعاة		١٠١
● الدعوة بأسلوب العصر	د. محمود محمد عمارة	١٠٢
● البلطجة وحد الحرابة	د.محمد بهى الدين سالم	١٠٥
● من أحداث شهر جمادى الأولى	د. أحمد شلبى	١٠٩
● من أخلاق القرآن.. خلق الشكر	د. عبد الغفار عبد الرحيم محمد	١١٣
● علامات ارشاد فى تربية الأبناء	لواء/ جمال الدين محفوظ	١١٧
■ الأقليات الإسلامية		١٢١
● واجب المسلمين نحو تحرير القدس	د. محمد إبراهيم الجيوشى	١٢٢
● المسلمون فى كل مكان	أ. بدر الدين السيد	١٢٨
■ أنت تسأل والفقيه يجيب	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٣٢
■ مع القراء	يحرره حسين السكرى	١٣٨
التعارف		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١١
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى ـ ٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم) ـ المواعيد من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ مساء
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول

مطابع الأهرام التجارية - قليوب